

لموسكو



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

- التوقيعات المهدوية وإشكالية عدم الصدور - الشيخ كاظم القره غولي
 - رسالة في حديث سلسلة الذهب برواية الإمام المهدي عليه السلام
 - بطرق محدثي أهل السنة والجماعة - السيد محمود المقدس الغريفي
 - أم الإمام المهدي عليه السلام حقيقة ثابتة - الشيخ نزيه محي الدين
 - توثيقات المستشرقين الألمان للقضية المهدوية دراسة تحليلية نقدية
 - د. حسن جاسم محمد حسين الخاقاني
 - الشرط المفقود - جابر الناصري
 - دراسة مقارنة للوضع الاقتصادي بين الغيبة والظهور - الشيخ ماهر الحجاج
 - المستقبل وعلاقته بالإمام المهدي عليه السلام - د. عامر عبد زيد الوائلي
 - الحركات المهدوية في التاريخ الإسلامي - الشيخ أسامة العتابي
 - المنقذ في الأديان - نور ناجح حسين
 - السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي - دراسة في سيرته ودوره الديني
- ساجد صباح العسكري



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية
تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

المشرف العام:

السيد محمد القبانجي

رئيس التحرير:

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير:

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الترجمة:

الدكتور السيد مجتبي الحلوي

التصميم:

الأستاذ حيدر محمد الطريفي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني:

الأستاذ حسن محمد حسن الطريفي

عدد النسخ:

٥٠٠ نسخة

الناشر:

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

جميع الحقوق محفوظة للمجلة

الهيئة الاستشارية

الشيخ نزار آل سنبل

السيد أحمد الاشكوري

الشيخ علي آل محسن

السيد ضياء الخباز



الموعود

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية

تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

قواعد النشر في مجلة الموعود

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الرصينة المختصة بعقيدة الموعود.
٢. الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقل كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A4).
٣. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين وجهة العمل والعنوان ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وجد.
٤. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تُنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.
٥. أن ترفق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى.
٦. أن لا يكون البحث قد نُشر سابقاً.
٧. لا تُعبر الأفكار المنشورة في المجلة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.
٨. يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.
٩. تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نُشرت أم لم تُنشر.
١٠. يُمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه، بحثه، ومكافأة مالية مجزية.
١١. تُرسل البحوث للمجلة، أو تُسلم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:
العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.
رقم الهاتف:
٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com





ALMAOOD

www.m-mahdi.com/almaood

almaood@m-mahdi.com

تمهيدنا

العين الناظرة

رئيس التحرير

تتحدّث جملة من الآيات الكريمة عن رقابة الله تعالى والنبي الأكرم ﷺ على هذه الأمة من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

ويجدر بنا قبل الحديث عن الذي يراقبنا، أن نبحث عن مسألة أخرى في غاية الأهمية حاصلها:

هل نحن بحاجة إلى من يراقبنا؟

قد يقول بعضنا: إنني أملك شهادة عالية أو سلطةً ونفوذاً أو جاهاً، وما إلى ذلك من الأمور التي تغنيني عن أن أقع تحت سلطة الرقابة.

فالعالم مثلاً قد يصوّر لصاحبه - أي العالم - أنك لا تحتاج لمن يراقبك!
وحسنُ الخلق قد يصوّر للشخص أنه لا يحتاج إلى من يراقبه ليضبط إيقاعات تصرّفاته!

وهكذا قد يرد هذا التساؤل إلى أذهانها.

في الحقيقة لا يمكن أن نتصور شخصاً مهما كانت مكانته يستغني عن وجود رقيبٍ يضبط له مفاهيمه وتصرّفاته.

وقد يطالب البعض بالدليل على هذه المقولة.

وإنما هو الوجدان، فإننا نشعر بوجداننا أننا مهما امتلكننا من علم أو سلطة



أو جاه، فإننا بحاجة إلى الرقابة.

وما سيرة العقلاء بيننا في جعل جميع إدارات مفاصل الدولة تحت الرقابة إلا لاستشعارٍ بضرورة ذلك.

ولكن ألا تتفقون معي أنه لا يوجد شيء لم يقع عليه الإنكار حتى وجود الله ﷻ بل حتى البدييات التي نؤمن بها كقضية العدل وحسنه والظلم وقبحه، فإنك إذا تتبعت تاريخ هذه المسألة الفكري ستجد أن هناك من أنكرها.

إذا اتفقنا على ضرورة الرقابة، فتعالوا معي لنلقي نظرة على أصنافها المختلفة، ونلاحظ حاجتنا وإلى أي رقيبٍ نشق أن نركن وبرقابته نأمن؟
إن للرقابة أصنافاً مختلفة:

١ - إلهية أشارت إليها الآية الأولى.

٢ - نبوية أشارت إليها الآية الثانية.

٣ - وتنشق من هذه الرقابة رقابة ولوية للإمام عليه السلام بمقتضى ولايته على الأمة وهدايته لها.

وقد دلت نصوص عديدة على ذلك، منها هذا المقطع: «السلام عليك يا عين الله في خلقه».

وهو جزء من زيارة الإمام المهدي عليه السلام يوم الجمعة.

٤ - وهناك رقابة ذاتية ينبغي أن يكون عليها الإنسان تشير إليها جملة من الآيات أيضاً كقوله تعالى:

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤).

بل إن القرآن الكريم يحدثنا عن شهادة بعض جوارحنا على أنفسنا ولولا كون هذه الجوارح تدرك أفعالنا وتسجلها علينا لما كان من وجهٍ للحديث عن شهادتها علينا، إذ يقول تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥).

فآلية ظاهرة في أنّ الجارحة تراقب تصرّفات الإنسان وتضبط حركاته
وسكناته بل وتضبط وجهة الحركة ومقصدتها.

والذي يتابع هذا المضمار يجد أنّ علم الاجتماع والتنمية بدءاً بتناول هذه
المسألة بشكل جدي أكثر واستُفيد منها في الواقع الاجتماعي فضلاً عن الفردي
بشكل أكبر ونتج عن ذلك أفكار رائعة في التخلّص من مشاكل ذاتية أو
اجتماعية كان يصعب إلى حدّ كبير السيطرة عليها.

فضبّط الإنسان لإيقاعاته يدخل في هذا المضمار، سواءً كان هذا الضبط ناشئاً
من أعماقه من دون أن يكون هناك مؤثّر خارجي أو كان بواعز المؤثّر الخارجي،
لا فرق من هذه الجهة.

ونستعين هنا لأجل ذلك بجملة من الآداب التي نتحلّى بها في قضايا دينية
أو اجتماعية لتقريب فكرتنا في ضرورة استشعار رقابة الإمام المهدي عليه السلام في زماننا
وجعلها مؤشراً يضبط إيقاع أفكارنا ومعتقداتنا وسلوكياتنا.

تنص جملة من الآداب الدينية في كثير من العبادات الشرعية على أن هناك
تصرّفات وهيئات ينبغي أن يتحلّى بها الشخص ليحصّل الرتبة السامية من
عمله الذي يقوم به.

مثلاً في الصلاة بعد تجاوز مرحلة أداء الواجبات والشرائط التي بها يكون
امتثال التكليف من قبل العبد.

تأتي مرحلة الآداب التي تسمو بهذا العمل إلى أعلى رتبه، أو تنخفض
به إلى أدنى رتبه، وهو ما يعبر عنها في اللسان الفقهي بمستحبات الصلاة
ومكروهاتها، فهذان الحدّان - وبينهما مسافة شاسعة من المراتب - يقومان
بتغيير الحقيقة الصلّاتية من كونها فعلاً يُلفُّ بخرقة - كما روي ذلك عن

الإمام الصادق عليه السلام: «إن من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها إلى العشر،
وإن منها لما تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها»^(١) بل



في بعض الأخبار أن الصلاة تدعو عليه وتقول له: «ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ» (٢) - إلى كونها فعلاً يوجب أن يكون العبد يسمع بسمع الله ويصر ببصره وينظر بنظره (٣)، وإنه لفارقٌ كبير.

وليس هذا الفارق الكبير إلا بسبب آداب هي إلى حدٍّ ما تشكّل مظاهر خارجية للصلاة.

ومن هذه الحالة نطلق إلى الآداب الاجتماعية التي انعقدت عليها عادات المجتمعات وتقاليدهم فصارت أعرافاً ملزمة يُستهجن بل يعاقب من يتجاوزها، وهي في ذات الوقت مظاهر خارجية على مستوى الحديث أو الملبس وأمثالهما.

إن المجتمع يهتم ولا أقل يراقب:

١ - المظهر الخارجي للأشخاص.

٢ - الكلام والألفاظ المعبرة عن المعاني.

فهما يشكلان عندنا - بل حتى عند الشريعة - قيمةً عاليةً، ولعل ذلك لأجل أن للمظهر والألفاظ قابلية الكشف عن الحقائق الداخلية.

ولا يخفى على من لامس علم البيان والبديع أن الألفاظ لها آداب، وحسن الحديث وأدبه مما شغل أهل هذا الفن طويلاً وجعلهم يضبطون أوضاعه وينظّمونه في إطار قواعد كلّما طبّقناها أكثر اقتربنا من الهدف.

وكذلك فيما يرتبط بالمظهر وخصوصاً في زماننا هذا نجد أن هناك مؤسسات تدرّس هذا الفن وأن الشخصيات الكبيرة اجتماعياً تخضع لنظام تدريسي وتربوي وأن هناك أموالاً طائلة تُصرف في سبيل ضبط المظهر.

وهنا سؤال: لماذا نقصد المظاهر والألفاظ ونتابعها؟

في الحقيقة إننا نجهل الأشخاص المحيطين بنا، ولأجل التعرّف عليهم أكثر نتشبّث بالمظاهر والألفاظ لتكشف لنا بعض حقيقة هؤلاء.

ومن زاوية أخرى فإن الانجذاب للمظهر الحسن والكلام الجميل يُعدُّ من الأمور الوجدانية، لاحظ معي قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يتحدَّث في مقام التفضُّل على عبده أنه زاده بسطةً في جسمه، بل إنَّ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ (القصص: ٧٩) إشعاراً لما للزينة من أثر في النفس والانجذاب والميل إلى صاحبها والتأثر به، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «تكلّموا تُعرفوا، فإنَّ المرءَ محبوبٌ تحت لسانه».

فالمظهر غالباً كما الألفاظ كاشفٌ عن الأشخاص.

ومن هنا يحسُن بنا إدارة الكلمات كما المظهر ونعرف متى نتكلّم، وكيف نتكلّم، وبماذا نتكلّم، لأنّه بضبط ذلك نضبط مقدار تأثيرنا في الناس.

والسؤال الآخر: كيف لي أن أملك هذه الأشياء؟

في الحقيقة أنّ رقابة المجتمع كلّما كانت صارمة ومنضبطة كانت قادرة على إيجاد هذه الأشياء في الناس المتفاعلين معها، فلو أنّ شخصاً طُلب منه أن يتكلّم في مجتمعٍ معيّن، تراه يقوم باستعدادات وتهيئة مقدمات وتدريبات كثيرة لكي ينجح في هذه المهمة، لماذا؟ لأننا نراقبه.

وليكن! وما تأثير رقابتنا عليه؟!

في الحقيقة أنّ الرقابة التي يتمتع بها المجتمع تشكّل أهمية كبيرة، لأن هذا الشخص لو فشل في هذه المهمة فإنه سيخسر وضعاً اجتماعياً ونفسياً وربما مالياً.

لو حاولنا نقل هذه الحقيقة التي نمارسها مرّات عديدة في اليوم الواحد إلى علاقتنا بالإمام المهدي عليه السلام، فما الذي سنرى؟

نحن نعرف جيّداً أنّ الإمام عليه السلام هو المرأة التي تعكس وجودنا بجميع حيثياته إلى الله سبحانه وتعالى، لأنّه هو العين التي تراقبنا، فعلى هذا الأساس



إذا أردنا أن نعرف صحّة فعلٍ من أفعالنا أو بطلانه أو رفض عملٍ أو قبوله فإننا لا بد أن نستكشف ذلك من خلال علاقتنا بالإمام عليه السلام، ومتى ضُبطت هذه العلاقة حقيقةً وشكلاً ولفظاً فإنها ستنتج أطيب النتائج المرجوة، وعلى سبيل المثال فإن الإمام الرضا عليه السلام عندما أراد أن يتحدّث عن أثر الإمام في الأعمال - وبطبيعة الحال أن الإمام عندما يتحدّث وانطلاقاً من وظيفته فإنه يتحدّث عمّا يؤثر على ضبط العلاقة بين الإنسان وربّه في الجانب العبادي - فنراه يقول عليه السلام: «بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج»^(٤)، فإذا سألنا: لماذا به تمام الأعمال؟ لماذا تمام الصلاة بالمظهر الذي نقلى به الله تعالى عندما نكون في الصلاة، وبالألفاظ التي تأتي بها عندما نؤدّيها؟ لماذا يكون الإمام عليه السلام هو تمام الصلاة والزكاة والصيام؟

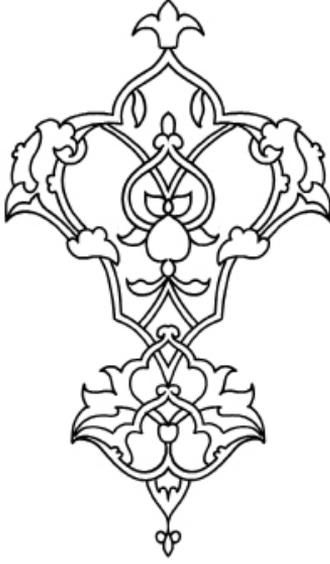
فإننا نجد الجواب على لسان الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «نحن شهداء الله على خلقه»^(٥).

فلا بد لنا عند القيام بأيّ عملٍ أن نستشعر رقابة الإمام عليه السلام علينا وعينه الناظرة إلينا على مستوى روحنا وضبط العلاقة معه وعلى مستوى مظهرنا وما يؤثر في تلك العلاقة، وعلى مستوى ألفاظنا وكيف تكون مقويّة لتلك العلاقة وضابطة ومؤثّرة فيها.

والله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥)، فالإمام عليه السلام يرى كلّ ما نقوم به من أعمال ويراقب حقيقة العمل ومظهره، وينبغي بعد استحضار هذه الحقيقة في نفوسنا أن نجعل أعمالنا من أجمل ما يمكن أن يراه الإمام عليه السلام حتّى نصير مصداقاً لقول الإمام الرضا عليه السلام عندما سأله ابن الجهم: جعلتُ فداك، أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك، قال عليه السلام: «أنظر كيف أنا عندك»^(٦).

الهوامش

١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٧٩، ص ٣٠٥.
٢. الأمالي - الشيخ الصدوق: ص ٣٢٨.
٣. الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٥٢.
٤. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني: ج ١، ص ٢٢٤.
٥. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ١٩٠.
٦. عيون الأخبار: ج ٢، ص ٥٠؛ أمالي الصدوق: ص ١٤٥.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

التوقيعات المهدوية وإشكالية عدم الصدور

الشيخ كاظم القره غولي

مقدمة:

إنَّ طلب المعرفة في النوع البشري شيء جبلي مادام له عقل يفكر به وله حواس تزوده بمواد خام لهذا المصنع ليتنج منها معلومات جديدة، هذا هو ديدن البشر، عطشه للمعرفة لا ترويه رشفة معلومات ولا قدح معرفة ولا نهر اطلاع، وسعته أشبه باللانهايات، فهو والاستزادة في العلم كعاشق لا تقنعه ساعة وصال.

هكذا أراد الله تعالى، ولولا أنه كذلك لتخلف عن غاية أريدت له من خلقته قضت الحكمة أن يقطع أجزاء طريقها باختياره، فكان تكوينه معيناً للتشريع ونوازعه دابّة للمسير ومستشاره العقل، يستفيد من مقدمات برهانية ومعلومات بديهية ودلالات خارجية يشكل الوحي جزءاً مهماً منها، إذ يقدم له صورة عن الكون الذي يعيش فيه ومبدأه ومنتهاه وإطاراً عاماً للتحرك وبياناً تفصيلياً لكثير من الجزئيات ونبذة عن تجارب الأمم ومآلاتها ومسيرة ومواقف الأفراد ودلالاتها.

إن منطلق العلم هو الشك عادة، باستثناء الأنبياء والرسل ﷺ كما في قوله تعالى بحق عيسى عليه السلام:



﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣﴾ (مريم: ٢٩-٣٣).

وكان النبي يحيى عليه السلام وقد قال تعالى عنه: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢).

لكن طلب المعرفة لا يتوقف حتى بعد بلوغ مرتبة النبوة، وقصة النبي موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام لا غبار في دلالتها على ذلك.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ٦٦﴾ (الكهف: ٦٥-٦٦).

ولم يشأ النبي موسى عليه السلام أن يفارقه حتى قال له الخضر عليه السلام:

﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٧٨﴾ (الكهف: ٧٨).

ومطلوبية التفكير تشمل كل البشر بما في ذلك أعظم الأنبياء عليهم السلام، وهو تفكر لا تذكر، والتفكر به يكشف ستر المستور ويُعلم من خلاله المجهول.

وها هو الخطاب القرآني للنبي صلى الله عليه وآله بأن يطلب من الله تعالى زيادة العلم.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

فالإنسان مهما ارتقى في مضامير الكمال - ومنها مضمار العلم - لا يصل إلى حدّها الأقصى، فالكمال ليس له حدٌّ والبشر مخلوق ممكن محدود.



ويمكن أن تكون الآيات التي تحدثت عن علم الله تعالى بكل شيء وإحاطته بكل شيء موجهة للإنسان الطالب للكمال العلمي إلى الله تعالى ومنبهة له، أن مطلوبه إنما هو الله تعالى، ففيه العلم غير المحدود والإحاطة بكل شيء.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء: ١٢٦).

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣).

وربما سار البحث عن الدليل مساراً خاطئاً، كمن تمت عنده المعلومة فيبدأ بالتبّطّر في طلب الدليل كما فعل الحواريون حين سألوا النبي عيسى عليه السلام إنزال المائدة.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ١١٢).

ولأن طلبهم لم يكن موضوعياً ردّهم النبي عيسى عليه السلام وأمرهم بالتقوى وقيد ذلك بصورة كونهم مؤمنين، حتّى إذا ألحوا، طلب من الله تعالى إنزال المائدة بأدبه الراقى.

﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عَيْدًا لِأَوْلَانَا وَأَخْرِنَا وَأَيَّةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة: ١١٤).

وحين استجاب الله تعالى له اقترن ذلك بوعيد شديد لمن يكفر بعد ذلك منهم.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ١١٥).

وقد يشكك الإنسان فيما كان واضحاً أو حتّى فيما كان يفترض أن يكون كذلك، فيكون ذلك موجباً للإنكار.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ١٠).

وقد يأخذه العناد إلى حدٍّ بعيد فيلغي احتمال الإيمان والإذعان ولو اجتمع عنده أقوى الشواهد، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (الأنعام: ١١١).

وليس بعيداً عن هذا ما جاء في سورة الإسراء:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْفَاءً أَوْ تَأْتِي بِلِلِّهِ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيَالًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ (الإسراء: ٩٠-٩٣).

وبين هذا وذاك، تأتي البيانات والأدلة والآيات، وفائدتها في الحد الأدنى: إتمام الحجة على الناس ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤٢).

وقد كثرت التساؤلات في أيامنا هذه - حيث تيسر التواصل بين الحضارات - عن مفردات الشريعة أصولاً وفروعاً، دليلاً ومدلولاً. وقد حظيت القضية المهدوية بسهم وافر من هذه التساؤلات وحصّة كبيرة من الإشكالات، ومن تلك التساؤلات ما يرجع إلى التوقيعات الشريفة التي خرجت من الإمام عليه السلام، وربما وجدت هذه التساؤلات صدئاً لها عند أتباع المذهب من العوام. فقد قيل: كيف يعرف أن هذا هو خط الإمام عليه السلام؟ وقيل: كيف نقبل بقول السفراء؟ وما إلى ذلك. ونحن في هذه الورقيات نحاول أن نسلط الضوء على ما نرى أنه يمثل جواباً لهذه التساؤلات، نسأل الله أن يوفقنا لقول الحق والعمل به وأن يجعل التسديد رفيقنا، إنه خير مسؤول.

كيف نجى السفراء من متابعة الدولة العباسية؟

من الأسئلة التي تتوارد بخصوص السفراء وتداولتها أخيراً بعض وسائل التواصل الاجتماعي:

كيف أمكن للسفراء العمل في ظل وجود الدولة العباسية رغم أن العباسيين كانوا يبحثون عن أي خيط يوصلهم إلى الإمام المهدي عليه السلام؟ فهل يعقل أن يعمل السفراء بحرية رغم أنهم كانوا معروفين في الأوساط العامة ولا تتبعهم السلطة العباسية ليصلوا من خلالها إلى الإمام عليه السلام؟ ألا يوجب ذلك احتمال كونهم على علاقة مع السلطة وأنهم لم يكونوا يلتقون بالإمام عليه السلام؟ هذا مع ملاحظة أن السفارة استمرت ما يقرب من سبعين سنة.

والجواب:

أولاً:

إن ذلك الاستبعاد كان مبتنياً على الأسباب الطبيعية وقطع ربط المسألة بالأسباب الغيبية، ولا شك أن هذه المسألة مرتبطة بالغيب، والغيب وإن أخرج المسألة عن الأسباب المألوفة، إلا أنه لا يخرجها عن السببية، وهو تعالى مسبب الأسباب.

﴿إِنَّهَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْأَمْرِ قَدْرٌ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣).

وقد تولى الله تعالى الدفاع عن المؤمنين حين قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨).

حين اقتضت الحكمة أن يُبعث في بني إسرائيل نبي وعلم فرعون بذلك، طافت زبائنه في بيوت بني إسرائيل يذبحون أبناءهم ويستحيون



نساءهم في وقت كان هو الذي يتولى رعاية ذلك النبي إذ أخذوه ولدًا، وقبل ذلك أخفى علامة حمله إلى ليلة الولادة كما حصل ذلك أيضاً مع الإمام المهدي عليه السلام حيث نُقل جدّه الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء تحسباً لمجيء الإمام الثاني عشر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

حين اقتضت الإرادة الإلهية أن يبقى النبي يونس عليه السلام حياً في بطن الحوت بقي تطوف به البحار، مع أن ذلك أغرب من أن يربي طاغوت عدوّه دون أن يعلم.

حين اقتضت الحكمة أن يُبعث عزير من الموت عاد إلى الحياة بعد عشرات السنين من الموت إلى الحياة. وهل لمؤمن أن يستبعد ذلك على الله تعالى؟

وأغرب من قضية عزير ما حصل لأصحاب الكهف الذين ناموا لمدة **﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾** (الكهف: ٢٥) لم يموتوا ولم تأكل الأرض أجسادهم، لو اطلّعت عليهم لوئيت منهم فراراً وملتت منهم رعباً. **ثانياً:**

إن التاريخ قد حفظ لنا حوادث عن أتباع الأنبياء والأولياء عليهم السلام ممن كانوا يعملون بقرب الطواغيت، وربما جاءت الأخبار عن البعض أنه من طائفة الأعداء، فمن غابر الأيام يحدثنا القرآن عن مؤمن آل فرعون الذي كان يكتُم إيمانه:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (غافر: ٢٨).

ومن تاريخنا الحديث ينقل إلينا أن المقاومة في الدول التي احتلتها ألمانيا في الحرب العالمية الثانية كانت تمارس العمل الثوري المسلح في تلك الدول



رغم وحشية (الغستابو) في التعاطي مع المناوئين لهم، ورغم تطور وسائل التجسس والمتابعة والإمكانات الهائلة، إلا أن الكثير من هؤلاء الثوار نجوا، بل وتطور عملهم بشكل كبير إلى أن رأوا هزيمة النازيين وموت (هتلر) بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وعمل هؤلاء كان مسلحاً، وعمل السفراء لم يكن فيه أي جانب عسكري وأي نوع مقاومة مسلحة. والمجموعات المسلحة التي كانت تناهض الشيوعية في الاتحاد السوفيتي أيام (ستالين) طال زمان عملها دون علم الـ (KGB) بهامع كل الإمكانيات المستخرجة له. والمجموعات الجاسوسية تجوب الدنيا لا تنجو منها حتى أقوى مخابرات العالم كالـ (CIA) وغيرها، مع وجود أقسام متخصصة في مكافحة التجسس، وكثير من الجواسيس لا يكتشف أمرهم إلى زمان انقضاء مهماتهم أو إلى أخريات حياتهم.

وإذا رجعنا إلى التاريخ مرة أخرى نجد الروايات تحكي لنا عن علي بن يقطين صاحب الإمام الكاظم عليه السلام، وقد كان الوشاة يسعون به عند الرشيد لكن رعاية الإمام الكاظم عليه السلام له منعت أن يوصل إليه بسوء^(١). وقد كان الإمام عليه السلام يدفع أيضاً عن وكلائه.

فقد روى الكليني عن الحسين بن الحسن العلوي قال: كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له: هو ذا يجبي الأموال وله وكلاء وسموا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهَمَّ الوزير بالقبض عليهم فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل فإن هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله بن سليمان: نقبض على الوكلاء؟ فقال السلطان: لا، ولكن دسوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه. قال: فخرج بأن يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً، وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر، فاندس بمحمد



بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به، فقال: معي مال أريد أن أوصله، فقال له محمد: غلطت، أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطفه ومحمد يتجاهل عليه. وبثوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدم إليهم^(٢).

وروى عن الحسن بن الفضل بن زيد اليماني قال: كتب أبي بخطه كتاباً فورد جوابه، ثم كتب بخطي فورد جوابه، ثم كتب بخط رجل من فقهاء أصحابنا فلم يرد جوابه، فنظرنا فكانت العلة أن الرجل تحول قرمطياً^(٣).

وروى الكليني عن علي بن محمد قال: خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحائر، فلمّا كان بعد أشهر دعا الوزير الباقتاني فقال له: الق بني الفرات والبرسيين وقل لهم: لا تزوروا مقابر قريش، فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه^(٤). والرواية صحيحة.
ثالثاً:

إن السفراء كانوا يعملون بطريقة مدروسة مُحكّمة لدفع أنظار الظالمين عنهم، فقد أخفوا عملهم، إلّا عن الثلثة القليلة المخلصة ممن يطمأن لهم وعرفوا منهم صدق الولاء. ومضافاً إلى ذلك كانت لهم مجموعة خطوات هامة:

منها: أنهم نقلوا عملهم من سامراء عاصمة الدولة العباسية آنذاك إلى بغداد، وكان بُعد المسافة بين المدينتين كفيلاً بتخفيف المتابعة لهم.

ومنها: أنهم قد تخفّفوا ببعض العناوين الأخرى، فالسفير الأول كان سمّاناً أي يمتهن بيع السمن.

ومنها: أنهم كانوا يعملون بالتقيّة، خصوصاً عند اشتداد الأمر عليهم، وهذا ما حفظته الروايات عن السفير الثالث الحسين بن روح رضي الله عنه.



فقد نقل الشيخ الطوسي في غيبته من الوقائع التي استعمل فيها بعض السفراء التقيّة، ولذا كان في موقع جليل حتّى عند العامة، فقد قال: وكان أبو القاسم عليه السلام (الحسين بن روح) من أعقل الناس عند المخالف والموافق ويستعمل التقيّة، فروى أبو نصر هبة الله بن محمد قال: حدثني أبو عبد الله بن غالب حمو أبي الحسن بن أبي الطيب قال: ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، ولعهدي به يوماً في دار ابن يسار، وكان له محل عند السيد والمقتدر عظيم، وكانت العامة أيضاً تعظّمه، وكان أبو القاسم يحضر تقيّة وخوفاً.

فعهدي به وقد تناظر اثنان فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم عمر ثم علي وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم عليه السلام: الذي اجتمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا. فبقي من حضر المجلس متعجباً من هذا القول. وكانت العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم وكثر الدعاء له والطعن على من يرميه بالرفض.

فوقع عليّ الضحك فلم أزل أتصبر وأمنع نفسي وأدس كمي في فمي، فخشيت أن أفتضح، فوثبت عن المجلس، ونظر إليّ فتفطّن لي، فلما حصلت في منزلي فإذا بالباب يطرق، فخرجت مبادراً، فإذا أبي القاسم بن روح راكباً بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره، فقال لي: يا أبا عبد الله، أيدك الله، لم ضحكت وأردت أن تهتف بي، كأن الذي قلته عندك ليس بحق؟ فقلت له: كذلك هو عندي، فقال لي: أتق الله أيها الشيخ، فإنني لا أجعلك في حل تستعظم هذا القول مني، فقلت: يا سيدي رجل يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول، لا يتعجب منه؟ و[لا]

يضحك من قوله هذا؟ فقال لي: وحياتك لئن عدت لأهجرنك ووَدَّعني وانصرف^(٥).

قال أبو نصر هبة الله: وحدثني أبو أحمد بن درانويه الأبرص الذي كانت داره في درب القراطيس، قال: قال لي: إني كنت أنا وإخوتي ندخل إلى أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله نعامله، قال: وكانوا باعة، ونحن مثلاً عشرة، تسعة نلعه وواحد يشكك، فنخرج من عنده بعد ما دخلنا إليه تسعة نتقرب إلى الله بمحبته وواحد واقف لأنه كان يجارينا من فضل الصحابة ما رويناها وما لم نروه فنكتبه عنه لحسنه رحمته الله^(٦).

وفي غيبة الطوسي أخبرني جماعة عن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عياش عن أبي غالب الزراري قال: قدمت من الكوفة وأنا شاب إحدى قدماتي ومعني رجل من إخواننا - قد ذهب عليّ أبي عبد الله اسمه - وذلك في أيام الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله واستتاره ونصبه أبا جعفر محمد بن علي المعروف بالشلمغاني وكان مستقيماً لم يظهر منه ما ظهر من الكفر والإلحاد، وكان الناس يقصدونه ويلقونه لأنه كان صاحب الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح سفيراً بينهم وبينه في حوائجهم ومهماتهم.. الخبر^(٧).

والرواية وإن لم تكن تامة سنداً إلا أننا أوردناها وما سبقها للاستشهاد وليس للاستدلال.

وفي الكافي عن علي بن محمد عن محمد بن صالح، قال: لما مات أبي وصار الأمر إليّ كان لأبي عليّ الناس سفاتج^(٨) من مال الغريم - يعني صاحب الأمر عليه السلام، قال الشيخ المفيد: وهذا رمز كانت الشيعة تعرفه قديماً بينها ويكون خطابها عليه للتقية - قال: فكتبت إليه أعلمه، فكتب إليّ: طالبهم واستقص عليهم، فقضاني الناس إلا رجلاً واحداً وكانت



عليه سفتجة بأربعمائة دينار، فجئت إليه أطلبه، فما طلني واستخف بي ابنه وسفه علي، فشكوته إلى أبيه فقال: وكان ماذا؟ فقبضت على لحيته وأخذت برجله وسحبته إلى وسط الدار وركلته ركلاً كثيراً، فخرج ابنه مستغيثاً بأهل بغداد يقول: قمي رافضي قد قتل والدي. فاجتمع علي منهم خلق كثير، فركبت دابتي وقلت: أحستهم يا أهل بغداد تميلون مع الظالم على الغريب المظلوم. أنا رجل من أهل همدان من أهل السنة، وهذا ينسبني إلى قم ويرميني بالرفض ليذهب بحقي ومالي. قال: فما لواله عليه وأرادوا أن يدخلوا إلى حانوته حتى سكتتهم، وطلب إلي صاحب السفتجة أن آخذ ما فيها وحلف بالطلاق أنه يوفيني ما فيها في الحال^(٩). وقد قال المجلسي في هذا الخبر أنه حسن كالصحيح.

ويشهد لما ذكرناه من إعمال التقية أنهم لم يكونوا معروفين عند عامة الشيعة، ولذا تجد عند تصفحك في الروايات أن عامة الشيعة كانت تكلف الخواص أن تذهب بما عليها من الحقوق إلى سفراء الإمام ووكلائه. ويظهر أيضاً للمتتبع في الروايات أن الخواص لم يكونوا يعرفون السفراء، ولذلك ما كانوا يسلمون إليهم الأموال إلا بعد البيئة والاختبار، فإذا جاءهم منهم أمر بيّن سلّموا الأموال. ولعدم وضوح الأمر عندهم ابتداءً كان البعض منهم يذهب إلى جعفر عم الإمام حتى إذا لم يجدوا عنده ما يريدون امتنعوا عن تسليمه الأموال وذهبوا إلى مظان أخرى حتى يقعوا على مبتغاهم. مما يكشف لك عن عدم معرفة سفراء الإمام إلا ضمن نطاق دائرة ضيقة جداً. ومع هذا لم الاستبعاد أن لا تكون السلطات قد علمت بشأنهم؟

وكيف كان، ففي الروايات دلائل على أن السفراء لم يكونوا معروفين عند عامة الشيعة بل عند الكثير من خواصهم، فكيف تعرفهم أعداؤهم بنحو سهل؟

فعن الإرشاد عن ابن قولويه عن الكليني عن علي بن محمد عن الحسن بن عيسى العريضي قال: لما مضى أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ورد رجل من مصر بهال إلى مكة لصاحب الأمر فاختلف عليه وقال بعض الناس: إن أبا محمد قد مضى من غير خلف، وقال آخرون: الخلف من بعده جعفر، وقال آخرون: الخلف من بعده ولده، فبعث رجلاً يكنى أبا طالب إلى العسكر يبحث عن الأمر وصحته ومعه كتاب، فصار الرجل إلى جعفر وسأله عن برهان، فقال له جعفر: لا يتهيأ لي في هذا الوقت، فصار الرجل إلى الباب وأنفذ الكتاب إلى أصحابنا الموسومين بالسفارة، فخرج إليه: أجرك الله في صاحبك فقد مات، وأوصى بالمال الذي كان معه إلى ثقة يعمل فيه بما يحب، وأجيب عن كتابه، فكان كما قيل له^(١١).

وفي رواية أحمد الدينوري:

قال: فقلت: يا قوم هذه حيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت، قال: فقالوا: إنما اخترناك لحمل هذا المال لما نعرف من ثقتك وكرمك، فاعمل على أن لا تخرجه من يديك إلا بحجة... الخبر^(١١).

وفي رواية أحمد بن أبي روح قال: وُجِّهتُ إلى امرأة من أهل دينور فأتيتها فقالت: يا بن أبي روح أنت أوثق من في ناحيتنا ديناً وورعاً، وإني أريد أن أودعك أمانة أجعلها في رقبتك تؤديها وتقوم بها، فقلت: أفعل إن شاء الله، فقالت: هذه دراهم في هذا الكيس المختوم لا تحله ولا تنظر فيه حتى تؤديه إلى من يخبرك بما فيه، وهذا قرطي يساوي عشرة دنانير وفيه ثلاث حبات يساوي عشرة دنانير، ولي إلى صاحب الزمان حاجة، أريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله عنها. قلت: وما الحاجة؟ قالت: عشرة دنانير استقرضتها أمي في عرسي لا أدري ممن استقرضتها ولا أدري إلى من أدفعها، فإن أخبرك بها فأدفعها إلى من يأمرك بها...

إلى أن وصل إلى سر من رأى وحصل على ما يريد، ولم ننقل الرواية كاملة لأن محل الشاهد فيها أنهم لا يقبلون من كل أحد إلا بيّنة، وهذا يسري حتى على العوام من الشيعة^(١٢).

وفي كمال الدين أبي عن سعد عن أبي حامد المراغي عن محمد بن شاذان بن نعيم قال: بعث رجل من أهل بلخ بهال ورقعة ليس فيها كتابة وقد خط فيها بإصبعه كما تدور من غير كتابة، وقال للرسول: احمل هذا المال، فمن أخبرك بقصته وأجاب عن الرقعة فأوصل إليه المال، فصار الرجل إلى العسكر وقصد جعفرأ وأخبره الخبر، فقال له جعفر: تقر بالبداء؟ قال الرجل: نعم، قال: فإن صاحبك قد بداله وقد أمرت أن تعطيني هذا المال، فقال له الرسول: لا يقنعني هذا الجواب. فخرج من عنده وجعل يدور على أصحابنا، فخرجت إليه رقعة: هذا مال كان قد غرر به، وكان فوق صندوق فدخل اللصوص البيت فأخذوا ما كان في الصندوق وسلم المال وردت عليه الرقعة وقد كتب فيها كما تدور وسألت الدعاء فعلى الله بك وفعل^(١٣).

والرواية تامة سنداً، فأبو حامد المراغي هو أحمد بن إبراهيم المراغي، قد روى الكشي توقيعاً شريفاً يدل على مدحه وقال ابن داوود عنه: إنه ممدوح عظيم الشأن. ومحمد بن شاذان بن نعيم ثقة كان من وكلاء الناحية، وسعد هو بن عبد الله الأشعري القمي الجليل القدر، ووالد الصندوق علم في الوثيقة. ولكن ليس من الواضح في الرواية أن محمد بن شاذان قد رأى الكتاب وعرف الخط الذي فيه.

والأمر سهل لأن ذكر الرواية وما سبقها لمجرد الاستشهاد وليس للاستدلال. ومن الواضح فيها أنهم لم يكونوا يقبلون من أي أحد أن يخبرهم عن الإمام عليه السلام أو يأخذ المال له.



هل تنافي وثيقة السفير احتمال الخطأ فيما أخبر به؟

ومن الأسئلة والشبهات فيما يرجع إلى السفراء أن غاية ما يمكن أن يقال عنهم: إنهم على أعلى درجات الوثاقة، والثقة نحتمل الخطأ منه، ونحتمل وقوعه في الكذب، وإن نفينا عنه الإصرار على الكذب، وهذا الاحتمال مانع من الجزم بما نقلوه لنا من التوقيعات.

وفي مقام الجواب عن هذه الشبهة نقول:

لقد بعث الله تعالى رسله للناس كي يأخذوا بأيديهم إلى ما فيه صلاح الدنيا ومنفعة العباد. يتكئ ذلك على رؤية للكون ومآل الدنيا وأفراد البشر تقدمها الشرائع للناس، ويستقيم فوق ذلك منظومة أحكام تضبط إيقاع حركة الأفراد وفق ما في طبائع الأفعال من نفع وضرر. ويتوسط بين هذا وذاك منظومة أخلاقية تضمن دوام الاستقامة لمن أراد أن **يَذْكُرَ** **أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** (الفرقان: ٦٢)، وتجعل سلوكه الحسن نبتة نمت في بيئتها المناسبة مما يضمن استمرار اخضرارها.

ولما كثرت تفاصيل الشرائع بما في ذلك الشريعة الإسلامية بنحو تسبب في انعدام فرصة العلم بكل تفاصيلها لكثرة تشعبها، وللبعد الزماني عن حضور المشرع المحيط بالشريعة، ولظروف أخرى، قضت الضرورة أن يقبل الشارع بما دون العلم في إحراز أحكامه، فجعل الحجية لبعض الظنون الخاصة، كالظن الناشئ من إخبار الثقة والظن الناشئ من الظهور، وأبقى بعض الظنون على حالها، بل ردع عن العمل ببعضها، كما في القياس الذي منع الشارع من جعله مستنداً ولو أوردت أعلى درجات الظن.

«إن السنة إذا قيست مُحَقَّقُ الدين».

وقد اتفقت كلمات الفقهاء على حجية الأخبار التي ينقلها الثقات



في الجملة، وشذ عن ذلك نفر يسير كالطبرسي وابن إدريس (أعلى الله مقامهما)، ومثل ذلك حجية الظهورات، نعم وقع الخلاف في بعض التفصيلات في الحجيتين.

وكانت النتيجة: أن أغلب أحكامنا ثبتت بأدلة ظنية من جهة الصدور أو الدلالة أو كليهما، ولا مشكلة في ذلك، لأن ثبوت الحجية الشرعية يضمن المؤمن من تبعة مخالفة الواقع غير المعلوم، كما يضمن الثواب للمنقاد لو كان ما أتى به - اعتماداً على الظن الحجة - من إطاعة بنظرة مخالفاً للواقع. فكان ذلك سبباً في نشوء علم الجرح والتعديل للتعامل مع الموروث الروائي لتجاوز مشكلة عدم حصول العلم بالصدور من الشارع المقدس، وتكفل هذا العلم ضبط أحوال الرجال ممن يقعون في أسانيد الروايات اعتماداً على شهادات خاصة بالراوي أو تكالاً على قواعد عامة كمشايخ الثلاثة وأصحاب الإجماع. فالفقيه والباحث إن لم يحصل على علم بصدور الخبر لم يعدم الحجية التعبدية في عديد الموارد. وقد ألفت موسوعات رجالية كثيرة لتكون معيناً للباحثين حوت كمّاً كبيراً من المعلومات التي تساعد في تكوين صورة عن رواة الأحاديث. ومن ضمن من تعرض له أرباب هذا الفن سفراء الإمام الثاني عشر ووكلاؤه في زمن الغيبة الصغرى والذين خرجت توقيعاته عليه السلام عن طريقهم، فلا يعتبر القطع بصدور تلك التوقيعات عنه عليه السلام، بل يكفي مجرد طريق معتبر وفق الضوابط العامة التي أشير إليها آنفاً.

كما لا نحتاج إلى إثبات السفارة أو الوكالة عن الناحية المقدسة، فأبي فرق بين رواية نقلها زرارة أو محمد بن مسلم أو أبو بصير أو غيرهم من أعلام الرواة، وبين رواية نقلها عثمان بن سعيد أو ولده محمد أو الحسين

بن روح أو علي بن محمد السمري، أو حتىّ الوكلاء غير السفراء لتقبل رواية الأوائل دون السفراء أو الوكلاء؟

بل هنا ما يجعل رواية الوكلاء والسفراء أولى بالقبول وهو:

١ - إن من المضعفات الاحتمالية في الخبر نوعاً احتمال وقوع المخبر في الخطأ واحتمال نسيانه في القول لفقرة من الكلام الذي ينقله أو الحادثة التي يرويها، وهذا لا مجال له في التوقيع الذي يكون بخط الإمام عليه السلام لأن دور السفير ليس إلا تسليم تلك المكاتبه بخطه عليه السلام. والمفروض أن كلامنا في التوقيعات التي صدرت من الإمام عليه السلام ونقلت إلينا عن طريق السفراء.

٢ - أن مستوى الوثيقة مختلف من فرد إلى آخر، فبعض الناس تجزم بعدم تعمده للكذب والافتراء، ومن يتهم مثل زرارة بالكذب أو يتعقل احتمال قصده الكذب؟

واحتمال نفي الكذب في مثل زرارة لا يستند إلى استحالته العقلية، بل يستند إلى واقع بنيته النفسية ومستوى تدينه الذي علمناه عليه.

والأعلام الأربعة الذين هم سفراء الغيبة الصغرى لا شك أنهم كذلك من هذه الناحية. وأمّا احتمال أن يأتي السفير بكتاب يقول عنه إنه مكاتبه من الإمام عليه السلام وليس هو في الواقع كذلك، فهذا غير متصور فيه، فالناس تسأل ثم تنتظر مدة ليأتي التوقيع الشريف وفيه ما يخصهم.

وأمّا نقل قول الإمام عليه السلام فلا يدخل تحت عنوان المكاتبات أو التوقيعات الشريفة له، وإن كان متصفاً بنفس الوثيقة والاطمئنان بصدوره عنه عليه السلام.

٣ - انتفاء احتمال التقية أو ضعفه إلى حد بعيد، لأن الإمام غائب عن أعين الناس فلا يخاف على نفسه من الظالمين من جهة رأيه ليضطر إلى بيان حكم موافق للعامّة دفعاً للشبهات. والروايات وإن ورد العديد منها في بيان علة الغيبة بالخوف على نفسه، إلا أن الخوف في غيبته ناشئ من



احتمال معرفة الظالمين بأصل وجوده لا من رأيه المخالف للظالمين، وورود خبر عنه، فيه رأي له، لا يُفَرَّق فيه بين أن يكون موافقاً لفقهاء العامة أو لا يكون، لأن التقية في زمن آباءه كثيراً ما كانت للدفع بعض ما يدفع الظالم نحو قرار تصفيته أو التضييق عليه، وفي زمن غيبته قد صدر قرار تصفيته، لكنهم لم يعثروا عليه، فظهور خبر عنه هو مطلوب حكومات الجور، وافق مضمون الخبر رأي علمائهم أم خالفها.

ولهذا لا تجد إماماً من الأئمة المتقدمين طلبته سلطة الجور في صغره بل قبل تسنُّمه منصب الإمامة فضلاً عن فترة ما قبل ولادته. بل لم يطلب بحسب العادة بمجرد تصدّيه لمنصب الإمامة وإنما بعد مدة من إمامته لأسباب ليس هذا محل استقصائها. وإنما قلنا بحسب العادة لأن المنصور طلب من يتصدّى بعد الإمام الصادق عليه السلام وطلب هارون خليفة الإمام الكاظم عليه السلام، ثم خفتت في الاثنین نار الحقد بعد إقدامهم على قتل الإمامين عليه السلام.

وأما الإمام المهدي عليه السلام فقد طلبه أعداؤه قبل ولادته بمدة من الزمان، لما انتهى إليهم من أن الإمام الثاني عشر هو الذي يسقط عروش الظالمين ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وذلك هو سبب الإتيان بالإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء عاصمة الخلافة آنذاك، وأبقى الإمام الحسن العسكري عليه السلام تحت نظرهم هناك أيضاً. وكانت جلاوزتهم تترقب الأخبار عن الولادة الميمونة، ونسأؤهم تدخل إلى بيت الإمام العسكري عليه السلام لتفتش بين نسائه وجواريه عن الحمل. ولم يأت المولود الميمون إلا من خلال طريق معجز لم يظهر له أي أثر حتى ليلة ولادته عليه السلام، بل حتى السيدة حكيمة حين أُخبرت بأن في تلك الليلة ستشرق الأرض بولادته استغربت حين فحصت أمه ولم ترى أي أثر للحمل.



وعلى أي حال، فوجود الإمام الثاني عشر كان مستهدفاً، ومن هنا لا يفرق كثيراً بين خبر صدر منه على وجه التقية أو على نحو الإرادة الجدية، والتقية تقتضي عدم صدور التوقيع لو اقتضت ذلك، لا صدوره بمضمون يتناسب مع التقية، بخلاف من تقدمه من آبائه عليهم السلام. وقد دلت جملة من الروايات على تحريم ذكر اسمه عليه السلام، وكفاك بمثلها دليلاً على أن ذكر رواية عنه (ولو بمضمون موافق للتقية لو كان) على خلاف التقية.

نعم قد يتعقل احتمال التقية على غير الإمام من الأتباع، لكن ذلك يجري في غير الحجة عليه السلام، كما في ذم الإمام الصادق عليه السلام لزيارة في بعض الروايات لأجل دفع الشبهة عنه، لكن ذلك لا مجال له فيما صدر من توقيع عن الحجة (أنار الله الأرض بظهوره)، لأن دفع الشبهة عن تابع للإمام يزاحم عادة دفع الخطر عن الإمام عليه السلام، والثاني أرجح من الأول. وبهذا يضعف المضعف النوعي في مكاتبات الأئمة عليهم السلام والمتمثل باحتمال صدورها تقية في توقيعات الإمام الحجة عليه السلام.

وقد يقال إن الإمام عليه السلام حريص على سلامة أتباعه، ومن هنا كانت بعض الأوامر تخرج إليهم للعمل بما يتقى معه شر الظالمين، فالتقية واردة في توقيعاته دفعاً للضرر عن أتباعه.

فقد نقل في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي، قال: كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه، فقال له: هو ذا يجبي الأموال وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهم الوزير بالقبض عليهم، فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل فإن هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله بن سليمان: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا ولكن دسوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه.



قال: فخرج بأن يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر، فاندس بمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال: معي مال أريد أن أوصله، فقال له محمد: غلطت، أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطفه ومحمد يتجاهل عليه، وبثوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدم إليهم^(١٤).

وفي غيبة الطوسي عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد، قال: خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحائر، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطاني فقال له: الق بني الفرات والبُرسيين وقل لهم: لا تزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه^(١٥).

وعلي بن محمد الذي يروي عنه محمد بن يعقوب هو علي بن محمد بن بندار وبندار هو أبو القاسم عبد الله بن عمران البرقي، وقد نص على توثيقه، فالرواية صحيحة السند.

بل ورد عن الإمام عليه السلام الكثير من الإجابات عن موارد شخصية. ففي الحسنة روى الصدوق عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الصالح قال: كتبت أسأله الدعاء لباداشاكة وقد حبسه ابن عبد العزيز وأستأذنه في جارية لي أستولدها، فخرج: «استولدها ويفعل الله ما يشاء والمحبوس يخلصه الله»، فاستولدت الجارية فولدت فماتت، وخلي عن المحبوس يوم خرج إلى التوقيع^(١٦).

وروى في الحسنة عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن علي بن محمد الشمشاطي - رسول جعفر بن إبراهيم اليماني - قال: كنت مقيماً ببغداد وتميأت قافلة اليمانيين للخروج، فكتبت أستأذن للخروج معها، فخرج: «لا تخرج معها فما لك في الخروج خيرة، وأقم بالكوفة»، فخرجت القافلة وخرجت عليها بنو حنظلة فاجتاحوها.

قال: وكتبت أستأذن في ركوب الماء، فخرج: «لا تفعل»، فما خرجت سفينة في تلك السنة إلا خرجت عليها البوارج فقطعوا عليها... الخبر^(١٧). لكن ذلك مردود من جهة أن احتمال التقية الذي ضعفناه هو إطلاق لفظ وإرادة معني غير ظاهر منه أو إرادة إيهام من يسمعه أنه يراد ظاهره. ومثل ما تقدم من الروايات لم يتحقق فيها هذا الاحتمال فلا مشكلة فيها من جهة التقية توجب احتمال إرادة غير ظاهرها. ففي عين الوقت الذي يكون الداعي لبيان تلك الموارد الحرص على الأتباع، لا نحتمل في هذه التوقيعات صدورها على نحو التقية. بل في بعضها أمر للوكلاء ولعامّة الشيعة بالتقية، وهذا غير صدور التوقيع على وجه التقية. بل قد ورد في بعض الروايات الأمر بتمزيق الكتاب الذي فيه التوقيع.

كمال الدين عن أبيه عن سعد عن أبي عبد الله المتيلي قال: جاءني أبو جعفر فمضى بي إلى العباسية وأدخلني إلى خربة وأخرج كتاباً فقرأه عليّ، فإذا فيه شرح جميع ما حدث على الدار، وفيه: أنه فلانة - يعني أم عبد الله - يؤخذ بشعرها وتخرج من الدار ويحدر بها إلى بغداد وتقعّد بين يدي السلطان وأشياء مما يحدث، ثم قال لي: احفظ ثم مزق الكتاب، وذلك من قبل أن يحدث ما حدث بمدة^(١٨).

٤ - قرب أسناد التوقيع، حيث لا يفصل زمان كبير بين صدور هذه التوقيعات وكتابة مجامع الحديث، إذ كتّب الكافي في زمان الغيبة الصغرى التي دامت (٦٩) عاماً. بينما غالبية رواياتنا كانت قد نقلت عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وقد استشهد الإمام الباقر عليه السلام في زمن الدولة الأموية التي انتهت عام (١٣٢ هـ). بل استشهد عام (١١٤ هـ) على وجه التحديد. والإمام الصادق عليه السلام قد استشهد عام (١٤٨ هـ). فالمدة بين وفاة الإمام الباقر عليه السلام وبداية الغيبة الصغرى (١٤٢) عاماً ولم تنقل كل الروايات



عنه في آخر سنة من عمره ولا توقيعات الإمام عليه السلام قد خرجت في أول سنة من غيبته. والمدة بين استشهاد الإمام الصادق عليه السلام وبداية الغيبة الصغرى (١١٢) سنة، وليست الروايات المنقولة عنه نقلت في آخر سنة من حياته. بل يمكن أن تكون في بداية إمامته التي دامت أربعة وثلاثين عاماً ليكون الفاصل بين صدور مثلها وبداية الغيبة (١٤٦) عاماً.

نعم، لا يخل ذلك بالحجية، لكنه يترك أثره من الناحية الاحتمالية.

٥ - إن التوقيعات الصادرة عن الإمام الحجة عليه السلام تكون بداية سندها ثقة في العادة، لأن من نقلوها سفراء الغيبة ووكلاء الناحية المقدسة، بخلاف الروايات التي صدرت عن باقي الأئمة عليهم السلام، فإن من نقل عنهم قد كان فيهم الغث والسمين، وما أكثر الرواة المباشرين ممن لم تثبت وثافتهم.

بل الراوي المباشر للتوقيع على أعلى درجات الوثاقة، بل فيهم من نص المعصوم عليه السلام على أنه الثقة الذي لا يخطئ في نقله عنه «ما أدى فعني يؤدي»، وسيأتيك مزيد من التوضيح والتفصيل.

٦ - لما كان من استتار الإمام عليه السلام ما كان عرف الشيعة أن الخبر عنه لا يأتي من كل أحد، فمن أخبر عن الوكلاء بخبر عنه عليه السلام يعرف أن الشيعة لا تصدق ذلك عن كل أحد. وقد يكون ذلك أدهى للارتداع عن الكذب في البعض، وهذا يشكل مضعفاً نوعياً لاحتمال الكذب وإن لم يكن مانعاً قطعياً عنه.

نعم قد يكون هناك احتمال مقابل لأن اهتمام الناس بالإمام عليه السلام يجعلهم يولون الاهتمام ويظهرون الاحترام لمن ينقل الأخبار عنه عليه السلام. لكن الذي جمع الأخبار هم ممن لم يعدوا نوع المعرفة بذلك، وما وصلنا ليس من عامة الناس بل من خواصهم وعلماهم الذين تحمّلوا مسؤولية جمع الأخبار وتدوينها.



٧ - إن أمارات التوثيق وشواهدة كانت أقرب للرجاليين الأوائل من مثيلاتها في رواة الأخبار من الأئمة المتقدمين، فمعدل (١٥٠) سنة على الأقل ليست بالمدة اليسيرة ليحفظ فيها خصوصيات الأفراد مما له دخل في قبول الرواية وعدمها وقد تجاوزت مشكلتها علماء الرجال، ولكنها ليست كمشكلة من كان أقرب إليهم بمدة قرن ونصف من الزمان. فاحتمال صدق التوثيق في رواة التوقيعات أعلى من مثيله في الرواة الذين كانوا على عهد الإمامين الباقرين عليهما السلام.

٨ - في الوقت الذي لم يشكل تكذيب واضعي الحديث على الأئمة المتقدمين من قبلهم عليهم السلام ظاهرة، كان ذلك ظاهرة في من كذب على الإمام الثاني عشر عليه السلام لأن الأمر لم يقتصر على نقل رواية فحسب، بل كان يتعداه إلى ادعاء السفارة، ومن هنا قضت الضرورة بالتصدي لهم. وحين تجاسرت أنفسهم على ادعاء السفارة كان ذلك إيذاناً بدعاوى أكبر من بعضهم، وقد نقل الشيخ الطوسي عن هارون بن موسى قوله:
وكل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أولاً على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى^(١٩).

ومثل الشلمغاني: السريعي والنصيري.

وقد نقل توقيع الإمام عليه السلام في لعن السريعي والتبري منه^(٢٠).

«وهو أول من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه»^(٢١)، وجاء بعده محمد بن نصير النميري، لكن لعنه والتبري منه والاحتجاب عنه كان من محمد بن عثمان.

ومن ظهر التوقيع بلعنه والبراءة منه أحمد بن هلال الكرخي حيث



خرج التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه^(٢٢).
وممن خرج التوقيع بلعنه والبراءة منه: محمد بن علي المعروف
بالشلمغاني المعروف باسم العزاقري^(٢٣).

٩ - إن بعض الروايات التي نقلت عن الأئمة عليهم السلام في زمن الحضور
قد نقلت بالمعنى ولم ينقل لفظها بالنص، ويحتمل ولو ضعيفاً أن يشبهه
الراوي في فهم مراد الإمام عليه السلام، وهذا الاحتمال لا يأتي في نقل مكاتبة
بخطه عليه السلام، والنقل بالمعنى وإن لم يمنع من الحجية إلا أنه يبقى مضعفاً
احتمالياً، خصوصاً إذا لم يكن الراوي ضليعاً بالفهم، بل كان مجرد راوٍ
ثبتت وثاقته.

ولست باستعراضي لهذه القرائن بصدد إثبات حجية التوقيعات
الصادرة عنه عليه السلام أو المنسوبة إليه دون أعمال الضوابط في القبول وعدمه،
بل إن ما ذكر يشكل قرائن احتمالية لا توصل إلى الجزم، ولكنها في الحد
الأدنى تمنع من النظر إلى التوقيعات على أنها في القبول دون الروايات التي
نقلت في زمان الحضور عن باقي الأئمة عليهم السلام. فلم نقبل بقية الروايات في
صورة توفرها على شرائط الحجية ولا نقبل التوقيعات أو نشكك فيها؟ إن
كانت كذلك.

فإذا تمت أسانيد التوقيعات لا بد من الأخذ بها عندما تنتفي وجداناً
أو تعبداً احتمالات التقية. وعندما ينتفي أيضاً وجود القرينة المانعة من
العمل بها من وجود رواية أخرى معارضة مكافئة لهذه المكاتبة أو أقوى
بنحو تُقدّم عليها وفق قواعد صنعة الاستنباط. أو مخالفة لدليل قرآني أو
قرينة عقلية، أو إعراض للمشهور عنها مع كونها بين أيديهم.

وهذا لا يكون من الضروري معرفة خط الإمام عليه السلام وكون التوقيع
بذلك الخط حتى يتساءل المتسائل: ومن قال إن هذا الخط هو خط
الإمام المعصوم عليه السلام؟ كما قيل.

وهل سجل الرواة عن الأئمة المتقدمين عليهم السلام أمثال زرارة ومحمد بن مسلم ويونس بن عبد الرحمن وأضرابهم صوت الإمام الباقر والإمام الصادق أو غيرهما من الأئمة عليهم السلام، وعرفنا هذا الصوت لنقبل منهم خبرهم بعد مطابقة الصوت؟ أم أن مجرد وثافتهم كفى في الاعتماد على ما نقلوه لنا. فلماذا نعتبر في التوقيعات هذا الشرط الإضافي دون بقية الروايات؟!

ومع كل ذلك سيأتي أن الخط كان معروفاً للخواص وأن المكاتبات كانت تخرج بنفس الخط المعروف.

طلب البيئنة من السفراء أمر مألوف:

إن من الطبيعي أن يتردد الإنسان في قبول الدعاوى الغريبة، بل من المألوف ردها لمجرد غرابتها، والناس لا تضع مثل هذه الأمور تحت مجهر الدقة العقلية، هذا إن كان لهم قلوب يعقلون بها أو أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون بها. ومن هنا احتاج الأنبياء عليهم السلام إلى المعجزات، فإن السفارة في الخلق عن الله تعالى أمر غاية في الغرابة. وكلما ازدادت غرابة الأمر كانت المعجزة أكثر لزوماً ومن سنخ مختلف، فحين يأتي بخلق النبي عيسى عليه السلام من غير أب وهو أمر لم يتكرر بعد خلق آدم وحواء كانت طريقة إثبات ذلك بشيء لا لبس فيها يشخصه الجاهل والعالم على حد سواء، فأنطقه الله تعالى في المهد صبياً، ومع معرفتهم السابقة بطهارة مريم عليها السلام والذي دعاهم إلى الاستغراب من مجيئها بمولودها إلا أن البرهان القاطع كان من خلال إنطاق وليدها حديث الولادة، فألقم الناس حجراً.

وحين تضيق الآفاق على النبي موسى عليه السلام ومن معه عندما سعى فرعون لإدراكهم، ينشق لهم البحر ليمضي بقومه بين طودين عظيمين من الماء، ثم يكون نفس طريق الإعجاز الذي أنقذ قوم موسى عليه السلام

طريق بوار وهلاك لفرعون وجيشه. وتلك المعجزة لم تكن لإتمام الحجة على قوم فرعون بلا شك، إذ لم يمهلهم الأجل لما بعدها كي يعتبروا بل لتكميل إيمان قوم موسى عليه السلام وإتمام الحجة عليهم، ومع ذلك لم يكتمل إيمانهم!

وهكذا حتى يصل الأمر إلى النبوة الخاتمة فاحتاجت أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله بالمعجزات، ولكن لأنه كان رسولاً ﴿كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ (سبأ: ٢٨) ولكونه ﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، و﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ (٣٦) ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (المدثر: ٣٦-٣٧) ولأن النبوة قد أوّصد باها به صلى الله عليه وآله، اقتضى ذلك أن تكون له معجزة تكسر حدود الزمان والمكان، فأنزل الله تعالى عليه القرآن مع التحدي الصارخ لكل المشككين، بل التحدي الذي يسم جباههم بوسم الذل والصغار حين جعل ساحة النزال أن يأتوا بسورة واحدة مثله.

وقد جرى الأمر في الأئمة عليهم السلام ولكن بمستوى أدنى، فبعد قبول نبوة النبي صلى الله عليه وآله كانت الإمامة أقل غرابة من نزول وحي واتصال بالسماء وإطلاع على الغيب، هذا مع إشارة النبي صلى الله عليه وآله إلى أهل بيته عليهم السلام بالحث على محبتهم وبيان أنهم عدل القرآن وأنهم لن يفتروا عنه وما إلى ذلك. لكن لكون الإمامة تسلب شرعية أنظمة حاكمة وقوى ظالمة، فإن تلك الطغم لم تأل جهداً في الوقوف بوجهها بتهديد ووعيد وخلق أجواء تشكيك، ووظف لذلك علماء وفقهاء باعوا دينهم بالدنيا ورضوا بدل الآخرة بالأولى، وتمكّنوا بذلك من صرف عامة الناس عن إمامة أئمة الهدى، فكانت الحاجة إلى ما يقطع الشك باليقين ويرد حبال الشياطين بين الفينة والأخرى. وكان حقاً طبيعياً أن يُطلب من الإمام عليه السلام شاهد الحق على إمامته.

حين يأتي الشامي إلى أبي عبد الله عليه السلام في الرواية المعروفة ويقول: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك. ويطول الكلام بينه وبين أصحاب الإمام عليه السلام إلى أن قال الشامي: فهل أقام لهم (الخلق) من يجمع كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله أو الساعة؟ قال الشامي في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء [والأرض] وراثته عن أب عن جد، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدالك. قال الشامي: قطعت عذري فعليّ السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا شامي، أخبرك كيف كان سفرك وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا»، فأقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «بل آمنت بالله الساعة، إن الإسلام قبل الإيمان...» الخبر (٢٤).

ولما وقعت الغيبة وظهر من يقول أو يقال له إنه سفير الإمام الغائب عن أعين الناس، كان الأمر بحاجة إلى إثبات ودعم مع خصوصية أن الأئمة عليهم السلام في زمن الحضور والنبوي صلى الله عليه وآله كانوا حين يأتون بما يقطع الشك باليقين يكتفون بمفرده في جمع من الناس، ولما كانت غيبة الإمام عليه السلام زمن أشد حالات التقية للخوف على الإمام عليه السلام كانت الدلائل على صدق قول السفير أنه سفير تظهر لآحاد الأفراد مع السعي إلى التكتم عليها. ولذلك كان طبعياً أن يكون كل من أراد الاتصال بالسفير بعنوان أنه سفير يطلب البيّنة والبرهان أنه كذلك.

وكيف كان فلنقف للنظر، هل جاء في التراث الشيعي ما يثبت وثاقة السفراء والوكلاء ليكون ذلك موجباً للركون إلى نقلهم أو لا؟

ما ورد في توثيق العمريين رحمهما الله:

لقد وردت جملة من الروايات الناصّة على وثاقة عثمان بن سعيد العمري وولده محمد وهما السفير الأول والثاني ومنها:

١ - أخبرني جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى عن أبي علي محمد بن همام الإسكافي قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (صلوات الله عليه) في يوم من الأيام، فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمثل؟ فقال لي (صلوات الله عليه): «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أذاه إليكم فعني يؤديه». فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم، فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في الحيا والمات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه».

قال أبو محمد هارون: قال أبو علي: قال أبو عباس الحميري: فكنا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلاله محل أبي عمرو^(٢٥). وهارون بن موسى هو ابن أحمد بن سعيد التلعكبري من بني شيبان، قال النجاشي: كان وجهاً من أصحابنا ثقة معتمداً لا يطعن فيه. ومحمد بن همام هو محمد بن أبي بكر همام بن سهيل، وقد قال الشيخ عنه: جليل القدر، ثقة.

وعبد الله بن جعفر علم في الوثاقة، وتبقى المشكلة في الجماعة الذين يروي عنهم الشيخ، ويقوى احتمال الصحة نظراً لكونهم جماعة.

٢ - وفي الرواية التي بعدها حين يلتقي عبد الله بن جعفر بأبي عمرو عند أحمد بن إسحاق قال له:

إن هذا الشيخ - أحمد بن إسحاق - وهو عندنا الثقة المرضي حدثنا فيك بكيك وكيت - واقتص عليه ما تقدم - وأنت الآن ممن لا يشك في قوله وصدقه، فأسألك بحق الإمامين الذين وثقتك هل رأيت ابن أبي محمد الذي هو صاحب الزمان عليه السلام؟ فبكي ثم قال: علي أن لا تخبر بذلك أحداً وأنا حي، قلت: نعم، قال: قد رأيت عليه السلام وعنقه هكذا... الخبر ^(٢٦).
فها هو عبد الله بن جعفر علي جلالته يقول اعتماداً علي خبر أحمد بن إسحاق: أنت الآن ممن لا يُشك في قوله وصدقه.

٣ - روى الكليني بسند صحيح عن أحمد بن إسحاق أنه سأل أبا محمد الحسن بن علي فقال: من أعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال عليه السلام له: «العمري (عثمان بن سعيد) وابنه ثقتان، فما أدباً إليك فغني يؤديان..» الحديث ^(٢٧).

٤ - محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عليه السلام عند أحمد بن إسحاق فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف فقلت له: يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاكّ فيما أريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجة وأغلق باب التوبة فلم يك ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله تعالى وهم الذين تقوم عليهم القيامة، ولكنني أحببت أن أزداد يقيناً، وإن إبراهيم عليه السلام سأل ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي، وقد أخبرني أبو علي أحمد بن



إسحاق عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته وقلت: من أعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال له: «العمري ثقتي فما أدّى إليك عنّي فعني يؤدّي وما قال لك عنّي يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون». وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك فقال له: «العمري وابنه ثقتان فما أدّى إليك عنّي فعني يؤديان وما قال لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان»، فهذان قولاً لإمامين قد مضيا فيك.

قال: فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى... الخبر^(٢٨).

والرواية صحيحة السند.

٥ - الشيخ الطوسي في الغيبة قال:

قال جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البزاز عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح في خبر طويل مشهور، قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال له: «اجلس يا عثمان»، فقام مغضباً ليخرج، فقال: «لا يخرجن أحد»، فلم يخرج منا أحد إلى أن كان بعد ساعة فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه فقال: «أخبركم بما جئتم؟» قالوا: نعم يا بن رسول الله، فقال: «جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي»، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»^(٢٩).



وجعفر بن محمد بن مالك قد وثّقه الطوسي وأحد من يروي عنهم وهو أحمد بن هلال ثقة أيضاً، ومجهولية علي بن بلال ومحمد بن معاوية والحسن بن أيوب لا تضر لأن أحمد بن هلال في عرضهم.

٦ - روى الشيخ بإسناده عن عبد الله بن جعفر، قال: خرج التوقيع إلى الشيخ جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري عليه السلام في التعزية بأبيه عليه السلام وفيه: «أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رزيت ورزينا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك، يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول الحمد لله فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عليك فيك وعندك وأعانك الله وقواك، وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً»^(٣٠).

ودلالاتها واضحة على وثاقته ووثاقة أبيه.

وطريق الشيخ إليه تام، فقد قال الشيخ: أخبر بجميع كتبه (عبد الله بن جعفر) ورواياته الشيخ المفيد عليه السلام عن أبي جعفر بن بابويه عن أبيه ومحمد بن الحسن عنه، وهذا الطريق تام، قال: وأخبرنا بها ابن أبي جيد عن ابن الوليد عنه وهو تام أيضاً إلا أن ابن أبي جيد يعدون حديثه صحيحاً أو حسناً.

ما ورد في الحسين بن روح عليه السلام:

هنا جملة من الشواهد مما ورد في السفير الثالث مما يدعم ما هو متسالم من وثاقته وسفارته للإمام عليه السلام.

ولكن لم يرد نص مباشر من المعصومين عليهم السلام بتوثيقه بالخصوص، لا هو ولا السمرى (رضوان الله عليهما)^(٣١) لأنهما لم يكونا في زمن الحضور بخلاف العمريين فقد عاصرا الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعاصر الأب



الإمام الهادي عليه السلام أيضاً. نعم، أدلة اختيارهما للسفارة وأن ذلك كان بأمر الإمام عليه السلام يدل بالالتزام على الوثيقة.

ومن الشواهد ما ورد:

في غيبة الطوسي، أخبرني الحيسن بن عبيد الله عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن داوود القمي عن أبي علي بن همام قال: أنفذ محمد بن علي الشلمغاني العزاكري إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله وقال: أنا صاحب الرجل وقد أمرت بإظهار العلم، وقد أظهرته باطناً وظاهراً فباهلني، فأنفذ إليه الشيخ في جواب ذلك: أينما تقدم صاحبه فهو المخصوص، فتقدم العزاكري فقتل وصلب وأخذ معه ابن أبي عون في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة^(٣٢).

والرواية صحيحة سنداً، فالحسين بن عبيد الله هو ابن الغضائري، ومحمد بن أحمد جليل القدر، شيخ القميين في وقته، وأبو علي بن همام هو محمد بن همام البغدادي جليل القدر أيضاً، عظيم المنزلة. وقد كان الحسين بن روح بمنزلة حتى أن الصدوق الأب كان يكتب له أن يسأل الناحية المقدسة.

فقد روى الشيخ الطوسي عن ابن نوح قوله: وحدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سَوْرَةَ القمي حين قدم علينا حاجاً، قال: حدثني علي بن الحسن بن يوسف الصائغ القمي ومحمد بن أحمد بن محمد الصيرفي المعروف بابن الدلال وغيرهما من مشايخ أهل قم: أن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه كانت تحته بنت عمّه محمد بن موسى بن بابويه فلم يرزق منها ولداً، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام أن يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقه أولاد فقهاء، فجاء الجواب: «إنك لا ترزق من هذه، وستملك جارية ديلمية وترزق منها ولدين فقيهين» الخبر^(٣٣).



قال السيد الخوئي في معجم رجاله بعد إيراد هذه الرواية: يظهر من الرواية الأخيرة أن قصة ولادة محمد بن علي بن الحسين بدعاء الإمام عليه السلام أمر مستفيض معروف متسالم عليه... إلى آخر كلامه.

وروى الصدوق في كمال الدين عن محمد بن علي الأسود رحمته الله قال: سألتني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رحمته الله بعد موت محمد بن عثمان العمري أن أسأل أبا القاسم الروحي رحمته الله أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته، فأبى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به وبعده أولاد... الخبر.

وليس في سندها إلا محمد بن علي الأسود وقد ترحم عليه الشيخ الصدوق وترضى عليه، فتكون الرواية تامة سنداً.

تسالم الطائفة على وثاقة السفراء:

لقد كانت وثاقة السفراء وجلالة قدرهم وعظم منزلتهم أمراً متسالم عليه بين علماء الطائفة ولم يقبل ذلك أي تشكيك من أهل الفن والاختصاص.

ورد في الغيبة للشيخ الطوسي:

وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد عليه السلام بالأمر والنهي والأجوبة عما تسأل الشيعة عنه، إذا احتاجت إلى السؤال فيه بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن سعيد رحمته الله وغسله ابنه أبو جعفر وتولى القيام به وحصل الأمر كله مردوداً إليه والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع



إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان رضي الله عنه (٣٤).

وفي الاحتجاج: أمّا الأبواب المرضيون والسفراء المدوحون في زمن الغيبة، فأولهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري نصبه أولاً أبو الحسن علي بن محمد العسكري، ثم ابنه أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فتولى القيام بأمرهما حال حياتهما ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان عليه السلام وكانت توقعات وجوابات المسائل تخرج على يديه. فلما مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب منابه في جميع ذلك، فلما مضى قام بذلك أبو القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، فلما مضى قام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري، ولم يبق أحد منهم بذلك إلا بنص عليه من قبل صاحب الأمر عليه السلام ونصب صاحبه الذي تقدم عليه، فلم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدل على صدق مقالتهم وصحة بايئتهم (٣٥).

وورد في خاتمة الوسائل في الفائدة السابعة:

وأما الجماعة الذين وثّقتهم الأئمة عليهم السلام وأثنوا عليهم، وأمروا بالرجوع إليهم، والعمل برواياتهم ونصبوهم وكلاء، وجعلوهم مرجعاً للشيعة فهم كثيرون، ونحن نذكر جملة منهم، وأكثرهم مذكور في كتاب الغيبة للشيخ، وقد تقدّم بعضهم في القضاء، ويأتي جملة أخرى منهم.

فمن أجلائهم وعظمائهم محمد بن عثمان العمري وعثمان بن سعيد العمري، والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري... إلى آخر كلامه.

وقال الشيخ الحائري في منتهى المقال بحق العمريين:

(حاله في العظمة والجلالة والثقة أظهر من أن يحتاج إلى بيان) (٣٦).



وقال المامقاني بحق عثمان بن سعيد: (جلالة شأن الرجل وعلو قدره ومنزلته في الإمامية أشهر من أن يحتاج إلى بيان وإقامة برهان)^(٣٧).
وفي غيبة الطوسي قال أبو العباس وأخبرني هبة الله بن محمد بن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري رحمته الله عن شيوخه قالوا: لم تنزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد رحمته الله وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان وتولى القيام به وجعل الأمر كله مردوداً إليه، والشيعة مجمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته ولا يرتاب بأمانته، والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كان يخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام [التي] ظهرت على يده، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة... إلى آخر كلامه^(٣٨).

وأبو العباس هو أحمد بن علي بن نوح وهو من مشايخ النجاشي وهو ثقة، وهبة الله هو هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب المعروف بابن برينة. وقد ذكر السيد الخوئي في معجم رجاله عن النجاشي أنه رأى أبا العباس بن نوح قد عول عليه في كتابه أخبار الوكلاء وكان هذا الرجل كثير الزيارات وآخر زيارة حضرها معنا - كما قال النجاشي - يوم الغدير سنة أربعمئة بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام^(٣٩).

كلمات الرجالين في حق السفير الثالث رحمته الله:

قال الشيخ الطوسي في مدح الحسين بن روح رحمته الله: وكان أبو القاسم من أعقل الناس عند المخالف والموافق ويستعمل التقية فروى أبو نصر



هبة الله بن محمد، قال: حدثني أبو عبد الله بن غالب وأبو الحسن بن أبي الطيب قالا: ما رأيت من هو أعدل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح^(٤٠).

وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمته: أحد رؤساء الشيعة في خلافة المقتدر، وله وقائع في ذلك مع الوزراء... إلى أن قال: وإنه كان كثير الجلالة في بغداد^(٤١).

وقال السيد الخوئي:

الحسين بن روح النوبختي أبو القاسم هو أحد السفراء والنواب الخاصة للإمام الثاني عشر وشهرته وجلالته وعظمته أغتتنا عن الإطالة في شأنه^(٤٢).

كلمات الرجالين في حق السفير الرابع رحمته الله:

لقد اتفقت كلمة أصحاب التراجم على وثاقه وجلالة أبي الحسن علي من محمد السمري.

فقد قال الحائري في منتهى مقاله:

علي بن محمد السمري من السفراء والنواب وجلالته تغني عن التعرض لحاله^(٤٣).

وقال الأصفهاني في ثقات الرجال:

رابع السفراء والنواب الأربعة للإمام الثاني عشر المنتظر الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام... إلى أن قال: فكفى في وثاقته وجلالة شأنه وعلو منزلته أنه منصوب من قبله عليه السلام بعنوان الخاص^(٤٤).

وقال المامقاني فيه:

هو السفير بعد أبي القاسم بن روح، وثقته وجلالته أشهر من أن تذكر وأظهر من أن تحرز فهو كالشمس لا يحتاج إلى بيان نوره بالحسن^(٤٥).

سكوت متقدمي الرجالين لا يسبب مغمزاً:

إن من اللافت أن بعض الأعظم من الرواة لم يتعرض لهم متقدمو الرجالين بجرح أو تعديل ومن أمثلة ذلك السفراء الأربعة أو بعضهم في الحد الأدنى، إلا أن ذلك لا يعني الجهالة في حال هؤلاء الأعظم، إذ بعض الرواة يكون بدرجة من عظم المنزلة بحيث يصبح توثيقه من نقل القول وتحصيل الحاصل، فالشمس الساطعة في نهار الأرض لا يحتاج إثباتها إلى دليل. وهكذا الحال في جملة من الأعظم، وهكذا استدل البعض على وثاقة بعض المسكوت عن توثيقهم في التراجم، كلقاسم بن عروة الذي استدل الميرزا جواد التبريزي في درسه على وثاقته بذلك، إذ نفس نقل عدد من أكابر الرواة عنه مع سكوت الرجالين عن التعرض لتوثيقه قد اعتبره دليلاً على وثاقته، وسكوت بعض مؤسسي علم الجرح والتعديل عن وثاقة السفراء الأربعة مع تداول مسألة سفارتهم بهذا المقدار من الاتساع لدليل واضح على أنهم فوق كل مغمز وأعظم من أن ينالوا بجرح في وثاقة النقل، وكفى بذلك شاهداً على الوثاقة.

عدم معرفة خط الإمام عليه السلام لا يمنع من الجزم بخروج التوقيع عنه:

ومن الشبهات التي تلقى في هذه الأيام فيما يرجع إلى توقيعات الإمام عليه السلام أنه لا يوجد شخص أطلع على خط الإمام عليه السلام ليعرف أنها خرجت منه، فقد تكون تلك رسائل من غيره وتنسب إليه.

وما أعجب مثل هذه الترهات، خصوصاً من منتسب إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولنبدأ أولاً بالروايات التي دلت على أن خطه عليه السلام كان معروفاً. أخبرني جماعة عن هارون بن موسى عن محمد بن همام قال: قال لي عبد الله بن جعفر الحميري: لما مضى أبو عمرو عليه السلام أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نكتب به بإقامة أبي جعفر عليه السلام مقامه (٤٦).



أخبرنا جماعة عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه وأبي غالب الزراري وأبي محمد التلعكبري كلهم عن محمد بن يعقوب عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فوقع التوقيع بخط مولانا صاحب الدار، وأمّا محمد بن عثمان العمري رحمته الله وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه كتابي^(٤٧).

وظاهر الرواية أن إسحاق بن يعقوب كان يعرف خط الإمام رحمته الله، كما أن جهالة الجماعة الذين رووا عن جعفر بن محمد بن قولويه قد لا تمنع من الاستناد إلى هذه الرواية، وذلك:

أولاً: لأنهم جماعة، فيقوى بحساب الاحتمال صدق أحدهم.

وثانياً: رووا عن ثلاثة، وظاهر السند أن الجماعة كلهم رووا عن الثلاثة ويبعد أن يكذب الجميع من خلال نسبة الخبر إلى الثلاثة كلهم.

وثالثاً: أن مضمون الرواية قد ورد في روايات معتبرة، ومن البعيد أن يتفق الثلاثة على الكذب في خصوص كلمة (بخط مولانا) ولا أثر كبيراً يترتب على ذلك - أي على قولهم مولانا - ليقال: إن هناك مادعا للجميع إلى إضافة هذه الكلمة عند وضعهم للرواية على فرض ذلك - إذ كأنه قال: فخرج التوقيع إذ كان الأتباع يفهمون أن المراد خط الإمام رحمته الله.

وإسحاق بن يعقوب قد روى الكشي توقيعاً يتضمن مدحه.

وذكر أبو نصر هبة الله بن محمد بن أحمد أن أبا جعفر العمري رحمته الله مات في سنة (٣٠٤ هـ) وأنه كان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة، فيحمل الناس إليه أموالهم، ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام إليهم بالمهات في أمر الدين والدنيا وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة (رضي الله عنه وأرضاه)^(٤٨).

وأبو نصر وإن لم ينص على توثيقه لكن ذكر النجاشي أن أبا العباس بن نوح قد عول عليه في كتابه أخبار الوكلاء وكان هذا الرجل كثير الزيارات...^(٤٩).

وكيف كان فالرواية صريحة في معرفتهم بالخط الذي كان يخرج التوقيع به. ثم أية حاجة إلى معرفة خط الإمام عليه السلام لنقبل توقيعه؟ وهل سجّل الرواة فيما سبق أصوات الأئمة عليهم السلام وأسمعوها للناس الذين كانوا يعرفون صوت الإمام عليه السلام لأجل أن يقبلوها؟ ما لكم كيف تحكمون؟ إن مجرد وثيقة الطريق كافية للاعتماد، بل لم تكتف الناس بالوثيقة فقط حتى قطعوا الشك باليقين. وقد قال الطبرسي في الاحتجاج:

(فلم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم، من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدل على صدق مقالتهم وصحة نيابتهم)^(٥٠).

وهذا ما يحتاج إلى بيان مقدمته ومآله.

إن ميزة الإنسان التي أهّلتها للاستخلاف في الأرض دون سواه من المخلوقات بما في ذلك الملائكة تتمثل في قابليته للتعلم، ومن هنا حين أراد الله تعالى أن يرفع منشأ التساؤل والشك في نفوس الملائكة عند تساؤلهم عن الحكمة في اختياره دونهم لهذه المسؤولية الكبرى أظهر لهم من خلال موقف عملي قابلية الإنسان للتعلم بعد أن علّمه الأسماء كلها، ولم يقع بعد ذلك تساؤل منهم إذ ارتفع المنشأ.

ويبقى سعي الإنسان للاستزادة المعرفية ملازماً له إلى آخر لحظة في عمره، إذ إن الله تبارك وتعالى قد أعمل التكوين من خلال خلقه هذا النوع متّصفاً بحب الاطلاع لأن ذلك عنصر أساسي في عملية ارتقائه وتكامله، الذي هو غاية لخلقه.



ولما كانت المعرفة أسيرة البرهان والاستدلال في أغلب الحالات، كان الشارع المقدس يبحث على التفكير والتدبر والسعي لطلب العلم، والإشادة بالعلماء والمتعلمين.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩).

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).
وكان مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء، والملائكة تخفض أجنحتها لطالب العلم، ومن هنا أيضاً تكفل الله تعالى تهيئة ما يوصل الناس إلى المعتقد الحق.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

ومن هنا أيضاً كان حقاً للناس على الأنبياء أن يأتوهم بالآيات والبيّنات والشواهد التي لا تقبل الشك على صدق مدّعاهم.

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (الأعراف: ١٠١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُواهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (الروم: ٤٧).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ (الحديد: ٢٥).

لا يقبل في الإيمان إلا ما كان مبتنياً على رؤية واضحة وبرهان مبين، وما سواه يكون مورداً للسؤال والمؤاخذه.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٦٨).

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

لقد شق الله تعالى البحر وأنطق عيسى عليه السلام في المهدي صبياً ومُنعت النار



عن حرق إبراهيم عليه السلام وسخرت الرياح غدوها شهر ورواحها شهر لسليمان عليه السلام ورفع الجبل فوق بني إسرائيل كأنه ظلّة، ودعيت الشجرة فجاءت تحذ الأرض سعياً للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وغير ذلك من مئات المعاجز التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام للبشر، لأن الله تعالى لم يرد من الناس أن يؤمنوا دون برهان واضح ودليل بيّن. فهل تراه تعالى يريد منا الاعتقاد بممثل للإمام وسفير له في خلقه دون أن يفتح للناس باب طلب ما يمكن أن يكون فيصلاً في إثبات حقانية الدعوى أو زيفها؟ خصوصاً والمسألة مما يكثر فيها الادّعاء من طلاب الدنيا والمورد مورد مغمز للمشككين.

إن مجرد نقل خبر أو حادثة قد لا يحتاج أكثر من الوثيقة وتلك حالة نعيش تطبيقاتها في كل يوم تقريباً وجرت عليها طريقة العقلاء وارتضاها الشارع المقدس في التعامل مع ما ينسب إليه حين أمضى هذه السيرة ولم يردع عنها، وقد قال جمع من علمائنا بدلالة الآية الشريفة ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: ٦) على حجية خبر العادل وربما عمّم ذلك إلى كل ثقة.

ولكن في الأمور العظيمة لا يكتفى بمجرد الوثيقة. ولذا لم يقبل الناس نبوة النبي صلى الله عليه وآله بمجرد وثاقته مع أنهم كانوا يعرفونه بصفة الصادق الأمين. بل يمكن تعميم ذلك إلى كل الأنبياء عليهم السلام حيث إنّنا نعتقد بعصمتهم حتّى في فترة ما قبل النبوة مما يعني بحسب العادة ثبوت الوثيقة والصدق والأمانة في النقل عند من يعرفهم، ومع ذلك لم تكتف الناس بذلك حتّى جاءتهم المعجزات، بل لم يكلّفهم الله تعالى بالإيمان إلاّ بعد البرهان القاطع، إذ كان الإرسال بالآيات.

بل لم يقتصر الشارع المقدس في نبوّات الأنبياء ووصاية الأوصياء على بلاغ وإعلام من نبي ثبتت نبوّته أو إخبار من وصي قام الدليل القطعي على كونه وصياً.



وهكذا هي السفارة، نعم لا يعتبر أن يأتي هو بمعجزة بل يكفي أن يأتي معه برهان على ذلك ولو كان الذي أتى به هو الإمام عليه السلام، وهذا ما حدث كثيراً حين كان السفير ينقل إلى الناس بعض ما يخفى على عاقتهم، وقد يكون بعض ما يقوله لهم مما كان شاهداً على صدق سفارته تفصيلاً أخذه من الإمام عليه السلام.

وبعض هذه الإخبارات وإن لم تكن بمثابة الدليل البرهاني القاطع. إلا أن ما كان في السفراء قد يشكّل موجباً للاطمئنان عند الكثير من الناس أولاً، وثانياً أنه لم يقتصر عليه بل أضيفت له وثاقتهم المشهود عليها حتى من الأئمة المعصومين عليهم السلام، وعدم الخطأ في النقل: «ما أديا إليك فعني يؤديان»^(٥١). وخط الإمام عليه السلام الذي يعرفه خواصهم حيث كانت الكتب تخرج به، وعدم كونهم ذوي قرابة مع بعضهم إلا السفير الأول والثاني، وإخبار الرابع منهم أنه آخر هذه السلسلة، وغير ذلك من الشواهد والدلائل التي يجزم من خلالها بأنهم لم يحكوا من أنفسهم وإنما كانوا واسطة بين الإمام المعصوم عليه السلام وشيعته، فهي كانت بمثابة التمهيد لسدّ باب التواصل ولو بالواسطة مع الإمام الغائب عليه السلام.

وقد كانت الشيعة تطالب المدّعين - عندما يشكون فيهم - بالأشياء الخارقة للتمييز بين دعوى الحق وفرية الباطل، وفي الرواية:

أخبرنا الحسين بن إبراهيم، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي عليه السلام ممن تجوز عليه مخرقة وتتم عليه حيلته، فوجّه إليه استدعيه، وظنّ أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقد رأى^(٥٢) يستجره إليه فيتمخرق ويتسوف

بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدّر أبي سهل في أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام - وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره - وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أني رجل أحب الجوّاري وأصبو إليهن، ولي منهن عدة أتخطهن والشيب يبعدي عنهن وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة، وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك، وإلا انكشف أمرى عندهن، فصار القرب بعداً والوصول هجرأ، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيّتي سوداء، فأني طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنزبه عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه ^(٥٣).

وفي رواية عن كمال الدين، قال: حدثنا أبو الأديان...

فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي (صلوات الله عليه) فعرفوا موته فقالوا: فمن نعزي؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي، فسلموا عليه وعزّوه وهنّأوه وقالوا: معنا كتب ومال، فتقول ممن الكتب وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: يريدون منّا أن



نعلم الغيب. قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهيمان فيه ألف دينار، عشرة دنانير منها مطلسة، فدفعوا الكتب والمال، وقالوا: الذي وجه بك لأجل ذلك هو الإمام^(٥٤).

في أخرى لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام وقد من قم والجبال وفوداً بالأموال التي كانت تحمل على الرسم، ولم يكن عندهم خبر وفاته عليه السلام، فلما أن وصلوا إلى سُر من رأى سألوا عن سيدنا الحسن بن علي عليه السلام فقيل لهم: إنه قد فُقد، قالوا: فمن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي، فسألوا عنه، فقيل لهم: قد خرج متزهاً وركب زورقاً في الدجلة يشرب ومعه المغنون.

قال: فتشاور القوم وقالوا: ليست هذه صفات الإمام. وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا لترد هذه الأموال على أصحابها، فقال أبو العباس محمد بن جعفر الحميري القمي: قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره على الصحة.

قال: فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن قوم من أهل قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها، وكنا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام الأموال، فقال: وأين هي؟ قالوا: معنا. قال: املوها إليّ، قالوا: إن لهذه الأموال خبراً طريفاً. فقال: وما هو؟ قالوا: إن هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليها، وكنا إذا وردنا بالمال قال سيدنا أبو محمد عليه السلام: «جملة المال كذا وكذا ديناراً، من فلان كذا، ومن فلان كذا»، حتى يأتي على أسماء الناس كلهم ويقول ما على الخواتيم من نقش، فقال جعفر: كذبتهم، تقولون على أخي ما لم يفعله، هذا علم الغيب... الخبر^(٥٥).



وهناك موارد عديدة كانت تظهر دلائل الصدق وشواهد الحق من دون سعي للاختبار من قبل السائل، كان يخبره السفير أو الوكيل بما أضمره في نفسه أو يأتي الجواب في رقعة التي طلبها مع الإشارة إلى شيء مما يثبت أن من جاء بالرقعة لم يأت بها من نفسه.

أو يخبره عن شيء سيحصل له في قادم الأيام أو يدعو له بأمر فيقضى.

وما أكثر ما ذكرته الروايات في ذلك، ومثاله:

ما رواه الصدوق في كمال الدين عن محمد بن علي الأسود رحمته الله قال: سألتني علي بن الحسين بن بابويه رحمته الله بعد موت محمد بن عثمان العمري أن أسأل أبا القاسم الروحي رحمته الله أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته فأهني ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به وبعده أولاد.

قال أبو جعفر محمد بن علي الأسود: وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن أرزق ولداً ذكراً، فلم يجبني إليه، وقال: ليس إلى هذا سبيل، قال: فولد لعلي بن الحسين رحمته الله تلك السنة ابنه محمد وبعده أولاد ولم يولد لي ^(٥٦).

والرواية تامة سنداً، إذ ليس في سندها إلا محمد بن علي الأسود، ويكفي لقبول روايته ترضي الصدوق عليه، ومحل الاستشهاد بالرواية إخبار الصدوق الأب أنه سيرزق ولداً مباركاً ينفع الله به وبعده أولاد. ومثاله الآخر:

ما رواه الصدوق عن شيخه الحسين بن علي بن محمد القمي المعروف بأبي علي البغدادي، قال: كنت ببخارى فدفعت إليّ المعروف بابن جاوشير سبائك ذهب وأمرني أن أسلمها بمدينة السلام إلى الشيخ أبي القاسم



الحسين بن روح (قدس الله روحه)، فحملتها معي.

فلما بلغت أموية - وهو نهر يجري بين خراسان وتركستان قريباً من خوارزم - ضاعت مني سبيكة من تلك السبائك، ولم أعلم بذلك حتى دخلت مدينة السلام، فأخرجت السبائك لأسلمها فوجدتها ناقصة واحدة منها، فاشتريت سبيكة مكانها بوزنها وأضفتها إلى التسع سبائك، ثم دخلت على الشيخ أبي القاسم الروحي (قدس الله روحه)، ووضعت السبائك بين يديه، فقال لي: خذ لك تلك السبيكة التي اشتريتها وأشار إليها بيده، فإن السبيكة التي ضيعتها قد وصلت إلينا، وهو ذا هي، ثم أخرج إليّ تلك السبيكة التي كانت ضاعت مني بأموية، فنظرت إليها وعرفتها.

وقال الحسين بن علي بن محمد المعروف بأبي علي البغدادي: ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألته عن وكيل مولانا عليّ من هو؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح وأشار إليها، فدخلت عليه وأنا عنده، فقالت له: أيها الشيخ أي شيء معي؟ فقال: ما معك فألقيه في دجلة ثم ائتينني حتى أخبرك، قال: فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته في دجلة، ثم رجعت ودخلت إلى أبي القاسم الروحي (قدس الله روحه) فقال أبو القاسم لمملوكة له: أخرجني إلى الحق، فأخرجت إليه حقة فقال للمرأة: هذه الحقة التي كانت معك ورميت بها في الدجلة أخبرك بما فيها أو تخبريني؟ فقالت له: بل أخبرني أنت، فقال: في هذه الحقة زوج سوار ذهب، وحلقة كبيرة فيها جوهرة، وحلقتان صغيرتان فيهما جواهر، وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق. فكان الأمر كما ذكر، لم يغادر منه شيئاً. ثم فتح الحقة، فعرض عليّ ما فيها فنظرت المرأة إليه، فقالت: هذا الذي حملته بعينه ورميت به في



دجلة، فغشي علي وعلى المرأة فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة^(٥٧).
وليس في السند إلا الحسين بن علي بن محمد القمي وهو شيخ
الصدوق.

ونكتفي بهذا المقدار لأننا لسنا بصدد الاستقصاء وجمع كل الشواهد
على ذلك، وهذه الرواية الأخيرة وإن كانت المرأة بصدد الاختبار، إلا أن
السفير الثالث أظهر صدق محله بالإتيان بشيء آخر أكثر مما طلبته.

الهوامش

٩. الكافي: ج ١، ص ٥٢١.
 ١٠. الإرشاد: ج ٢، ص ٣٦٤.
 ١١. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٣٠٠.
 ١٢. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٢٩٥-٢٩٦.
 ١٣. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٨٨، باب ذكر التوقيعات، ح ١١.
 ١٤. أصول الكافي: ج ١، ص ٥٢٥.
 ١٥. غيبة الطوسي: ص ٢٨٤، رقم ٢٤٤.
 ١٦. كمال الدين: ج ٢، ح ٤٤٢.
 ١٧. كمال الدين: ج ٢، ح ٤٤٤.
 ١٨. ج ٢، باب ذكر التوقيعات، ح ٢٠.
 ١٩. غيبة الطوسي: رقم ٣٦٨.
 ٢٠. غيبة الطوسي: ص ٣٩٧، رقم ٣٦٨.
 ٢١. غيبة الطوسي: ج ١، ص ٣٩٧.
 ٢٢. قال الكشي علي بن محمد بن قتيبة: قال حدثني أبو حامد المراغي، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال، وكان ابتداء ذلك أن كتب بالحمد إلى نوابه (قوامه) بالعراق: «احذروا الصوفي المتصنع». قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد حج أربعاً وخمسين حجة، وعشرون منها على قدميه، قال: وقد كان رواة أصحابنا بالعراق لفقوه وكتبوا منه، فأنكروا ما ورد في مذمته، فحملوا القاسم بن العلاء على أن يراجع في أمره، فخرج إليه: «قد كان أمرنا نفذ إليه في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت ولم يزل - لا غفر الله له ذنبه ولا أقاله عثرته - يداخل في أمرنا بلا إذن منا ولا رضئ يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا (من ذنوبه) لا يمضي من أمرنا إياه إلا بما يهواه ويريده أرداه
- الله بذلك في نار جهنم، فصبرنا عليه حتى بتر الله بدعوتنا عمره، وكنا قد عرفنا خبره قوماً من مواليها في أيامه - لا رحمه الله - وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من مواليها، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال - لا رحمه الله ولا من لا يبرأ منه - وأعلم الإسحاقى - سلمه الله - وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألَكَ ويسألَكَ عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك، فإنه لا عذر لأحد من مواليها في التشكيك فيما روى عنا ثقاتنا...».
- قال: وقال أبو حامد: ثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، فعاودوه فيه، فخرج «لا أشكر الله قدره، لم يدع المرء ربه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما من به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً، وقد علمت ما كان من أمر الدهقان - عليه لعنة الله - وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله والحمد لله لا شريك له وصلى الله على محمد وآله وسلم» [معجم رجال الحديث: ج ٢، ص ٣٥٦-٣٥٧].
٢٣. والتوقيع الذي خرج بلعنه مع آخرين كان على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله ونسخته «عرف - أطال الله بقاءك وعرفك الله الخير كله وختم به عملك - من تثق بدينه وتسكن إلى نيتته من إخواننا أدام الله سعادتهم بأن (محمد بن علي المعروف بالشلمغاني) عجل الله له النقمة ولا أمهله قد ارتد عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالف جل وتعالى، وافترى

الهوامش

- كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً، وإنّا برئنا إلى الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه، ولعلّناه عليه لعائن الله تترى، في الظاهر منا والباطن، في السر والجهر وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى كل من شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على متولاه بعده.
- أعلمهم تولّك الله أننا في التوخي والمحاذرة منه على مثل ما كنّا عليه ممن تقدّمه من نظرائه من (السريعي والنميري والهلالى والبلالى) وغيرهم. وعادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة وبه نشق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل» [الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩٦].
٢٤. الكافي: ج ١، ص ١٧٢-١٧٤.
٢٥. غيبة الطوسي: ٣١٥.
٢٦. غيبة الطوسي: ج ٣١٦.
٢٧. الكافي: ج ١، باب في تسمية من رآه.
٢٨. الكافي: ج ١، ص ٣٢٩-٣٣٠.
٢٩. غيبة الطوسي: رقم ٣١٩.
٣٠. غيبة الطوسي: في ذكر السفراء الممدوحين: ج ٩.
٣١. نعم ورد نص من المعصوم في حق السمري لكن زمان خروجه في عام (٣٠٥هـ) في شهر متأخر عن رحيل السفير الثاني مما يعني أن التوقيع قد خرج على يد السفير الثالث نفسه، ولا يمكن الاستناد إليه لإثبات الوثيقة لاستلزام ذلك الدور.
٣٢. غيبة الطوسي: ٣٠٧، رقم ٢٥٨.
٣٣. الغيبة للطوسي: ٣٠٩، رقم ٣٦٢.
٣٤. الغيبة: ٣٥٦-٣٥٧، رقم ٣١٨.
٣٥. الاحتجاج: ج ٢، ص ٥٥٣.
٣٦. منتهى المقال: ج ٦، ص ١٠٨.
٣٧. تنقيح المقال: ج ٣، ص ١٤٩.
٣٨. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٣٥٠.
٣٩. معجم رجال الحديث: ج ١٩، ص ٢٥٢.
٤٠. غيبة الطوسي: ص ٣٨٤.
٤١. لسان الميزان: ج ٣، ص ٢٨٣.
٤٢. معجم رجال الحديث.
٤٣. ج ٥، ص ٥٧.
٤٤. ثقات الرواة: ج ٣، ص ٦٠.
٤٥. تنقيح المقال: ج ٢، ص ٣٠٥.
٤٦. غيبة الطوسي: ص ٣٦٢، رقم ٣٢٤.
٤٧. غيبة الطوسي: ص ٣٦٢، رقم ٣٢٦.
٤٨. غيبة الطوسي: ص ٣٦٦، رقم ٣٣٤.
٤٩. رجال النجاشي.
٥٠. الاحتجاج: ج ٢، ص ٥٣٣، ح ٣٤٨.
٥١. الغيبة - الشيخ الطوسي: ج ١، ص ٢٦٧.
٥٢. هكذا في البحار.
٥٣. غيبة الطوسي: ص ٤٠١، ح ٣٧٦؛ البحار: ج ٥١، ص ٣٦٩-٣٧٠.
٥٤. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٦٨.
٥٥. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٤٧-٤٨.
٥٦. كمال الدين: ج ٢، ص ٥٠٢، ب ذكر التوقعات: ح ٣١.
٥٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٥١٨، ذكر التوقعات، ح ٤٧.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

رسالة في حديث سلسلة الذهب برواية الإمام المهدي عليه السلام بطرق محدثي أهل السنة والجماعة

السيد محمود المقدس الغريفي

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين
أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله الذي قال: «المهدي من ولدي - المهدي من عترتي
من ولد فاطمة^(١)»، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً
وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة، حتى تضلّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك
يقبل كالشهاب الثاقب فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(٢).
وعلى الأئمة الطيبين الطاهرين آباء المهدي عليه السلام الذين بشروا به
كجدهم النبي صلى الله عليه وآله ومهدوا الغيبتة بين شيعته بأحاديث كثيرة حتى لا يفتنوا
بعده، كما روي عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «ولكني فكرت
في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي
يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وتكون له غيبة وحيرة
يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون»^(٣)، وعن أبي عبد الله الحسين بن
علي عليه السلام قال: «إن لصاحب هذا الأمر - يعني المهدي - غيبتين إحداهما
تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم: ذهب، حتى لا يبقى على
أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا



غيره، إلا المولى الذي يلي أمره»^(٤)، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لصاحب هذا الأمر غيبتان، إحداهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال: هلك في أي وإد سلك»، قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: «إذا ادّعاها مدّع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله»^(٥)، ومن رسالة الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى والد الشيخ الصدوق، منها: «وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله، أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر»^(٦).

والصلاة والسلام على مهدي هذه الأمة ومخلصها من الرجس والطاغوت الإمام محمد بن الحسن عليه السلام، الذي قال فيه جده صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من ولدي، يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٧).

وعلى أصحاب المهدي وشيعته المنتظرين بإخلاص للقاءه، الذين قال فيهم الإمام زين العابدين عليه السلام: «إن أهل زمان غيبتة، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره، أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً»^(٨). وإلى خروجه يوم الصيحة وبعد خروج السفيناني، كما وعدنا عليه السلام: «وسياتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر»^(٩)، فإنهم يرونه بعيداً ونحن نراه قريباً، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «كذب الوقاتون، وهلك المستعجلون، ونجا



المُسْلِمُونَ»^(١٠)، وقال عليه السلام: «طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا، فلم يزغ قلبه بعد الهداية»^(١١)، وبعد:

فقد اتفق المسلمون على أصل قضية الإمام المهدي عليه السلام، وعلى وجوب الإيمان بها، وأنه من أهل البيت عليهم السلام، ووجوب الاعتقاد بحتمية قيام دولته آخر الزمان وانتصارها على الظلم والفساد في الأرض، بعد أن يهبط عيسى عليه السلام ويقتدي به في الصلاة ويلازمه في مسيرته، كما بشر به جده رسول الله صلى الله عليه وآله في أحاديث بلغت حد الاستفاضة، إن لم تكن متواترة.

إلا أن الخلاف وقع بين المذاهب الإسلامية في عدة مسائل ومنها: أن الإمام المهدي عليه السلام هل هو مولود أم أنه سيولد في مستقبل الأيام؟ فقد أجمع الشيعة الإمامية الاثنا عشرية وبعض من علماء أهل السنة والجماعة ومعظم علماء الأنساب على ولادته في سامراء سنة (٢٥٥هـ)، معتمدين في ذلك على جملة كبيرة من الأدلة والروايات الصحيحة التي تثبت ولادته عليه السلام وغيرها الكثير التي يعضد بعضها بعضاً، وأنه غاب عن الأنظار - بعدما طلب دمه من حكام الجور والضلال - إلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور بعد أن تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيظهر ليملاًها قسطاً وعدلاً بأمر الله عز وجل.

في الحين الذي كان معظم أهل السنة والجماعة قائلين بأنه عليه السلام لم يولد بعد، وأنه سيولد في مستقبل الأيام، وأن الله عز وجل يبعثه في آخر الزمان، ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً.

كما اختلفوا في بعض التفاصيل الأخرى لشخصيته، كاختلافهم في اسم أبيه، أهو عبد الله أم الحسن كما تقول به الشيعة، أو أنه من أحفاد الإمام الحسن بن علي عليه السلام؟ أم من أحفاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام؟ وغير ذلك.

وأما من شكك في قضية الإمام المهدي ﷺ وأنكرها أصلاً فهم بعض الشواذ ممن حملتهم العصية المذهبية على إنكار كل ما يختص بأهل البيت ﷺ ويتمسك به شيعتهم، كابن خلدون وغيره، ومن المعاصرين كأحمد أمين المصري، ومحمد أبو زهرة، ومحمد فريد وجدي وغيرهم^(١٢)، وهذا الأمر مما لا يخفى على من وقف على كتبهم وتمعن بأرائهم.

وعليه فإن المسلمين عموماً متفقون على قضية الإمام المهدي ﷺ وأنه من أصول وثوابت الفكر الإسلامي، ولكنهم مختلفون في ولادته وغيبته، فلو كان الإمام المهدي ﷺ مولوداً كما تقول الشيعة الإمامية فهو غائب إلى الآن، وإلا فإنه لم يولد ولا غيبة له كما يقول أهل السنة والجماعة.

ومن الأدلة الكثيرة التي تشير إلى وجود الإمام المهدي ﷺ وأنه مولود وغائب محجوب عند محدثي أهل السنة والجماعة، حديث (سلسلة الذهب) الذي رواه كبار علماء ومحدثي أهل السنة والجماعة بأسنادهم عن الإمام المهدي المحجوب ﷺ بسنده عن آبائه الأقطاب ﷺ عن جده سيّد الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ قال: «أخبرني جبرئيل سيّد الملائكة قال: قال الله تعالى سيّد السادات: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من أقرّ بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي».

وقد توقف بعض أهل السنة والجماعة في دلالة الحديث ومضمونه، - بعد العجز عن الطعن في سنده النقي الخالص وكأنه الذهب الصافي، حتى عُرف بحديث (سلسلة الذهب) - وأنه كيف يمكن ترك الأعمال العبادية ونحوها والاتكال على لفظ التوحيد! وهذا اشتباه وقصور منهم في فهم المراد؛ لأنه يُقصد من لفظ التوحيد لا لقلقة اللسان منه فقط، وإنما يُراد صدق التوحيد الخالص في النفس ويُقصد حقيقته الذاتية التي تقابل حب الدنيا والمال والبنين والشهوات والرئاسة والسلطة ونحو



ذلك من المغريات التي قد يتشبث بها الإنسان ويغتر بها مما يضعها في صفٍّ مقابل أو موازٍ لحب الله تعالى ووجدانيته، وإن لم يعلن الإنسان ذلك قولاً ولفظاً، بل قد يتبرأ من ذلك، ولكنه يُلحظُ على نحو العمل والحالة النفسية الداخلية ملتزماً به في الأعم الأغلب إلا من رحمه الله سبحانه وتعالى، وتنزيه المولى عن التجسيم والتشبيه والتفويض ونحوها، مع الإيمان الخالص البعيد عن التشكيك.

هذا، وإنَّ أصل حديث (سلسلة الذهب) ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عند مروره بنيسابور وطلب منه محدثوها رواية بسنده عن أجداده الطاهرين الأكرمين، قد رواه كثير من المحدثين وأثبته العديد من المصنفين، فقد أورده ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة)، والقضاعي في (مسند الشهاب)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق)، والزرندي الحنفي في (معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول)، والسيوطي في (الجامع الصغير)، والمتقي الهندي في (كنز العمال)، والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) وغيرهم كثير.

وقال أبو نعيم الأصبهاني^(١٣) (ت ٤٣٠ هـ) في كتابه (حلية الأولياء): هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق^(١٤).

فضلاً عن استفاضته في مصنفات الشيعة الإمامية وعند محدثيهم بأسانيدهم المعتبرة والصحيحة عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولكن بإضافة: «**بشروطها، وأنا من شروطها**» كما رواه الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتبه وغيره^(١٥).

فقد روى الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السلام) قال:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي قال: حدثنا محمد بن الحسين الصولي قال: حدثنا يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال: لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارة فأطلع رأسه وقال: «سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: سمعت الله تعالى يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»، قال: فلما مرّت الراحلة نادانا «بشروطها، وأنا من شروطها».

قال الشيخ الصدوق رحمته الله: من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله تعالى على العباد مفترض الطاعة عليهم^(١٦).

وقد أورد الحاكم النيسابوري^(١٧) صاحب كتاب (تاريخ نيسابور): أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى، فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به. فاستوقف غلماناً وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعتهم، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون، ما بين باكٍ وصارخٍ، ومتمرِّغٍ



في التراب ومقبّل حافر بغلته، وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس، انصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملي أبا زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي. فقال علي الرضا عليه السلام: «حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء، عن أبيه علي المرتضى، قال: حدثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: حدثني جبريل عليه السلام، قال: حدثني رب العزة سبحانه وتعالى، قال: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي». ثم أرخى الستر على المظلة وسار، قال: فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً^(١٨).

وروى الشيخ الصدوق رحمته الله أيضاً بسنده: حدثنا أبو سعيد محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر النيسابوري بنيسابور قال: حدثني أبو علي الحسن بن علي الخزرجي الأنصاري السعدي قال: حدثنا عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي قال: كنت مع علي بن موسى الرضا عليه السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمد بن رافع وأحمد بن الحرث ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وعدة من أهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته المربعة فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك فأخرج رأسه من العمارية وعليه مطرف خز ذو وجهين، وقال: «حدثنا أبي العبد الصالح موسى بن جعفر قال: حدثني أبي الصادق جعفر بن محمد قال: حدثني أبي أبو جعفر [محمد] بن علي باقر علوم الأنبياء قال: حدثني أبي علي بن الحسين سيد العابدين، [قال:] حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرائيل يقول:

قال الله ﷻ: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمن من عذابي» (١٩).

وقال أبو القاسم القشيري المتوفى سنة (٤٦٥ هـ) في (الرسالة القشيرية): اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض الأمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يُدفن معه في قبره، فرؤي بالنوم بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر الله لي بتلقّظي بلا إله إلا الله، وتصديقي بأنّ محمداً رسول الله، مخلصاً، وإني كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيماً واحتراماً (٢٠).

فعرف واشتهر هذا الحديث بحديث (سلسلة الذهب)؛ لأن أسناده عن أئمة أهل البيت الأطهار ﷺ، وقد وصفوه بأنه سعوط المجانين، ما استنشقه مجنون إلا أفاق، إنه عطر الرجال ذوي الألباب (٢١).

وقد روي عن أحمد بن حنبل أنه قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه. فقد روي حديثاً عن الإمام الكاظم ﷺ جاء سنده: حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: فقال أحمد: هذا إسناد لو قرئ على المجنون لأفاق (٢٢).

وكذلك لما روى أبو الصلت الهروي رواية عن الإمام علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ، وكان هناك ابن أحمد بن حنبل فبهره ذلك السند، فقال: ما هذا؟! هذا سعوط المجانين، لو تداوى به المجنون لأفاق (٢٣).

وقد كتب الناس هذا الحديث الشريف بسنده على أبواب بيوتهم،



وطرزوه في أكفانهم، تيمناً وتبركاً بهذا السند الذهبي الخالص، والنقي الطاهر.

وقد صنف المرتضى الزبيدي^(٢٤) (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب كتاب (تاج العروس) كتاباً أسماه (الإسعاف بالحديث المسلسل بالأشراف) جمع فيه طرق هذا الحديث، ولم يبعث من خرجه^(٢٥).

هذا، وقد روى هذا الحديث الشريف الحافظ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري (ت ٢٣٩ هـ) عن الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام بسنده عن آبائه الطاهرين، في لقائه معه في مكة المكرمة - كما سيأتي -.

وقد ذكر الحافظ عبد العزيز الجنازدي^(٢٦) (ت ٦١١ هـ) في (معالم العترة النبوية) أن الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) أخرجه في (تاريخ نيسابور) عن البلاذري؛ وقال: لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ^(٢٧).

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ): وأخرجه أيضاً الحاكم النيسابوري في الجزء المعروف بـ(فوائد الفوائد) من طريق البلاذري.

وأخرجه أبو عثمان سعيد بن محمد البحيري^(٢٨) (ت ٤٥١ هـ) في كتابه (الأحاديث الألف التي يعز وجودها) عن أبي محمد عبد الله بن أحمد الرومي (ت ٣٩٣ هـ)، عن البلاذري^(٢٩).

وأخرجه ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، ثم قال: كذا وقع هذا الحديث بهذا السياق، من (المسلسلات السعيدة)^(٣٠)، والعهدة فيه على البلاذري، والله أعلم^(٣١).

وأخرجه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي^(٣٢) (ت ٨٤٢ هـ) في (مسلسلاته - نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار) بسنده إلى أبي عبد الله الحاكم النيسابوري عن أبي محمد الحافظ البلاذري^(٣٣).

ثم رواه عن البلاذري أيضاً بسند مسلسل جملة كبيرة من علماء أهل السنة والجماعة ممن شهد لهم الأعلام الكبار بالتقوى والورع، والأستاذية والمشیخة، الذين يؤخذ بقولهم ويتمسك بسيرتهم ونهجهم كما سترى في تراجعهم إن شاء الله، وقد أثبتته الكثير منهم ومن غيرهم في كتبهم الحديثية ومسلسلاتهم.

فإنهم رووا هذا الحديث عن الإمام المهدي المحجوب عليه السلام مسلسلاً كابرأ عن كابر، وشيخاً عن شيخ، وأثبتوه في كتب مسلسلاتهم الحديثية بإيمان وتصديق، واعتزاز وافتخار به، ولو كان فيه شك أو ريب لما دونوه ولا رووه ولا أجازوا روايته للآخرين، ولا استنكروا ثبوت مثل هذا الحديث عن رجل لم يولد بعد، بل لا أقل: كان الشك والتأمل في روايته.

وهذا دليل واضح على إيمان هؤلاء الأعلام المحدثين واعترافهم بولادة الإمام المهدي بن الحسن عليه السلام، وأنه غائب محجوب عن الأنظار، فيكون هذا الحديث حجة عليهم وعلى غيرهم في إثبات ولادته عليه السلام وغيبته، من باب (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)^(٣٤)، فإنهم ملزمون بترتيب الآثار على اعتقادهم، وهذا كالإقرار منهم، فإنه يلزم نفسه تحمل المسؤولية عند الإقرار بذلك، فيكون من حق الآخرين الأخذ بهذا القول والاحتجاج به عليه وعلى من سلك طريقه والتزم منهجه ومذهبه.

هذا، وممن أثبت هذا الحديث الشريف جملة من المشايخ والمحدثين في كتبهم ومسلسلاتهم الحديثية، كما في مسلسلات سعيد بن محمد بن مسعود الكازروني^(٣٥) (ت ٧٥٨هـ)، ومسلسلات ابن الجزري^(٣٦) (ت ٨٣٣هـ)، ومسلسلات ابن عقيلة^(٣٧) (ت ١١٥٠هـ)، وأخيراً في مسلسلات ولي الله الدهلوي^(٣٨) (ت ١١٧٦هـ) وغيرهم.

وقد عانيت من كثرة التصحيف في أسماء المشايخ والتداخل بينها،



وبعض أسماء المشايخ قد سَقَطَ من بعض المصادر التي ذكرت الحديث الشريف وسلسلة سنده - سواء عن قصد أم بدون قصد - وقد حاولت جاهداً ضبطها بإثبات السند الصحيح، وبرواية كل شيخ عن شيخه، وترجمة مشايخ السند على الرغم من أن بعض المشايخ شَحَّتْ عليّ تراجمهم من بين المصادر وكتب الحديث المتوفرة، ولكن حاولت تصيّدُها من هنا وهناك، والبحث بين طيات الأسانيد والتراجم، لإثبات ربط السند برجاله تاماً صحيحاً واقعيّاً، وتحديد الراوي وضبط اسمه وتاريخ وفاته وعصره من تتبع الأسانيد والوصول والتأكد إلى من يروي عنهم ومن يروي عنه، وتسليط الضوء على رجال السند وبيان أحوالهم ومصنفاتهم ما وسعني لذلك البحث، خصوصاً ما ورد في مصادر أهل السنة والجماعة ومصنفاتهم المعتمدة، ووقفت عليها بما يرفع الاتهام باختلاق رجال السند أو تجهيلهم، حيث عبّر البعض عن رجال السند أنه مجرد خبط أسماء عشوائي لا أساس لها. وقال آخر: إن سند ابن عقيلة - لهذا الحديث - مجاهيل في مجاهيل^(٣٩).

هذا وأرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وُفِّقْتُ في عرض وبيان هذا الحديث الشريف برواية الإمام المهدي ﷺ المسلسل بسلسلة الذهب الخالص النقي، والكشف عن رجال سنده وتعريفهم، إنه ولي التوفيق.

من هو البلاذري الراوي للحديث؟

هو الحافظ أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري المتوفى سنة (٣٣٩هـ).

قال السمعاني (ت ٥٦٢هـ) في كتابه (الأنساب): البلاذري: بفتح الباء الموحدة وبعدها اللام ألف وضم الذال المعجمة وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى البلاذر وهو معروف، والمشهور بهذا الانتساب أبو محمد أحمد

بن محمد بن إبراهيم بن هاشم المذكر الطوسي البلاذري الحافظ الواعظ من أهل طوس، كان حافظاً فاضلاً فهماً عارفاً بالحديث، سمع بطوس إبراهيم بن إسماعيل العنبري وتيم بن محمد الطوسي، وبنيسابور عبد الله بن شيرويه وجعفر بن أحمد الحافظ، وبالري محمد بن أيوب والحسن بن أحمد بن الليث، وبيغداد يوسف بن يعقوب القاضي، وبالكوفة محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي وأقرانهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال الحافظ أبو عبد الله: أبو محمد البلاذري الواعظ الطوسي، كان واحد عصره في الحفظ والوعظ ومن أحسن الناس عشرة وأكثرهم فائدة، وكان يكثر المقام بنيسابور ويكون له في كل أسبوع مجلسان عند شيخي البلد أبي الحسن المحمي وأبي نصر العبدوي، وكان أبو علي الحافظ ومشايخنا يحضرون مجالسه ويفرحون بما يذكره على رؤوس الملأ من الأسانيد، ولم أرهم قط غمزوه في إسناد أو اسم أو حديث، وكتب بمكة عن إمام أهل البيت أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا... وقال الحاكم: واستشهد بالطبران سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة^(٤٠).

وقال عنه ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في (اللباب في تهذيب الأنساب): البلاذري - بفتح الباء الموحدة وبعدها اللام ألف وضم الذال المعجمة وفي آخرها الراء - هذه النسبة إلى البلاذر وهو معروف، والمشهور بهذه النسبة أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم المذكر الطوسي البلاذري الحافظ الواعظ، كان عالماً بالحديث والوعظ، ثقة، روى عن إبراهيم بن إسماعيل العنبري وغيره، توفي بالطبران سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة شهيداً^(٤١).

أمّا الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في (سير أعلام النبلاء) فقال: الإمام الحافظ،



المفيد الواعظ، شيخ الجماعة، أبو محمد، أحمد بن محمد بن إبراهيم الطوسي البلاذري.

سمع من: محمد بن أيوب بن الضريس، وتميم بن محمد الحافظ، وعبد الله بن محمد بن شيرويه، وطبقتهم. قال أبو عبد الله الحاكم: كان أوحد عصره في الحفظ والوعظ، وكان شيخنا الحافظ أبو علي ومشايخنا يحضرون مجلسه، ويفرحون بما يذكره على رؤوس الملاء من الأسانيد. ولم أرهم قط غمزوه في إسناد أو اسم أو حديث. سمع جماعة كثيرة بالعراق وخراسان. وخرَّج صحيحاً على وضع صحيح مسلم، إلى أن قال: واستشهد بالطبران وهي مرتحلة من نيسابور سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة^(٤٢). وقريب منه في (تاريخ الإسلام)^(٤٣).

وقال في (تذكرة الحفاظ): الإمام الحافظ البارع أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم الطوسي البلاذري الواعظ. قال أبو عبد الله الحاكم: كان واحد عصره في الحفظ والوعظ، كان شيخنا أبو علي الحافظ ومشايخنا يحضرون مجلس وعظه يفرحون بما يذكره على رؤوس الملاء من الأسانيد، ولم أرهم قط غمزوه في إسناد أو اسم أو حديث، سمع محمد بن أيوب البجلي وتميم بن محمد الحافظ وعبد الله بن محمد بن شيرويه وطبقتهم بخراسان والعراق، وخرَّج صحيحاً على وضع كتاب مسلم - إلى أن قال: واستشهد بالطبران - وهي مرحلة من نيسابور - في سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. قلت: هذا البلاذري الصغير^(٤٤).

وقال ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ): الحافظ أبو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الطوسي البلاذري الصغير، روى عن ابن الضريس وطبقتهم، قال الحاكم: كان واحد عصره في الحفظ والوعظ خرج صحيحاً على وضع مسلم، وهو ثقة^(٤٥).

والمرتضى الزبيدي في (تاج العروس) قال: بلذر: البلاذُر، وهو ثمرُ
الفَهْم مشهورٌ. وأبو محمدٍ أحمدُ بن محمدِ بن إبراهيم بن هاشم البلاذُرِيُّ،
بالذال المعجمة، المُذَكَّر الطُّوسِيُّ، الحافظُ الواعظُ، عالمٌ بالحديث^(٤٦).

وذكره عمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) فقال: أحمد بن محمد
بن إبراهيم الطوسي، البلاذري الصغير (أبو محمد) المتوفى سنة (٣٣٩هـ)
محدث، حافظ وواعظ... استشهد بالطبران وهي مرحلة من نيسابور.
خرَّج صحيحاً على وضع كتاب مسلم^(٤٧).

فالبلاذري هو الإمام الحافظ، العالم بالحديث، الواعظ وشيخ الجماعة،
والثقة الذي لم يغمزه أحد في إسناد أو حديث.
وقفة تأمل:

أثبت أكثر من ترجم للبلاذري أنه توفي في الطبران شهيداً سنة
(٣٣٩هـ)، ونقل الشيخ إبراهيم الجويني^(٤٨) صاحب كتاب (فرائد
السمطين) عن الحاكم النيسابوري أنه قال: حدثنا أبو محمد أحمد بن
محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن
علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا إمام عصره بمكة - حرسها الله -
سنة إحدى وخمسين ومائتين^(٤٩). ثم علّق محقق كتاب (فرائد السمطين)
الشيخ محمد باقر المحمودي: أن جملة (رواه الحاكم وغيره، قال الحاكم)
زيادة أضفناهما لتصحيح الكلام، ولكن نسبتها غير قطعيتين للحاكم^(٥٠).
بمعنى أن نسبة هذه الرواية والتاريخ إلى الحاكم النيسابوري غير ثابتة.
فتأمل.

ومقتضى لقائه بالإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة إحدى وخمسين
ومائتين أنه كان في سن يؤهله للقاء وطلب الحديث، فإذا فرض أن اللقاء
كان في مرحلة الشباب والبلوغ، وأنه قد توفي سنة (٣٣٩هـ)، فيقتضي أن



عمره قد تجاوز المائة بسنوات، ولم يشتر جميع من ترجم البلاذري من معاصريه وبلديه ومن بعدهم إلى أنه كان من المعمرين الكبار، وإن كان الأمر في نفسه ممكناً.

هذا، وأغلب الظن أن في هذا التاريخ اشتباهاً أو تصحيفاً، فالتوقف فيه أولى، حتى الاطلاع على أصل كتاب (تاريخ نيسابور) المفقود للحاكم النيسابوري. كما أنه لم ينقل هذا التاريخ أحد من الأعلام المترجمين للبلاذري عن الحاكم كالسمعاني الذي نقل لنا أغلب ترجمة البلاذري من كتاب الحاكم النيسابوري - سوى الجويني -، بل أهملوه، ربما توقفاً فيه، مع شدة تعصب البعض والتصيد للطعن بهذا الحديث سنداً.

وعلى هذا، ربما يقوى السند المباشر بقاء البلاذري بالإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام المولود سنة (٢٥٥هـ) والسماع منه مباشرة، في حدود الغيبة الصغرى.

ولكن لا يمنع ثبوت هذا السند والطريق (بالإمام المهدي المحجوب عليه السلام) من ثبوت طريق آخر للبلاذري يتصل مباشرة بالإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأن كل راوٍ أخذه ودونته بالطريق المعين الذي سمعه من شيخه، وأثبتته كما سمعه، وليس ذلك بعزيز. والله العالم. أهم المسلسلات الحديثية الراوية لحديث سلسلة الذهب عن الإمام المهدي عليه السلام؟

انتخبنا بعض المسلسلات الحديثية المشهورة التي دونت هذا الحديث الشريف وأثبتته رجالها بسندهم فيها، منها:

مسلسلات محمد بن مسعود البلياني الكازروني (ت ٧٥٨هـ):

هو الشيخ محمد بن مسعود بن محمد، سعد الدين البلياني الكازروني المتوفى سنة (٧٥٨هـ): محدث، سمع الكثير، وأجاز له المزي وجماعة،

وخرّج المسلسلات في الحديث، ومن كتبه: المغني الموجز، والأحاديث الأربعة، وشرح المشارق، والمنتقى في مولد المصطفى، صنفه بالفارسية وترجمه ابنه عفيف الدين إلى العربية^(٥١).

ذكره ابن الجزري في (مشيخة الجنيد البلياني) وقال: كان سعيد الدين محدثاً فاضلاً سمع الكثير، وأجاز له المزي صاحب (تهذيب الكمال) وجماعة، وخرج (المسلسل) وألّف (المولد النبوي) فأجاد، ومات في أواخر جمادى الآخرة سنة (٧٥٨ هـ)^(٥٢).

وقال عنه محيي الدين محمد بن الخطيب القاسم في (حاشية روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار - مخطوط) قال: كان شيخاً محدثاً في وقته، كتب إجازة بعض تلامذته بهراة، وروى عنه الشيوخ، منهم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي، وكان الجزري شيخ المحدثين في أوانه وإمام القراء في زمانه^(٥٣).

كما ترجم له محمد بن أحمد بن محمد السمرقندي في مقدمة كتابه (ترجمة المنتقى) ترجمة مفصلة، ثم قال: وهذا المقدار باختصار يكفي لمعرفة عظمة سعيد الدين الكازروني^(٥٤).

مسلسلات ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ):

شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي المعروف بابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣ هـ)، شيخ القراء في زمانه، من حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن)، ورحل إلى مصر مراراً، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها. ومات فيها، نسبته إلى (جزيرة ابن عمر). من كتبه الكثيرة: النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، اختصره من



كتاب آخر له اسمه (نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات)، وملخص تاريخ الإسلام، وذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء - منظومة، وفضائل القرآن، وأسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب، والهداية في علم الرواية في المصطلح، والمصعد الأحمدي في ختم مسند الإمام أحمد في الحديث. وله نظم أكثره أراجيز في القراءات^(٥٥).

وقال ابن الجزري بعد أن ساق الحديث الشريف برواية الإمام المهدي عليه السلام والمسلسل بسلسلة الذهب: كذا وقع هذا الحديث بهذا السياق، من (المسلسلات السعيدة)^(٥٦)، العهدة فيه على البلاذري، والله أعلم^(٥٧).

مسلسلات ابن عقيلة (ت ١١٥٠هـ):

الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة المتوفى سنة (١١٥٠هـ): مؤرخ، من المشتغلين بالحديث، من أهل مكة، مولده ووفاته فيها. من كتبه: الإحسان في علوم القرآن، لسان الزمان في التاريخ، رتبه على حوادث السنين إلى سنة (١١٢٣هـ)، والفوائد الجليلة في مسلسلات عقيلة في الحديث، والمواهب الجزيلة في مرويات ابن عقيلة، وهداية الخلاق إلى الصوفية في سائر الآفاق، وعقد الجواهر في سلاسل الأكابر ثبته في التصوف، وكتاب في رحلته إلى الشام والروم والعراق، ونسخة الوجود في أمر العالم من المبدأ إلى المعاد، وفقه القلوب ومعراج الغيوب^(٥٨).

قال الشيخ ولي الله الدهلوي - أحد رجال سلسلة سند الحديث المسلسل المذكور - في رسالة (النوادر من حديث سيد الأئمة والأواخر) أن: حديث محمد بن الحسن الذي يعتقد الشيعة أنه المهدي عن آبائه الكرام وجدت في مسلسلات الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن الحسن العجيمي^(٥٩).

وفي (عجائب الآثار) في حوادث ذي الحجة سنة (١٢١٥ هـ) في ترجمة الشيخ عبد العليم المالكي الأزهري الضرير أنه حضر دروس الشيخ علي الصعيدي رواية ودراية فسمع عليه جملة من الصحيح، والموطأ، والشمال، والجامع الصغير، ومسلسلات ابن عقيلة^(٦٠). وعلق السيد محسن الأمين على هذا الكلام: مما دل على أن كتاب مسلسلات ابن عقيلة الذي فيه الحديث المذكور من الكتب المشهورة^(٦١).

وقد أثبت ابن عقيلة هذا الحديث المسلسل الشريف في مسلسلاته المشهور بـ(الفوائد الجلية في مسلسلات ابن عقيلة)^(٦٢).

مسلسلات ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦ هـ):

ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي عالم الهند ومسندها في عصره وعارفها توفي سنة (١١٧٦ هـ). هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله: فقيه حنفي من المحدثين. من أهل دهلي بالهند، زار الحجاز سنة (١١٤٣-١١٤٥ هـ). قال صاحب فهرس الفهارس: (أحى الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتها، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار) وسماه صاحب اليانعي الجنبي (ولي الله بن عبد الرحيم) وقيل في وفاته: سنة (١١٧٩ هـ). من كتبه: الفوز الكبير في أصول التفسير ألفه بالفارسية، وتُرجم بعد وفاته إلى العربية والأوردية ونشر بهما، وفتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير، وحجة الله البالغة في أسرار الحديث وحكم الشريعة مجلدان، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، والإرشاد إلى مهتمات الأسناد، والفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين، وقد ترجم القرآن الكريم إلى الفارسية على شاكلة النظم العربي، وسمى كتابه: فتح الرحمن في ترجمة القرآن^(٦٣).



وقد وصفه ولده الشيخ عبد العزيز الدهلوي^(٦٤) صاحب مؤلف (التحفة الاثني عشرية في الرد على الإمامية) على ما حكى عنه: بخاتم العارفين وقاصم المخالفين سيد المحدثين سند المتكلمين المشهور بالفضل المبين حجة الله على العالمين... الخ^(٦٥).

وقال محمد معين بن محمد أمين الحنفي السندي المتوفى سنة (١١٦١ هـ) في كتابه (دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبیب): (ولقد سمعنا شيخنا عالم الهند، وعارف وقته الشيخ الأجل ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي رحمه الله تعالى يدعي ويقول حديثاً من الأحاديث الصحيحة يرد على العلماء الأربعة بأجمعهم يكون حجة عليهم فيما ذهبوا إليه، والأمر على ما قال رحمه الله تعالى، ونفعنا ببركات حقائقه وعلومه وأحواله)^(٦٦).

وقد أثبت الدهلوي هذا الحديث المسلسل الشريف في مسلسلاته المشهور بـ (الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين)^(٦٧).
حديث سلسلة الذهب برواية الإمام المهدي ﷺ بطرق محدثي أهل السنة والجماعة:

هذا الحديث المسلسل الشريف نُثبته عن مُسندِ الهند ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي^(٦٨) الذي أورده في كتابه المسمّى بـ (المسلسلات)^(٦٩) المشهورة بـ (الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين)^(٧٠)، قال: شافهني ابن عقيلة^(٧١) بإجازة جميع ما يجوز له روايته، ووجدت في مسلسلاته حديثاً مسلسلاً بانفراد كلِّ راوٍ من رواته بصفة عظيمة تفرد بها.

قال رحمته الله: أخبرني فريد عصره الشيخ حسن بن علي العجيمي^(٧٢)، أخبرنا حافظ عصره جمال الدين البابلي^(٧٣)، أخبرنا مسند وقته محمد الحجازي الواعظ^(٧٤)، أخبرنا صوفي زمانه الشيخ عبد الوهاب

الشعراوي^(٧٥)، أخبرنا مجتهد عصره الجلال السيوطي^(٧٦)، أخبرنا حافظ عصره أبو النعيم رضوان العقبي^(٧٧)، أخبرنا مقري زمانه الشمس محمد ابن الجزري^(٧٨)، أخبرنا الإمام جمال الدين محمد بن محمد الجمال^(٧٩) زاهد عصره، أخبرنا الإمام محمد بن مسعود^(٨٠) محدث بلاد فارس في زمانه، قال: أخبرنا شيخنا إسماعيل بن مظفر الشيرازي^(٨١) عالم وقته، أخبرنا عبد السلام بن أبي الربيع الحنفي^(٨٢) محدث زمانه، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سabor القلانسي^(٨٣) شيخ عصره، أخبرنا عبد العزيز [بن]^(٨٤) محمد الآدمي^(٨٥) إمام أوانه، قال: أخبرنا سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان^(٨٦) نادرة دهره، [حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري^(٨٧) غريب وقته، حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن حمش الزيادي^(٨٨) فريد دهره]^(٨٩)، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري^(٩٠) حافظ زمانه، حدثنا محمد بن الحسن بن علي^(٩١) المحجوب^(٩٢) إمام عصره، حدثنا الحسن بن علي^(٩٣)، عن أبيه^(٩٤)، عن جدّه^(٩٥)، عن أبي جدّه، حدثنا أبي علي بن موسى الرضا^(٩٦)، حدثنا أبي موسى الكاظم^(٩٧)، حدثنا أبي جعفر الصادق^(٩٨)، حدثنا أبي محمد الباقر بن علي^(٩٩)، حدثنا أبي علي بن الحسين زين العابدين السجّاد^(١٠٠)، حدثنا أبي الحسين سيّد الشهداء^(١٠١)، حدثنا أبي علي بن أبي طالب^(١٠٢) سيّد الأولياء، قال أخبرنا سيّد الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ، قال: «أخبرني جبرئيل سيّد الملائكة، قال: قال الله تعالى سيّد السادات: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من يقرّني بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي»^(١٠٣).

وقفة مراجعة:

روى أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري حديث سلسلة الذهب مشافهة عن الإمام محمد بن الحسن المهدي ﷺ في لقاء



معه، ثم روى الحديث عن البلاذري مسلسلاً في جملة الأحاديث المسلسلة لجملة من العلماء والمحدثين الأعلام، ودونوه في كتبهم ومسلسلاتهم الحديثية، وقد مرَّ بيان ذلك.

مع أن السمعاني نقل عن الحاكم النيسابوري: أن البلاذري كتب بمكة عن إمام أهل البيت عليه السلام أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا... (١٠٤).

ولكن هنا يأتي التساؤل: أنه هل يمكن اللقاء بالإمام المهدي عليه السلام وأخذ الحديث منه مباشرة؟

أقول: والله العالم - حيث إننا نتوقف في رؤية الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى، رؤية شخصية مباشرة مشخصة للهوية، وللوقوف على هذا الرأي انظر: بحثنا الموسوم (رؤية الإمام المهدي عليه السلام بين الإمكان والمنع) في مجلة الموعود - العدد الأول/ جمادي الآخرة (١٤٣٧ هـ - آذار ٢٠١٦ م)، تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام - النجف الأشرف. وانظر: كتابنا الموسوم (الإجماع التشرفي بلقاء الإمام المهدي عليه السلام - دلالاته حقيقته حجيته) - ربما كان بين النسبتين أو السندين -، فيما ذكره الدهلوي بسنده وغيره في الحديث المسلسل، وفيما ذكره السمعاني عن الحاكم النيسابوري - اتحاد، ولكن وقع تداخل فيما رواه البلاذري بين اسم وكنية الإمام أبي محمد الحسن العسكري بن الإمام علي الهادي عليه السلام، وتصحيفٌ لهما، بحيث نُسب السند مباشرة إلى محمد بعد أن أسقطت (أبي)، وصحفت إلى (ابن) للحسن عليه السلام.

أو زحفت كلمة (أبي) من الكنية (أبي محمد)، وصارت إلى الإمام الحسن عليه السلام، فأصبحت حكاية عن والد الإمام المهدي عليه السلام كبقية السند عن الآباء الأبطال،

فُنقلت صورة السند هكذا: (حدثنا محمد بن الحسن بن علي المحجوب إمام عصره، حدثنا الحسن بن علي...) .

ولكن وجود كلمة (المحجوب) أي الغائب عن الأنظار، في السند تضعف من نسبة هذا الاحتمال.

هذا، ولو تنزّلنا، فإن وفاة البلاذري سنة (٣٣٩هـ) أي بعد عشر سنوات من بداية الغيبة الكبرى للإمام المهدي ﷺ، فالظن كل الظن أن اللقاء مع الإمام المهدي ﷺ - على فرض ثبوته - تم في الغيبة الصغرى، وهذا لا ننكره بتاتاً؛ لمصلحة يراها الإمام ﷺ، وقد حدث ذلك مرات عديدة.

على أن ذكر هؤلاء الأعلام والمشايخ الكبار من أهل السنة والجماعة والحديث ممن شهد لهم بالفضل والتثبت والورع، ورواية هذا الحديث المسلسل - سواء قلنا بثبوت رؤيته ﷺ أم توقفنا في ذلك - لا يلغي ولا يرفع اعترافهم وإقرارهم بوجود الإمام المهدي ﷺ وولادته وغيبته، فتنبّه، وسيأتي بيان أكثر.

الاختلاف بين رواية السنة والشيعة عن البلاذري:

روى محدّثوا أهل السنة هذا الحديث الشريف برواية البلاذري عن الإمام محمد بن الحسن العسكري المحجوب (المهدي ﷺ) كما في: رواية مسلسلات الكازروني، وفيه: حدثنا شيخنا ظهير الدين إسماعيل بن المظفر بن محمد الشيرازي عالم وقته... بسنده إلى: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه حدثنا محمد بن الحسن بن علي إمام عصره، حدثنا أبي الحسن بن علي السيد محجوب حدثنا أبي علي بن موسى الرضا... (١٠٥).

ورواية ابن الجزري في كتابه (أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن



أبي طالب كرم الله وجهه) قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه، حدّثنا محمد بن الحسن بن علي إمام عصره، حدّثنا أبي الحسن بن علي السيد المحجوب...^(١٠٦).

وفي رواية (الفوائد الجليّة في مسلسلات ابن عقيلة)، وفيه: أخبرنا فريد عصره الشيخ حسن بن علي العجمي... بسنده إلى: حدّثنا أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه حدّثنا محمد بن الحسن بن علي إمام عصره حدّثنا الحسن بن علي المحجوب...^(١٠٧).

وفي رواية (الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين) وفيه: شافهني ابن عقيلة بإجازة جميع ما يجوز له روايته... بسنده إلى: حدّثنا أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه، حدّثنا محمد بن الحسن بن علي المحجوب إمام عصره، حدّثنا الحسن بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي جدّه، حدّثنا أبي علي بن موسى الرضا...^(١٠٨).

وفي رواية (النوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر)، وفيه: بسنده عن أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه حدّثنا محمد بن الحسن بن علي المحجوب إمام عصره، حدّثنا الحسن بن علي عن أبيه عن جدّه عن أبي جدّه حدّثنا أبي علي بن موسى الرضا...^(١٠٩).

فهذه عمدة الإسناد عن الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام، حتى علّق ولي الله الدهلوي على الحديث في ابتدائه بعد إدراجه في رسالته (النوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر): حديث محمد بن الحسن الذي يعتقد الشيعة أنه المهدي^(١١٠). وبعضهم لم يستطع الطعن فيه أو التشكيك، فجعله في عهدة البلاذري كالحاكم النيسابوري، وابن الجزري، فضلاً عن روايته من أعلام أهل السنة والجماعة مما يدل على أخذه بالرضا وعين القبول.

ولكن ورد في بعض أسناد هذا الحديث المسلسل عن الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (المحجوب) عليه السلام، وقد أشار لهذا الحاكم النيسابوري، حيث قال: وكتب بمكة عن إمام أهل البيت أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا...^(١١١).

وكذا في فرائد السمطين للجويني: [قال الحاكم]: حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا إمام عصره بمكة - حرسها الله - سنة إحدى وخمسين ومائتين؟!، قال: حدثني أبي علي بن محمد المفتي [النقي]، قال: حدثني أبي محمد بن علي السيد المحجوب قال: حدثني أبي علي بن موسى الرضا...^(١١٢).

وروى عبد العزيز الجنازدي في (معالم العترة النبوية) بسنده عن الحافظ البلاذري قال: حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى إمام عصره عند الإمامية بمكة، قال: حدثني أبي علي بن محمد المفتي [النقي]، قال: حدثني أبي محمد بن علي السيد المحجوب، قال: حدثني أبي علي بن موسى الرضا، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر المرتضى، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: حدثني أبي محمد بن علي الباقر، قال: حدثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء، قال: حدثني محمد بن عبد الله سيد الأنبياء، قال: حدثني جبرئيل سيد الملائكة، قال: قال الله تعالى سيد السادات: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن أقرني بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي». قال الحاكم: ولم نكتبه إلا عن هذا الشيخ - البلاذري -^(١١٣).

وأخرجه ابن ناصر الدين الدمشقي في مسلسلاته قال: أنبأنا أبو بكر



محمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ الكبير، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المسند المكثّر سماعاً، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الإمام الرُّحلة، أنبأنا زاهر بن أبي طاهر الكبير الثقة، أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامي الإمام، أخبرنا عثمان بن محمد بن عبيد الله النصري سبط سعيد بن عثمان بن عفان، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم الحافظ، حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري الحافظ، حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى إمام عصره عند الإمامية بمكة، حدثني أبي علي بن محمد المفتي [النقي - التقي]، حدثني أبي محمد بن علي السيد المحجوب، حدثني أبي علي بن موسى الرضا... الحديث^(١١٤).

وأخرج المرتضى الزبيدي بسنده من طريق ابن الجزري في (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين)، حيث قال: هذا الحديث وقع لي في مسلسلات شيخ شيوخنا أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي؛ فيما قرأته على شيعي الإمام رضي الدين عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي الحنفي بمدينة (زبيد)، في شهر سنة (١١٦٢ هـ)؛ قال: حدثنا به أبو عبد الله المكي المذكور قراءة عليه، أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى المكي، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا البدر الكرخي وحسن بن الجابي الحنفيان، أخبرنا الحافظ جلال الدين أبو الفضل السيوطي، أخبرنا الحافظ أبو النعيم رضوان بن محمد العقبي، أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري أخبرنا الجمال محمد بن محمد بن محمد الجمالي، أخبرنا شيخ المحدثين ببلاد فارس سعيد الدين أبو محمد محمد بن مسعود بن محمد بن مسعود البلياني الكازروني من ولد الأستاذ أبي علي الدقاق، أخبرنا الظهير إسماعيل بن مظفر بن محمد الشيرازي، أخبرنا أبو طاهر عبد

السلام ابن أبي الربيع الحنفي، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي، أخبرنا أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الآدمي، أخبرنا الحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري، حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري الحافظ، حدثنا الحسن بن علي بن (المحجوب) محمد بن علي بن موسى الكاظم... السند^(١١٥).

نلاحظ في هذا الإسناد أن كلمة (المحجوب) قد نسبت إلى الإمام الحسن العسكري، بل زحفت في بعض الأسناد إلى جده كما في رواية الجنابذي.

أمّا الرواية الشيعية عن البلاذري، كما رواها الشيخ الصدوق في كتاب (عيون أخبار الرضا عليه السلام) فهي كما قال: حدثنا أبو نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الضبي قال: حدثنا أبو القاسم محمد بن عبيد بن بابويه الرجل الصالح، قال: حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر أبو السيد المحجوب إمام عصره بمكة، قال: حدثني أبي علي بن محمد التقي، قال: حدثني أبي محمد بن علي التقي، قال: حدثني أبي علي بن موسى الرضا، قال حدثني أبي موسى بن جعفر الكاظم، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: حدثني أبي محمد بن علي الباقر، قال: حدثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء، قال: حدثني محمد بن عبد الله سيد الأنبياء صلّى الله عليه وآله، قال: حدثني جبرئيل سيد الملائكة، قال: قال الله سيد السادات عليه السلام: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن أقرني بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني

أمن من عذابي»^(١١٦).



وبعرض الأحاديث الراوية عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام من طرق أهل السنة والجماعة، على رواية شيخنا الصدوق (رضوان الله عليه)، ربما تتضح صورة الحديث كاملة صحيحة، وأين وجه التصحيف أو التحريف أو الإسقاط.

فإن مقتضى ذلك أن البلاذري روى الحديث عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري إمام زمانه، وأراد أن يؤكد على صفة أخرى له عليه السلام فنعتته بـ(أبي السيد المحجوب) للدلالة والإشارة على أنه والد الإمام محمد المهدي عليه السلام الغائب عن الأنظار، المحجوب عن الناس، وهو اعتراف من البلاذري بوجود الإمام المهدي عليه السلام وولادته وتشخيصه في الجملة، وإقرار ضمنى بذلك لكل من ذكر هذا الحديث المسلسل وأثبت به هذا الطريق.

فإن رواية البلاذري كانت عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما رواها الشيخ الصدوق، وكان لقاء البلاذري في مكة بـ(والد السيد المحجوب) الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكما ذكر الحاكم النيسابوري، ولكن جرى تصحيف على الرواية أو تحريف أو إسقاط، فرفعت كلمة (والد، أبي) من السند، وأصبحت كلمة (المحجوب) صفة للإمام العسكري عليه السلام، بل زحفت كلمة (المحجوب) في بعض الطرق إلى جد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهذا لا يؤثر في أصل ما أثبتناه؛ لأن هذا من الاشتباه وغلط النساخ حتماً، إذ لا معنى له ولا مورد يصححه.

وحيث إن في هذا الحديث دلالة على وجود الإمام المهدي عليه السلام والاعتراف به وبولادته، ربما وقع التحريف والإسقاط المتعمد من بعض المتعصبين، لكي يوجب التشويش والإرباك في السند.

بل ربما يرد التساؤل أن الإمام العسكري عليه السلام كان تحت الإقامة الجبرية، ولم يسمح له بمغادرة سامراء، وأنظار السلطة آنذاك تحيطه، وقد ضيقت

عليه وعلى شيعته أشد التضييق، فكيف لقيه البلاذري بمكة في سنة إحدى وخمسين ومائتين؟

أقول: قال الحميري في (روض الأقطار): (ومات المنتصر بسر من رأى في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وولي المستعين أحمد بن المعتصم، فأقام بسر من رأى سنتين وثمانية أشهر حتى اضطربت أموره فانحدر إلى بغداد في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين، فأقام يحارب أصحاب المعتز سنة كاملة، والمعتز بسر من رأى معه الأتراك وسائر الموالي، ثم خلع المستعين وولي المعتز...) (١١٧).

هذا النص يوضح لنا ويدل على اضطراب الوضع السياسي وارتبائه، وانشغال سلاطين بني العباس عن أمور الأمة وشؤونها؛ بالصراع فيما بينهم للسيطرة على الحكم، بين جماعة المستعين بالله وأعوانه في بغداد، وجماعة المعتز بالله وأعوانه في سامراء، وقد ذهب بذلك قتلى كثيرون من الطرفين، فكان ذلك ظرفاً مناسباً للإمام الحسن العسكري عليه السلام لزيارة بيت الله الحرام وأداء المناسك، والتنقل بحرية، بعيداً عن أنظار أعوان السلطة وزبانيتهما، فكان اللقاء بالبلاذري في مكة المكرمة، والله العالم.

هذا، ولا يلزم من إثبات هذا السند، الاتحاد مع السند الآخر المروي عن الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام، فربما روي الحديث من طريق الأب الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، وروي أيضاً من طريق الابن الإمام محمد المهدي عليه السلام، وكل راوٍ أخذه ودونه بالطريق المعين الذي سمعه من شيخه، وأثبتته كما سمعه، وليس ذلك بعزيز. والله العالم بحقائق الأمور.

الهوامش

١. الغيبة - الشيخ الطوسي ص ١٨٦؛ سنن أبي داوود - السجستاني: ج ٢، ص ٣١٠.
٢. الإمامة والتبصرة - ابن بابويه القمي ص ١٢٠؛ نبايع المودة - القندوزي الحنفي ج ٣ ص ٣٨٦.
٣. الوافي - الفيض الكاشاني ج ٢ ص ٤٠٨.
٤. الغيبة - النعماني ص ١٧٦.
٥. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٤٠.
٦. مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٥٢٧.
٧. روضة الواعظين - الفتال النيسابوري ص ٢٦١.
٨. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق ص ٣٢٠.
٩. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق ص ٥١٦.
١٠. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٦٨.
١١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق ص ٣٥٨.
١٢. انظر: المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي - مركز الرسالة ص ١٤٥ - ١٤٦.
١٣. أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ) حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصفهان. من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ومعرفة الصحابة، وطبقات المحدثين والرواة، ودلائل النبوة، وذكر أخبار أصفهان، وكتاب الشعراء. انظر: الأعلام - الزركلي ج ١ ص ١٥٧.
١٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الأصبهاني ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٢.
١٥. انظر: التوحيد - الشيخ الصدوق ص ٢٥،
١٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٤٥، روضة الواعظين - الفتال النيسابوري ص ٤٣، مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٩٧.
١٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٥.
١٨. هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله المتوفى سنة (٤٠٥هـ) من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور، رحل إلى العراق سنة (٣٤١هـ)، وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة (٣٥٩هـ) ثم قلد قضاء جرجان فامتنع. وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه، فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين. وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنف كتباً كثيرة جداً، قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسة أجزاء جزء. منها: تاريخ نيسابور، قال فيه السبكي: وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها، والمستدرك على الصحيحين، والإكليل، والمدخل في أصول الحديث، وتراجم الشيوخ، والصحيح في الحديث، ومعرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه المطبوع باسم (معرفة علوم الحديث) وغيرها. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٦ ص ٢٢٧.



الهوامش

مجموعات حسنة. وكان ثقة. يعد من محاسن البغداديين وظرفائهم. من مصنفاته: تنبيه اللبيب وتلقيح فهم المريب، وصية ابن شداد، في تحقيق أوهام الخطيب، والإصابة في ذكر الصحابة أبناء الصحابة، وكتاب في من روى عن الإمام أحمد، ومعالم العترة النبوية. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٤ ص ٢٨.

٢٧. كشف الغمة - ابن أبي الفتح الإربلي - ج ٣ - ص ١٩٨ - ١٩٩.

٢٨. أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد البحيري المتوفى سنة (٤٥١هـ)، والبحيري: بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء بعدها الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى بحير وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، قال عنه السمعاني في كتاب (الأنساب): كان شيخاً جليلاً ثقة صدوقاً من بيت التزكية، رحل إلى العراق والحجاز وأدرك الأسانيد العالية وعمّر العمر الطويل حتى حدث بالكثير وأملى، سمع بنيسابور أبا عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري، والحاكم أبا أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ، وبسرخس أبا علي زاهر بن أحمد السرخسي، وبمرو أبا الهيثم محمد بن مكّي الكشميهني، وبيغداد أبا حفص عمر بن إبراهيم الكتاني، وأبا طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص، وبالكوفاة أبا الفضل محمد بن الحسن بن أحمد بن جعفر بن حطيظ الأسدي، وبمكة أبا الحسين أحمد بن عبد الله بن رزيق البغدادي وجماعة روى لي عنه: أبو عبد الله الفراوي،

الدقاق، أخبرنا الظهير إسماعيل بن المظفر بن محمد الشيرازي، أخبرنا أبو طاهر عبد السلام بن أبي الربيع الحنفي، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي، أخبرنا أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الأدمي، أخبرنا الحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري، حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري الحافظ، حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم، حدثني أبي علي بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى الكاظم، حدثني أبي جعفر الصادق، حدثني أبي محمد الباقر، حدثني أبي علي زين العابدين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حدثني محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وسلم، حدثني جبريل سيد الملائكة عليه السلام؛ قال: قال الله سيد السادات جل وعلا: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، من أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي».

٢٦. هو عبد العزيز بن محمود بن المبارك ابن الأحضر الجنازدي، ثم البغدادي الحنبلي البزار، أبو محمد، تقي الدين المتوفى سنة (٦١١هـ) محدث العراق في عصره. أصله من جنابذ (قرية بنيسابور) ومولده ووفاته ببغداد. صنف

الهوامش

- وأبو محمد السيدي، وأبو المظفر بن القشيري، وأبو القاسم الشحامي، وأبو بكر يحيى بن عبد الرحيم اللسكي، ولم يحدثنا عنه سوى هؤلاء، وكانت ولادته في ذي القعدة سنة أربع وستين وثلاثمائة بنيسابور، ووفاته في ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وأربعمائة. وهو حفيد أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن بحير بن نوح بن حيان بن المختار البحيري العدل من أهل نيسابور كان أحد العدول الإثبات ومن بيت التزكية والعدالة، له رحلة إلى العراق، وكان من مشايخ الحاكم أبو عبد الله الحافظ. انظر: الأنساب - السمعي ج ١ ص ٢٩١ - ٢٩٢.
٢٩. انظر: الإنحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين - الزبيدي ج ٣ ص ٢٣٦.
٣٠. المسلسلات السعيدة، يعني بها: مسلسلات محمد بن مسعود الكازروني في الحديث، وهو أحد رجال سلسلة السند.
٣١. أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - ابن الجزري ص ٨٧.
٣٢. هو محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين المتوفى سنة (٨٤٢هـ) حافظ للحديث، مؤرخ. أصله من حماة، ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة (٨٣٧هـ) وقتل شهيداً في إحدى قرى دمشق. من كتبه: افتتاح القاري لصحيح البخاري، وعقود الدرر في علوم الأثر، والرد الوافر في الانتصار لابن تيمية، وبرد الأكباد عن فقد الأولاد، والسراق والمتكلم فيهم من الرواة، وكشف القناع عن حال من ادعى الصحة أو له أتباع، والإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام، والمولد النبوي، وسلوة الكتيب بوفاة الحبيب وغيرها. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٦ ص ٢٣٧.
٣٣. نفحات الأخبار من مسلسلات الأخبار - ابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٧٦.
٣٤. تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي ج ٩، ص ٣٢٢، ح ١١٥٦.
٣٥. مسلسلات الكازروني (مخطوط ص ٦٥ النوع التاسع والعشرون) - سعيد بن محمد بن مسعود الكازروني، من مخطوطات مكتبة د. محمد بن تركي التركي وأصلها في مكتبة الحرم المكي) وفيه: حدثنا شيخنا ظهير الدين إسماعيل بن المظفر بن محمد الشيرازي عالم وقته... بسنده إلى: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه حدثنا محمد بن الحسن بن علي إمام عصره، حدثنا أبي الحسن بن علي السيد محجوب حدثنا أبي علي بن موسى الرضا...
٣٦. انظر: أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - ابن الجزري ص ٨٦ - ٨٧.
٣٧. الفوائد الجلييلة في مسلسلات ابن عقيلة - الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، الحديث العاشر ص ٩١، وفيه: أخبرنا فريد عصره الشيخ حسن بن علي العجمي... بسنده إلى: حدثنا أحمد بن محمد بن هاشم

الهوامش

في وقته. من أهل (جوين). رحل في طلب الحديث فسمع بالعراق والشام والحجاز وتبريز وآمل طبرستان والقدس وكربلاء وقزوین وغيرها، وتوفي بالعراق. عرفه ابن حجر في (الدرر) بالشافعي الصوفي، وقال: خرج لنفسه تساعيات. وجعله الأمين العاملي من (أعيان الشيعة)، ولقبه بالحموثي نسبة إلى جده (حمويه) وقال: له: (فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين). وقال الذهبي: شيخ خراسان، كان حاطب ليل - يعني في رواية الحديث - جمع أحاديث ثنائيات وثلاثيات ورباعيات من الأباطيل المكذوبة! وعلى يده أسلم غازان (ملك التتار). انظر: الأعلام - الزركلي ج ١ ص ٦٣. وأمّا الذهبي في (تذكرة الحفاظ) فقال: سمعت من الإمام المحدث الأوحّد الأکمل فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني شيخ الصوفية قدم علينا طالب حديث، وروى لنا عن رجلين من أصحاب المؤيد الطوسي، وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الإجزاء (الإجازة ظ)، حسن القراءة، مليح الشكل، مهيباً ديناً صالحاً، وعلى يده أسلم غازان الملك، مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، وله ثمان وسبعون سنة رحمته الله. انظر: تذكرة الحفاظ - الذهبي ج ٤ ص ١٥٠٥.

٤٩. فرائد السمطين - الشيخ إبراهيم الجويني، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي ج ٢ ص ١٨٩.

البلاذري حافظ زمانه حدثنا محمد بن الحسن بن علي إمام عصره حدثنا الحسن بن علي المحجوب...

٣٨. الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين - ولي الله الدهلوي (الرسائل الثلاث) ص ٩٦ - ٩٧، علق عليها الشيخ محمد عاشق الهي لبيري المدني وفيه: شافهني ابن عقيلة بإجازة جميع ما يجوز له روايته... بسنده إلى: حدثنا أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه، حدثنا محمد بن الحسن بن علي المحجوب إمام عصره، حدثنا الحسن بن علي، عن أبيه، عن جده، عن أبي جده، حدثنا أبي علي بن موسى الرضا...

٣٩. انظر: موقع الألوكة (المجلس العلمي) موضوع: الرجاء المساعدة في تحريج هذا السند) شبكة الأترنت.

٤٠. الأنساب - السمعي ج ١ ص ٤٢٣.

٤١. اللباب في تهذيب الأنساب - ابن الأثير ج ١ ص ١٩٣.

٤٢. سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١٦ ص ٣٦.

٤٣. تاريخ الإسلام - الذهبي ج ٢٥ ص ١٦٩.

٤٤. تذكرة الحفاظ - الذهبي ج ٣ ص ٨٩٢.

٤٥. شذرات الذهب فيمن ذهب - ابن العماد الحنبلي ج ٢ ص ٣٤٩.

٤٦. تاج العروس - الزبيدي ج ٦ ص ١١٤.

٤٧. معجم المؤلفين - عمر كحالة ج ٢ ص ٦١.

٤٨. هو إبراهيم بن محمد بن المؤيد أبي بكر بن محمد حمويه الجويني، صدر الدين، أبو المجامع المتوفى سنة (٧٢٢هـ)، شيخ خراسان



الهوامش

٥٠. قال الجويني: أمَّا نسب [الإمام] الرضا عليه السلام فهو [مذكور في] الحديث [المعروف بسلسلة الذهب الذي رواه الحاكم وغيره، قال الحاكم]: حدثنا أبو محمد...
قال المحقق الشيخ المحمودي في الهامش: ما بين المعقوفات زيادة منّا لتصحيح الكلام، غير أن جملتي (رواه الحاكم وغيره، قال الحاكم) غير قطعيتين.
٥١. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٧ ص ٩٦.
٥٢. خلاصة عقبات الأنوار - حامد النقوي ج ١ ص ٢٣٧، عن الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٥٥.
٥٣. خلاصة عقبات الأنوار - حامد النقوي ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.
٥٤. خلاصة عقبات الأنوار - حامد النقوي ج ١ ص ٢٣٨.
٥٥. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٧ ص ٤٦.
٥٦. المسلسلات السعيدة يعني بها مسلسلات محمد بن مسعود الكازروني في الحديث، وهو أحد رجال سلسلة السند.
٥٧. أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - ابن الجزري ص ٨٧.
٥٨. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٦ ص ١٣، هدية العارفين - البغدادي ج ٢ ص ٣٢٣.
٥٩. النوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر - ولي الله الدهلوي ص ٢٠٨ - ٢١٠.
٦٠. عجائب الآثار - الجبرتي ج ٢ ص ٣٥٥.
٦١. أعيان الشيعة - السيّد محسن الأمين ج ٢ ص ٧٠.
٦٢. الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة - ابن عقيلة، الحديث العاشر ص ٩١.
٦٣. انظر: الأعلام - الزركلي ج ١ ص ١٤٩.
٦٤. الشيخ عبد العزيز بن ولي الله أحمد الدهلوي المتوفى سنة (١٢٣٩ هـ) صاحب (التحفة الاثني عشرية في الرد على الإمامية) وهذا الحديث المسلسل الشريف هو إحدى روايات الشيخ عبد العزيز الدهلوي، عن والده إجازة.
٦٥. انظر: أعيان الشيعة - السيّد محسن الأمين ج ٢ ص ٧٠.
٦٦. انظر: الإمام الثاني عشر - محمد سعيد الموسوي ص ٦٧.
٦٧. الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين - الدهلوي ص ٩٦ - ٩٧.
٦٨. مرت ترجمته سابقاً.
٦٩. الحديث المسلسل هو ما تتابع فيه رجال الإسناد على صفة أو حالة واحدة، أو هو ما كان رجال سنده على نسق واحد، ويشمل الحديث المعنعن.
٧٠. الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين - الدهلوي ص ٩٦ - ٩٧.
٧١. مرت ترجمته سابقاً.
٧٢. الشيخ حسن بن علي بن يحيى بن عمر أبو البقاء العجيمي المكي الخنفي المتوفى (١١١٣ هـ). من العلماء بالحديث، يمانى الأصل، مولده بمكة، ووفاته بالطائف. كان يجلس للدرس في الحرم المكي عند باب الوداع وباب أم هانئ تجاه الركن اليماني. من تصنيفه: خبايا الزوايا، ترجم به مشايخه ومن اجتمع بهم، وإهداء اللطائف من أخبار الطائف، وتاريخ مكة والمدينة وبيت المقدس، وحاشية

الهوامش

التأليف إلا في أحد أقسام سبعة: إمّا في شيء لم يسبق إليه المؤلف يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره على أن لا يخل بشيء من معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه. وعمي في منتصف عمره. ولتلميذه عيسى بن محمد المغربي المتوفى سنة (١٠٧٧هـ) كتاب منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، وهو فهرست لمرويات البابلي وشيوخه وسلسلته. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٦ ص ٢٧٠، هدية العارفين - البغدادي ج ٢ ص ٢٩٠.

وقد أشار تاج الدين الدهان في (كفاية المتطلع) الذي جمع فيه مرويات الشيخ حسن العجمي إلى روايته لكتاب أخلاق النبي ﷺ للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بأبي الشيخ عليه السلام: أخبر به عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي عن محمد حجازي الشعرائي...).

هذا وربما كان للرجل لقبين، وليس ذلك بعزيز، اشتهر بـ(شمس الدين) كما ذكره من ترجمه، و(جمال الدين) كما في المتن، إن لم يكن الأخير اشتباهاً، كما اشتبه البعض وأثبت لقبه بالباهلي، وليس البابلي، كما هو الصحيح؛ نسبة إلى قرية بابل من قرى مصر.

٧٤. الشيخ محمد حجازي بن محمد بن عبد الله الشهير بالواعظ القلقشندي الشافعي الشعرائي المتوفى سنة (١٠٣٥هـ). له من التصانيف: إتحاف السائل بما لفاطمة عليها السلام من الفضائل،

على الأشباه والنظائر، وحاشية على الدر، وثبت، خرجه تلميذه وصاحبه تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم الدهان، وسماه: كفاية المتطلع لما ظهر وخفي من غالب مرويات الشيخ حسن بن علي العجمي المكي الحنفي، ورسائل في الفلك، والفرائض والتصوف. وقال كمال الدين الغزي: جمع له الشيخ تاج الدين الدهان جزءاً كبيراً، ذكر فيه أشياخه ومسموعاته ومروياته. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٢ ص ٢٠٥.

وهو من مشايخ إجازة شاه ولي الله الدهلوي، الذي وصفه مع مشايخه الآخرين في رسالته (الإرشاد إلى مهيات الأسناد) - وأدرج هذه الرسالة ولده عبد العزيز الدهلوي في رسالة (أصول الحديث) لوالده - جاء فيها: قد اتصل سندي - والحمد لله - بسبعة من المشايخ الأجلة الكرام، الأئمة القادة الأعلام من المشهورين بالحرمين المحترمين، المجمع على فضلهم بين الخافقين، الشيخ محمد ابن العلاء... والشيخ حسن العجمي المكي).

٧٣. محمد بن علاء الدين علي القاهري، شمس الدين أبو عبد الله البابلي الأزهري الحافظ المحدث الشافعي المتوفى سنة (١٠٧٧هـ)، فقيه شافعي، من علماء مصر، ولد ببابل من قرى مصر، ونشأ وتوفي في القاهرة. كان كثير الإفادة للطلاب، قليل العناية بالتأليف. له: كتاب الجهاد وفضائله، ألجى إلى تأليفه - ألفه لأحمد باشا الفاضل -، وكتاب عقد الدر النظيم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم، وكان ينهى عن





الهوامش

أصحابه جميعاً كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي. وقال الزركلي: قرأت في كتاب (المنح البادية - مخطوط): أنه كان يلقب بابن الكتب، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب! ومن كتبه: الإتيقان في علوم القرآن، وتفسير الجلالين، والجامع الصغير في الحديث، والحاوي للفتاوي، والخصائص والمعجزات النبوية، والدياج على صحيح مسلم بن الحجاج، والسبل الجليلة في الأبناء العلية، وطبقات الحفاظ، وطبقات المفسرين، والسلافي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، ومسالك الخفا في والسدي المصطفى، والمنجم في المعجم ترجم به أشياخه، وغير ذلك. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٣ ص ٣٠١ - ٣٠٢.

٧٧. الشيخ رضوان بن محمد بن يوسف العبسي الشافعي المصري، أبو النعيم المتوفى سنة (٨٥٢هـ)، من حفاظ الحديث - محدث - مولده بمنية عقبة بالجيزة، وإليها نسبته. وتوفي بالقاهرة. له: الأربعون المتباينة في الحديث، والمنتقى من طبقات الفقهاء، وطبقات الحفاظ الشافعيين انتقاه من طبقات الفقهاء للأسنوي. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٣ ص ٢٧.

٧٨. مرّت ترجمته سابقاً.

٧٩. جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد

شرح الجامع الصغير للسيوطي، القول النفيح في الصلاة على النبي الشفيح وغيرها كثير. انظر: إيضاح المكنون - البغدادي ج ١ ص ٣٦٤. ٧٥. هو الشيخ العارف أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي أبو محمد الشعراي الحنفي نسبة إلى محمد بن الحنفية، المتوفى سنة (٩٧٣هـ). من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة بمصر ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية وإليها نسبته: الشعراي، ويقال: الشعراوي. وتوفي في القاهرة. له تصانيف كثيرة، منها: الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، وأدب القضاة، وإرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين، والأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، والبحر المورود في الموائيق والعهود، والبدر المنير في الحديث، ودرر الغواص من فتاوى الشيخ علي الخواص، وكشف الغمة عن جميع الأئمة، ولطائف المنن يعرف بالمنن الكبرى، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار، واليوافيت والجواهر في عقائد الأكابر، وغيرها كثير. انظر: الأعلام - الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ - ١٨١.

٧٦. الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين المتوفى سنة (٩١١هـ)، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو (٦٠٠) مصنف، منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيماً، مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزواً عن

الهوامش

- النسائي الإمام المحدث الولي الزاهد الصالح، أبو محمد الجمالي، المتوفى سنة (٧٨٤هـ). وصفه السبكي في طبقات الشافعية ج ٤ ص ٩٠: حكى لي سيدنا الشيخ الإمام العلامة ولي الله جمال الدين عمدة المحققين محمد بن محمد بن محمد الجمالي حياه الله وبياه وأمتع ببقياه... ٨٠. الكازروني، مرّت ترجمته سابقاً.
٨١. أبو الفضائل ظهير الدين إسماعيل بن مظفر بن محمد الشيرازي المتوفى سنة (٧٣٠هـ)، محدث، من تصانيفه: فضائل الصلاة. انظر: معجم المؤلفين - عمر كحالة ج ٢ ص ٢٩٧.
٨٢. عبد السلام بن أبي الربيع محمود بن محمد الحنفي، عماد الدين، أبو طاهر، المتوفى سنة (٦٦١هـ)، محدث. سافر إلى الأمصار وحصل الأسانيد وكتب الحديث، وتوفي في شعبان. من تصانيفه: صنوان الرواية وقنوان الدراية، الدرر المنثورة في السنن المأثورة، ذخيرة العباد ليوم المعاد، فضل الساجد وشرف المساجد، والوسائل لنيل الفضائل. انظر: معجم المؤلفين - عمر كحالة ج ٥ ص ٢٣١ - ٢٣٢.
٨٣. الإمام الواعظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن سابور (بمهملة) القلانسي الشيرازي الحنفي المتوفى في حدود سنة (٥٠٠هـ)، له كتاب: المرشد في المواعظ والحكم باللغة الفارسية. انظر: كشف الظنون - حاجي خليفة ج ٢ ص ١٦٥٤.
٨٤. ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق، إذ ورد في الأصل: أخبرنا عبد العزيز قال حدثنا محمد الآدمي إمام أوانه. وفيه تداخل بين اسم
- الابن المحدث ووالده محمد الآدمي كمحدث ثاني، والصحيح أنها اسمان لمحدث واحد وهو (عبد العزيز بن محمد الآدمي إمام أوانه) كما أثبتناه من مسلسلات الكازروني، ولو تعدد الراوي لكان وقع خلل في تسلسل الصفات للرواة كما هو حال هذا الحديث المسلسل بالصفات، والمفروض أن هذا لا يخفى على من خط سلسلة السند وكتبه.
٨٥. أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازي الآدمي المقرئ، محدث، توفي في شهر رجب سنة (٤٨٢هـ).
٨٦. الشيخ سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني، الملقب بالملنجي، أبو مسعود، المتوفى سنة (٤٨٦هـ) محدث، حافظ. ولد في رمضان، ورحل في طلب الحديث، وجمع، ونسخ، وصنف التصانيف، واستخرج على الصحيحين. انظر: معجم المؤلفين - عمر كحالة ج ٤ ص ٢٥٢.
٨٧. أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد النيسابوري الحافظ محدث وقته بخراسان، قال عبد الغافر بن إسماعيل في تاريخه: أبو صالح المؤذن الأمين المتقن المحدث الصوفي نسيج وحده في طريقته وجمعه وإفادته، ما رأينا مثله في حفظ القرآن وجمع الأحاديث، سمع الكثير وجمع الأبواب والشيخ، وأدّن حسبة سنين عدة، توفي في سابع رمضان سنة سبعين وأربع مائة. انظر: تذكرة الحفاظ - الذهبي ج ٣ ص ١١٦٢ - ١١٦٤.
٨٨. محمد بن محمد بن محمش بن علي بن داود

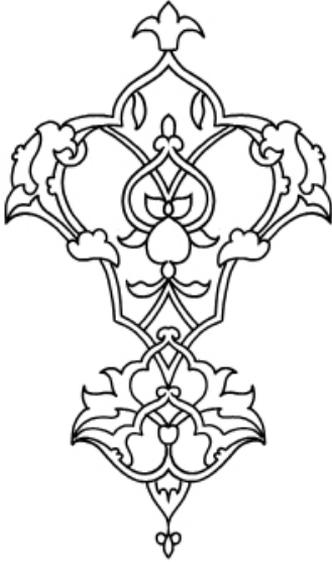


الهوامش

- شخصية كالجن والملائكة لا يرى.
٩٣. الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في سامراء سنة (٢٦٠هـ).
٩٤. الإمام علي الهادي النقي عليه السلام، العاشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في سامراء سنة (٢٥٤هـ).
٩٥. الإمام محمد الجواد عليه السلام، التاسع من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في بغداد سنة (٢٢٠هـ).
٩٦. الإمام علي الرضا عليه السلام، الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في مشهد سنة (٢٠٣هـ).
٩٧. الإمام موسى الكاظم عليه السلام، السابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في بغداد سنة (١٨٣هـ).
٩٨. الإمام جعفر الصادق عليه السلام، السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في المدينة المنورة سنة (١٤٨هـ).
٩٩. الإمام محمد الباقر عليه السلام، الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في المدينة المنورة سنة (١١٤هـ).
١٠٠. الإمام علي زين العابدين عليه السلام، الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في المدينة المنورة سنة (٩٥هـ).
١٠١. الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، الثالث من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتشهد في كربلاء سنة (٦١هـ)، وأخيه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، الثاني من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في المدينة المنورة سنة (٤٩هـ).
١٠٢. الإمام علي بن أبي طالب المرتضى عليه السلام، الأول من أئمة أهل البيت عليهم السلام المتوفى في الكوفة
- الزيادي الشافعي النيسابوري الأديب أبو طاهر (مسند نيسابور) الفقيه العلامة القدوة، شيخ خراسان، كان يسكن بمحلة ميدان زياد بن عبد الرحمن، فنسب إليها... كان إماماً في المذهب، متبحراً في علم الشروط، له فيه مصنف، بصيراً بالعربية، كبير الشأن، وكان إمام أصحاب الحديث ومسندهم ومفتيهم، توفي في شعبان سنة عشر وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١٧ ص ٢٧٦ - ٢٧٨.
٨٩. ما بين المعقوفتين ساقطة من السند، وأتمناه من طريق شمس الدين ابن الجزري في كتابه (أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - ابن الجزري ص ٨٦ - ٨٧)، ومسلسلات الكازروني (مخطوط) ص ٦٥.
٩٠. مرّت ترجمته سابقاً.
٩١. الإمام محمد المهدي ابن الإمام الحسن العسكري ابن الإمام علي الهادي النقي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام المولود في سامراء سنة (٢٥٥هـ)، والغائب المحجوب عن الأنظار كغياب الخضر وعيسى عليه السلام حتى يأذن الله تعالى له بالخروج وإظهار كلمة الحق.
٩٢. المحجوب: والمقصود به هو إمام العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وقد عبر عنه بالمحجوب أي الغائب عن الأنظار. هذا وإن غيابه غيباب هوية لا يعرفه الناس ولا يشخصونه وهو يعيش بينهم، لا غياب

الهوامش

- سنة (٤٠هـ)، وهؤلاء الذين أوصى بهم رسول الله ﷺ بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض» [البحار: ج ٢، ص ٢٢٦].
١٠٣. الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين - ولي الله الدهلوي ص ٩٦ - ٩٧.
١٠٤. الأنساب - السمعاني ج ١ ص ٤٢٣.
١٠٥. مسلسلات الكازروني (مخطوط ص ٦٥ النوع التاسع والعشرون) - محمد بن مسعود الكازروني، من مخطوطات مكتبة د. محمد بن تركي التركي وأصلها في مكتبة الحرم المكي).
١٠٦. أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - ابن الجزري ص ٨٦ - ٨٧.
١٠٧. الفوائد الجليلية في مسلسلات ابن عقيلة - الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، تحقيق وتعليق د. محمد رضا القهوجي، الحديث العاشر ص ٩١.
١٠٨. الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين (الرسائل الثلاث) - ولي الله الدهلوي ص ٩٦ - ٩٧.
١٠٩. النوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر (الرسائل الثلاث) - ولي الله الدهلوي ص ٢٠٨ - ٢٠٩.
١١٠. النوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر (الرسائل الثلاث) - ولي الله الدهلوي ص ٢٠٨ - ٢٠٩.
١١١. الأنساب - السمعاني ج ١ ص ٤٢٣.
١١٢. فرائد السمطين - الشيخ إبراهيم الجويني
- الخراساني، تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي، ج ٢ ص ١٨٩.
١١٣. كشف الغمة - ابن أبي الفتح الإربلي - ج ٣ - ص ١٩٨ - ١٩٩.
١١٤. نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار - ابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٧٦.
١١٥. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين - المرتضى الزبيدي ج ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٦.
١١٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٥.
١١٧. الروض المعطار في خبر الأقطار - الحميري ص ١٧٨.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

أم الإمام المهدي عليه السلام حقيقة ثابتة

الشيخ نزيه محيي الدين

قضية أم الإمام المهدي عليه السلام وعدم تحقيقها جيداً، جعل الأعداء يندنون حولها، ويدعون بأن هذه المرأة لا وجود لها، وقصتها خرافية، وأن القصة مدانة داخلياً، ويتوصلون من خلال (عدم العثور على الأب لأم الإمام عليها وعليه السلام) بأن الإمام المهدي عليه السلام أصلاً غير موجود وهو خرافة وما شابه ذلك من الانزلاقات عديمة العلم والأخلاق، والمصيبة أن هذه الدعاوى اعتقد فيها ضعفاء الشيعة أمثال (أحمد الكاتب).

لهذا قمنا بهذا التحقيق لإثبات صدق الرواية الشيعية، وأنه ليس بمستبعد ثبوتها كما ستراه في طيّات هذا البحث.

ومن خلال عمل جداول بيانات وترتيب الأزمان والأماكن لنجد الحل لهذه القصة ونرفع الغموض، ولنحصل:

أولاً: على الإمكانية الفعلية بلا إشكالات.

وثانياً: لنحاول أن نجد الأب أو الجد المحتمل لأم إمامنا عليه السلام، لنعرف القصة بالشكل الصحيح.

فلهذا بحثنا المسألة من مبدأ الشك في كل معلومة، والانتقال إلى إثباتها.





أرقام ذات أهمية بالغة في هذا البحث:

- ١ - ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (٢٣٢هـ = ٨٤٦م).
- ٢ - ولادة السيدة نرجس عليها السلام (مستفاد من رواية بشر بالاستنباط): (٢٣٤هـ = ٨٤٨م).
- ٣ - بلغت السيدة نرجس عليها السلام سن ١٣: (٢٤٦-٢٤٧هـ = ٨٦١م).
- ٤ - وصول السيدة نرجس عليها السلام لبغداد: (٢٥١هـ = ٨٦٥م).
- ٥ - ولادة الإمام عليه السلام: (١٥ شعبان ٢٥٥هـ = ٢٨ يوليو تموز ٨٦٩م).
- ٦ - وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (٨ ربيع الأول ٢٦٠هـ = ٣١ ديسمبر ٨٧٣م).

الرواية الأولى:

نبدأ بذكر الرواية الصحيحة السند عن الإمام العسكري عليه السلام عن هوية أم الإمام عليه السلام.

عن الفضل بن شاذان رحمته الله، عن محمد بن عبد الجبار قال: قلت لسيدي الحسن بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله جعلني الله فداك: أحب أن أعلم من الإمام وحجة الله على عباده من بعدك؟ فقال: «إن الإمام وحجة الله من بعدي ابني سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه». قلت: ممن هو يا بن رسول الله؟ قال: «من ابنة ابن قيصر ملك الروم، ألا إنه سيولد ويغيب عن الناس غيبة طويلة، ثم يظهر»^(١).

وهذه الرواية الصحيحة تدل على ما يلي:

- ١ - إن أم الإمام ابنة ابن القيصر ملك الروم.
- ٢ - وهي أمة^(٢).
- ٣ - وإنها ستحمل وستلد.
- ٤ - وهذا النص بمجمله يدل على أنها مذخورة من الله تعالى لتكون حاملة مولانا الإمام عليه السلام.



طبعاً يضاف لها ما في الرواية المضعفة^(٣) والتي سوف يأتي الحديث عنها من قبل بعض العلماء - والمعتبرة عند الغالب -، لوجود مجاهيل فيها، حيث أشارت إلى أن اسمها (مليكة) وأنها من ذرية شمعون الصفا من جهة أمها. وإنها أرغمت على الزواج من ابن أخي جدها في عمر (١٣ سنة) ودعي أعيان ووجهاء الروم وقادة البلد فحدث أن سقطت الصلبان وسقط عمود على خاطبها فأغمي عليه ولكن الجد أصرَّ على إكمال العقد فدعا بأخيه ليزيل النحوسة وأمرهم بالاستعداد فتكرر الحدث وتفرَّق الناس، وفي تلك الليلة رأت مناماً فيه جدها شمعون والمسيح وعدة من الحواريين، ثم جاء النبي محمد ﷺ مع فتية وعدة من بنيه، فيخطب النبي ﷺ الفتاة من شمعون لابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام وتمَّت الموافقة وتمَّ العقد في المنام، ثم بعد مدة من الحادثة قرَّرت الهرب فهربت مع خدمها وجاءت إلى الحدود مع بلاد المسلمين، فأخذها الجند سبية وبيعت هي وجواربها في بغداد، وقد بعث الإمام الهادي عليه السلام على نخّاس أعطاه مبلغاً وأوصاف الفتاة فوجدها بعينها، وتوافقا على نفس المبلغ الذي سلّمه الإمام عليه السلام، فاستلم الإمام عليه السلام الفتاة وسلّمها للسيدة حكيمة عليها السلام أخته لتعلّمها أصول الإسلام وفروعه، ثم تزوّجها الإمام الحسن العسكري عليه السلام وولدت له الإمام المهدي عليه السلام.

هذا مجمل رواية طويلة فيها مشاعر وقصص ومواقف ومشاهد^(٤).

والقصة في نظري معتبرة، إذ يكفي في توثيق الشيباني ارتضاء الصدوق والقميين لروايته رغم تشدّدهم. على أن دواعي الوضع هنا متفنية.

وقد ارتضى هذا المبنى الشيخ الأنصاري: قال في المكاسب^(٥): (... إلا أن اعتماد القميين عليها - الرواية محل بحثه - وروايتهم لها، مع ما عُرف من حالهم لمن تتبعها من أنهم لا يخرجون في كتبهم رواية في روايتها ضعف إلا بعد احتفافها بما يوجب الاعتماد عليها جابرٌ لضعفها في الجملة).



فهذا كافٍ في تصحيح قصة مليكة عليها السلام برواية بشر النخاس، فكيف إذا أضفنا إليه الصحيحة المتقدمة عن محمد بن عبد الجبار، وهي وحدها كافية لتصحيحها. ولكن ليس تصحيح التفصيلات إنما تصحيح أصل القصة بعناصرها التي قلناها في رواية الفضل بن شاذان عن محمد بن عبد الجبار. ومن أجل مطابقة الواقع مع تحليل القصة، سواء بالرواية الصحيحة أو الضعيفة - التي تطابقها في الجوهر دون التفاصيل - فيجب أن نعرف بعض الأمور والمسارات في هذا البحث.

المسار الأول: أين أُسِّرت؟

وفيه قولان.

المسار الثاني: من هو القيصر في ذلك الوقت لنعرف هل هو جدُّها المفروض؟ وفيه أقوال متعددة.

المسار الأول: وفيه أقوال واحتمالات:

الأول: بعض المؤرخين كما وبعض الأخبار المتفرقة تقول إنها أُسِّرت في أذربيجان.

الثاني: أنها جاءت من بلاد الروم، وقد فسَّرها كُتَّاب إيران بأنها من (أرض روم) واشتبه آخرون بأنها من بلاد روما.

والتفصيل أن يُقال:

مسار أذربيجان:

وهذا يعني أنها جاءت من جهة روسيا وحواليها.

والجواب عن هذا القول: أن نقول بامتناع أن تكون مليكة عليها السلام روسية أو أوكرائية أو بلاروسية - بعد تحليل الرواية المتقدمة - ولأنَّه في تلك الفترة لا يوجد أصلاً قيصر في تلك المنطقة، وأول قيصر أعلن عن نفسه في روسيا القيصرية، وبيلاروسيا، وأوكرانيا، وجمهورية نوفغورود، هو القيصر روريك



(منذ ٨٦٢م)^(٦) وهذا الإعلان بعد حفل عرسها بأمر جدها بسنة، لأنها وُلدت سنة (٨٤٨م) كما يذهب أغلب الباحثين وكان حفل زواجها بعمر (١٣) سنة) فيكون الحادث (سنة ٨٦١م) وهذا قبل إعلان (روريك) أنه قيصر في روسيا وتوابعها بسنة، وروريك هذا من الفايكنك من الدانمارك على الأغلب ولا تُعلم قصته الحقيقية.

وأما كيف أصبح ملكاً؟ فبعضهم يدّعي^(٧) بأن السلافين في أوكرانيا وروسيا اختلفوا ودمروا بلاهم فاستدعوا رجلاً قوياً من الفايكنك ليضبط النظام في حدود سنة (٨٥٥م) والسيدة نرجس عليها السلام مولودة (سنة ٨٤٨م) تقريباً، فيعني أنه دخل روسيا والسيدة نرجس مولودة في القصور الملكية. فكيف تصح نسبتها إليه؟).

وإدّعى باحثون آخرون^(٨) بأنه كان مسيطراً على مجموعة أجراء (عُمّال) فايكنغ أقوياء فانقلبوا على مستأجريهم مستغلين فوضى الصراع السلافي فأخذوا يحتلون البلدان بسرعة وعيّن نفسه أميراً عليهم (سنة ٨٥٥م) وتوفي (سنة ٨٩٧م).

وتُصوره الكتب التاريخية^(٩) كبدوي فايكنك ليس له صيت في قواعد الحكم ولا انضباط بيتياً ولا قواعد سلوك ملكي.

ثم أنه له ولد واحد طفل اسمه (إيغور) فلا يصح أن يكون والداً للسيدة نرجس عليها السلام ولا يصح أن يكون (روريك) جَدّاً لها، مع العلم أن مملكته لم تكن إمبراطورية حقيقية فعلية، وإنما من ثبّت الإمبراطورية فعلاً هو قريب (ريوريك) المعروف باسم (أوليغ النبوي أو العراف) وهو من أسس كييف^(١٠)، وكان وصياً على (إيغور) بن (روريك) الطفل، فهو المؤسس الحقيقي للإمارة الروسية.

ويعتبر انتشار صيت أوليغ قد بدأ في (عام ٨٨٢م) أي بعد وفاة (روريك)



بثلاث سنين، واشتهر اسمه إقليمياً بعد أن غزا القسطنطينية (عام ٩٠٧م) عن طريق البحر الأسود وخوف البيزنطيين فمنحوه الهدايا والأموال واعتبر منتصراً (سنة ٩١١م) وتوفي (سنة ٩١٢م) بعد عقد الصلح مع البيزنطيين. وهذا زمن متأخر جداً عن زمن السيدة نرجس عليها السلام. فلهذا لا يعتبر هذا الفرض ذا قيمة علمية، وأن أصل دعوى أنها أسرت في أذربيجان لا صحة له لعدم وجود إمبراطورية حقيقية من تلك النواحي في زمن ولادة السيدة نرجس عليها السلام ولا زمن أسرها.

مسار أرض روم:

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن المملكة الإمبراطورية المحاذة والقريبة من بلاد المسلمين هي بيزنطة، فينبغي أن ينصرف الذهن لها، ولكن بعض الباحثين اعتقد أن كلمة رومية ومشتقاتها كالروم الواردة في الحديث تعني روما فهي إذن إيطالية من روما، وهذا الفهم غريب لأن المعروف أن رومية والروم في ذلك الوقت هم البيزنطيون، وكانت المناوشات مع الدولة العباسية مستمرة، وبلادهم اسمها أرض روم، فالوصول لروما في إيطاليا أمر بعيد جداً، وهناك اختلاف بين التسميتين فالبيزنطية اسمها الإمبراطورية الرومية أو الشرقية أو البيزنطية وهو الاسم الشائع، بينما روما اسمها الإمبراطورية الرومانية أو إمبراطورية روما، وكانت روما في تلك الفترة (٨٤٠-٨٦٧م) حامله الذكر، بل حين استولى (باسيل)^(١١) المتوحش على حكم بيزنطة قام بحملات وأخضع روما لحكمه وحول أسواق إيطاليا إلى القسطنطينية، فكانت روما في أتعس حالتها في تلك الفترة بما لا يتناسب مع عظمة الدولة وحفل زواج الأميرة بهذا الحفل الكبير المنصوص في رواية بشر بن سليمان.

ثم لا يمكن أن تكون السيدة نرجس عليها السلام من إمبراطورية بلغاريا باعتبارها محاذة للإمبراطورية البيزنطية ولا تبعد كثيراً، لأن بلغاريا كانت غير مسيحية



أصلاً، وكانت تحارب المسيحيين بعناد، وقيادتها وثنية، وقد أعلنت بلغاريا إيمانها بالمسيحية (سنة ٨٦٤م) بينما كانت السيدة نرجس عليها السلام قد وصلت إلى بغداد حوالي (٨٦٥م) بشكل تقريبي^(١٢) ويقال إنَّ تنصرها كان بإخضاع البلغار لسلطة القيصر بارداس، فلا مجال للشك في ذلك ولا دخل للإمبراطورية البلغارية بأمر السيدة نرجس عليها السلام وهو احتمال مغلق.

فلا يبقى 'إذن إلا أنها من قيادة الدولة البيزنطية فهي الإمبراطورية المحاددة المجاورة للدولة العباسية - التي ينطبق عليها في القصة المروية عن بشر بن سليمان النخاس - حيث إن جدها كانت له معارك مع المسلمين وعنده أسرى منهم، ومعلوم أن مكان تبادل الأسرى في زمن (ثيوفيلس العموري) و(تيدورا وباراداس) في منطقة حدود الصراع في آسيا الصغرى، وهي قرب مدينة عمورية شمال الإسكندرونة وجنوب غرب أنقرة عاصمة تركيا حالياً، حيث كانت المعارك هناك^(١٣)،^(١٤).

مخيّلات واهية:

قال البعض: إنَّ ما يناسب أن يكون جدها بالزمن هو:

١ - (ثيوفيلس بن ميخائيل) (مايكل الثاني) بن جرجيس، وهو من أعظم قياصرة رومية أي دولة بيزنطة، ولكن ليس له ابن اسمه يشوعا، فبطل الفرض، وليس هناك شخص آخر لفرض صحة انتسابها له، فإذن قصة مليكة بنت يشوعا كذب في كذب^(١٥).

والحقيقة أننا لم ندع بأن (ثيوفيلس) جدُّها، ولا يمكن أن يكون هو الذي في القصة إطلاقاً، لأن جدُّها أمر بتزويجها وعمرها (١٣ سنة)، و(ثيوفيلس) مات قبل ولادتها بست سنوات تقريباً^(١٦)، فهو توفي (سنة ٨٤٢م) بينما السيدة مليكة ولدت بحدود (٨٤٨م) وبعضهم احتمل (سنة ٤٩م)، فلا يمكن أن يكون هو من أمر بالعرس وقد كان ميتاً قبل (١٩ سنة)^(١٧).

٢ - القيصر الآخر والذي يحمل لقب قيصر هو ولد (ثيوفيلس) (قسطنطين) (كونستانتين) (٨٣٣-٨٣٥م) مات طفلاً كان يلقب رسمياً بالقيصر بطلب من القيصر (ثيوفيلس) ويبدو أنه بكر أبيه ولكنه مات بعمر (٣ سنوات)^(١٨) فهذا خارج تخصصاً فلا يمكن أن يكون جدّها.

٣ - القيصر الثالث في نفس المدة هو ميخائيل الثالث ولد (سنة ٨٤٠م) وكان عمره سنتين حين توفي والده وعين ملكاً ولقب بالقيصر، ولا يمكن أن يكون جد مليكة لأن عمره حين ولدت مليكة هو ثمان سنوات^(١٩) فلا يصلح أن يكون والدها فكيف يكون جدّاً؟

٤ - في فترة طفولة ميخائيل كانت والدته (تيودورا) هي الوصية وكانت تدير الحكم مع مجلس وصاية مكون من (ثيوكتيستوس) وأختها (بارداس) و(بتروناس)، وقد أعادت الإيمان بالأيقونات وفرضت الأيقونات على الكنائس الرافضة بتحريض من (ثيوكتيستوس) الذي اهتمت به، وأقصت صلاحيات من كان يؤيد زوجها المتشدد ضد الأيقونات، بما فيهم أخوها (بارداس) معادي الأيقونات.

و(تيودورا) امرأة فلا يمكن أن تكون جدّها وإن لقيت بالقيصرة والإمبراطورة. فلا تتماشى مع القصة. فهذا خارج تخصصاً عن القصة.

٥ - وهناك قيصر آخر كان يشارك الإمبراطورة (تيودورا) اسمه (ثيوكتيستوس)، لكن هذا قتل (سنة ٨٥٦م) من قبل جماعة (بارداس) لخلافات كبيرة في قيادة الحكم البيزنطي، منها معركة عبادة التماثيل التي كان يدعو إليها (ثيوكتيستوس) بينما يجرمها (بارداس)، وتاريخ وفاته قبل بلوغ السيدة نرجس عليها السلام عامها الثالث عشر بخمس سنين في عام (٨٦١م)^(٢٠) ولهذا فهو مستبعد كلياً.

٦ - بقي القيصر (بارداس) ولعله الاسم الأخير من تسمى بقيصر في تلك الفترة فلم يبلغنا إلا هؤلاء مع شدة عناية مؤرخيهم بتفاصيل الألقاب في



المملكة فحتّى الرضيع أحصوه حين لُقّب بالإمبراطور، وقد استلم (بارداس) لقب القيصرية في نفس سنة بلوغ السيدة مليكة سن (١٣) أي سنة (٨٦١م) أو قبلها بسنة بناء على قول من قال إن ولادتها سنة (٨٤٩م)^(٢١).

فهل يمكن أن تنطبق عليه صفات الجد في قصة السيدة مليكة أو نرجس عليهما السلام؟

الجواب عن هذا السؤال يمرّ عبر عرض خصائص الجد فإذا تطابقت فهو الجد إمكاناً وهو ما نبحثه، أو وقوعاً وهو أبعد مما نبحثه الآن. وإذا كانت الصفات موجودة في هذا الشخص فهو جدّ محتملٌ وبطل استدلال النواصب بنفي قصة مليكة أم الإمام المهدي عليه السلام.

الخصائص التي رصدناها:

١ - (بارداس) ولد (سنة ٨١٠) وهذا يعني أنه يمكن أن يكون جدّاً لمولودة (سنة ٨٤٨م) فإن عمره (٣٨ سنة) وهم ممن عرفوا بالزواج المبكر جداً، فقد زوّجت بنت أخته (تيودورا) واسمها ماريّا رضيعة وتزوجت من القيصر (الكسوس موصيليا)^(٢٢) وكانت رضيعة وكان قيصرّاً على صقلييا. فإذا كانوا يزوّجون الرضيعة فلا مشكلة بتزويج البنت في الثالثة عشرة وتزويج الولد في الرابعة عشرة سنة من عمره. فهذه أول عقبة أزيلت.

٢ - ذكرت رواية بشر النخّاس قول السيدة أم إمامنا عليها السلام قولها: «بلغ من ولوع جدّي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إليّ امرأة ترجمان له في الاختلاف إليّ، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية، حتّى استمر عليها لساني واستقام» وهذا النص يعني ولع جدّها بالعلوم، وهو نفس ما ذكر في ترجمته في الويكبيديا (وكان الحاكم الفعّال للإمبراطورية البيزنطية لمدة عشر سنوات، وهي الفترة التي شهدت نجاحاً عسكرياً، وتجدد النشاط الدبلوماسي والبحثي، والإحياء الفكري الذي بشر بالنهضة المقدونية).

٣ - ذكرت رواية بشر النخّاس: (قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في



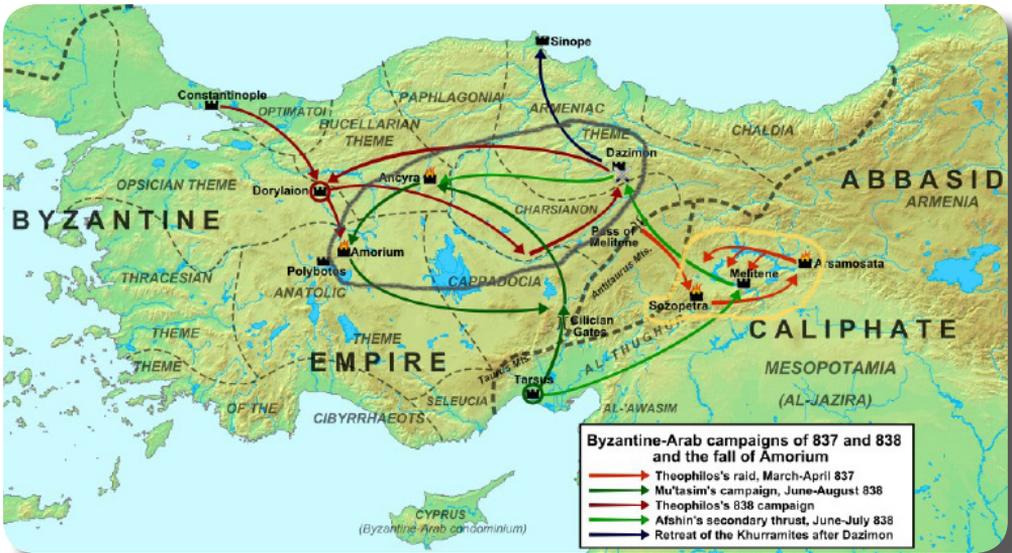
الأسر؟ فقالت: أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي أن جدك سيسرب جيوشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا ثم يتبعهم، فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم، مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت فوَقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت، وما شعر أحد بي بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، وذلك باطلاعي إياك عليه. وقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته).

وهذا يعني أنه كان ممن غزا المسلمين، بينما قبله أخته (تيودورا) كانت قد سالت العباسيين من (سنة ٨٤٢م) إلى (سنة ٨٥٥م) وكانت الأمور في غاية الهدوء ولكن (بارداس) أرجع الحروب مع العباسيين، وفي السنين (٨٥٦-٨٦٦) شهدت مناوشات وانتصارات للروم على العباسيين بأمر (بارداس) وبقيادة أخيه المحب إليه (بتروناس) وهنا يروي التاريخ قصة أنه في (سنة ٨٦٣م) هجم العباسيون بالتحالف مع دولة مسيحية بولسية على البيزنطيين فوصلوا إلى ساحل البحر الأسود فبعث القيصر أخاه (بتروناس) فعكس انتصارات العباسيين في تلك المعركة الخاطفة إلى هزائم، وذكرت الـ(ويكيبيديا) ^(٢٣) أن انتصارات (بتروناس) كانت أعظم الانتصارات للدولة البيزنطية خلال حروبها على دول المسلمين، بما ترجمته (بعد أن كان اختراقاً أعمق في الأراضي العربية من أي قائد بيزنطي منذ بداية الفتوحات الإسلامية، عاد منتصراً مع العديد من الأسرى).

وقد مات (بتروناس) والمعارك قائمة أو آخر (سنة ٨٦٥م) وهي نفس سنة دخول السيدة نرجس عليها السلام لبغداد بحسب الجداول الزمنية التي عملتها.

فإذن في ذلك الوقت كانت هناك معارك فعلاً. وهذا يصدق القصة بكونها استغلت المعركة ودخلت بلاد المسلمين وأسرت. وكانت المعارك بين العباسيين والروم تدور في نواحي عمورية ولكن بين تقدم وتأخر فلا يعرف المكان

بالدقة في سنة أسر أم إمامنا عليه السلام. ولكنه في خط المواجهة الذي دام طويلاً من (سنة ٢٢٠هـ) الموافق (٨٣٥ م) حين ابتداء (ثيوفيلوس) الحرب في (زبطرة) و(ملطية)، وتوقفت المعارك بعد وفاة (ثيوفيلوس) المعروف بين العرب (توفيل بن ميخائيل) في عهد (تيودورا) في الفترة (٨٤٢-٨٥٥ م) لأنها صالحت العباسيين فوراً، ولكن بعد إقصاء (تيودورا) وإلزامها التهرب في الدير عاد للحكم أخوها (بارداس) فبدأ المعارك من جديد وكان أوجهها في سنة (٨٦٥-٨٦٦ م). وهذه هي سنوات أسر السيدة نرجس أم الإمام المهدي عليه السلام. وهي الفترة الزمنية التي كانت جيوش العباسيين ضاغطة على حدود أنقرة - عمورية. كما هو مبين في الخريطة التالية:



الخط الرصاصي هو للمعارك بعد عمورية والمنطقة المخططة بالأصفر هي منطقة بدء المعركة من قبل (ثيوفيلوس)، وحسب الخارطة في منطقة أسر السيدة والدة الإمام الحجة عليه السلام هي المنطقة القريبة من المخططة بالرصاصي إلا إذا كان (بتروناس) قد توغّل في الأراضي العباسية عميقاً كما يدعي التاريخ البيزنطي،

ولكن في رواية بشر ما يُشير إلى ذلّ الروم في تلك المعركة، فإذا كان (بتروناس) تخطّى الحدود العباسية فيكون أسرها في نفس منطقة الدائرة الصفراء على منابع الفرات في داخل حدود الدولة العباسية، وهذا يساعد على ما ذكر في الصلاة المسيحية لاليسا (الترجس أو السوسنة)^(٢٤) التي أسرت على شاطئ الفرات. وهناك الخط المتقطع هو الحدود الرسمية بين بيزنطة وبين العباسيين قبل معركة (زيبطرا) التي افتعلها (ثيوفيلوس) بتحريض من القائد العباسي.

٤ - ذكرت رواية بشر بن سليمان بأن القيصر له أخ، والأخ له ولدان على الأقل. والتاريخ القيصري يقول: إن له أخاً عزيزاً عليه، شاركه في القيادة والرؤية الدينية والسياسية منذ أيام الملك (ثيوفيلس) اسمه (بتروناس)، وأن (بتروناس) قد ولد (سنة ٨٣٠م) مما يعني أن أولاده يصلحون للزواج من حفيدة (بارداس) لأنه أصغر من أخيه بعشرين سنة.

ولم أعر على معلومات عن أسرته بعمومها وهي صفحة غامضة، ونأتي إلى مشكلة مماثلة في القيصر (بارداس). عدا ما وجدته بأن ابن (بتروناس) (أدموند هكتور) كان أحد المرشحين للزواج من السيدة نرجس عليها السلام بعمر (١٣ عاماً) ولم أجد له مصدراً منشوراً، ولعله في وثائق الكنيسة والله العالم.

٥ - وصفت رواية بشر النخاس أن القيصر كان ملتزماً دينياً ومثقفاً علمياً، ومؤرخوا الدولة البيزنطية يصفونه بأنه أول من بدأ بالعلم ونشره وقرب العلماء وأسس الجامعات، وكان متديناً شديداً، وقد كان من حملة الأعلام ضد حركة الأيقونات، وقد دخل هو وأخوه (بتروناس) معارك سياسية مع أختهم التي تبنت الأيقونات، وقد قاما (سنة ٨٥٥م) بقتل المحرض لأختها (تيودورا) وانشقت الكنيسة لنصفين، فقسم يناصر (تيودورا) ويعادي (بارداس) إلى درجة الافتراءات عليه دينياً واجتماعياً وأخلاقياً كما يشير المؤرخون، وقسم ناصر (بارداس) واعتبر عبادة الأيقونات شركاً ولا يتساهل معها دينياً.

فمن يقوم بقتل قسيسة كبار وطررد آخرين وانتقاص مقام البابا في روما بسبب التوحيد وعدم جواز عبادة تماثيل وصور المسيح وأمه مريم عليها السلام وبقية القديسين، فهذا يدل على ما هو أعمق من نزعة دينية، بل هو قائد ديني له رؤية دينية واضحة حارب من أجلها، وقد يكون قتل بسببها. فهذه نقطة توافق أيضاً بين الرواية والواقع التاريخي^(٢٥).

٦ - يذكر محمد الحاج في مقالة أميرة الروم: أن اسم ابن (بارداس) الكبير هو (اغناطيوس) أو (اغناطيوس)، والكنيسة تقول إن هذا الاسم باللاتينية مشتق من (ignis)، يعني المتقد أو المتوقد، ويقولون إنه يقصد به المتقد بنور الإله، وهو تقريباً نفس معنى المهدي، وبالرجوع إلى كلمة يشوع نجد معناها في قاموس (كوجمان العبري - العربي)، هو المهدي المنتظر وهو المخلص، فلا يستبعد أن قول السيدة نرجس عليها السلام إنها مليكة بنت يشوعا ابن القيصر تقصد (اغناطيوس) مترجم من اللاتينية إلى العبرية والعربية.

فهذا الرجل أقرب من كل من ذكر برتبة قيصر بأن يكون هو جد السيدة نرجس عليها السلام في تلك الفترة من (سنة ٨٤٠ م إلى سنة ٨٧٠ م). بناءً على اعتبار رواية بشر بن سليمان النخاس.

وبهذه الإمكانية لوجود شخص يتوافق مع المواصفات التي ذكرت في الرواية الشيعية يصبح استبعاد واستحالة النواصب لصدق قصة أم الإمام المهدي عليه السلام هو تفكيراً سطحياً وبدون دليل أصلاً، وهو استبعاد لا يستند إلى حقائق إمكان الحدوث، بل هناك قرائن على الوقوع وليس فقط الإمكان منها ما قدمنا من تطابق في القصة مع الواقع، ومنها ما ذكر من وجود حفيده للقيصر (بارداس) اسمها (أليسا) وهي كلمة فينيقية تعني (زهرة النرجس) أو السوسن، وهذه الحفيده فقدت على نهر الفرات أثناء معارك، وكان الشعراء يكون عليها وأحدثت صلوات في الكنيسة لندبتها والدعاء لها، وهذا نص



الصلاة كما وجدته في النت ولا أعرف المصادر الرئيسية له، ولكنه قطعاً ليس مصدراً إسلامياً أو شيعياً والله العالم:

(نرجس يا سوسنة الأودية وعبق الزهور، يا سليلة التاج ومجد الصفا، منك يخرج غصن الياس قضيّب من جذعه وغصن من أصوله، من بين عينيك يخرج نور الشعوب وقرّة أعينهم الجالسون على الأرض أشرق عليهم نورك ففرحت الأمم وتعاضم لها الفرح كما يفرح الحصادون، يا ابنة الصفا وفخر مدينة السرور منك سيورق الغصن وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً قديراً رئيس السلام يحمل صولجان أبيض ويجلس على كرسي مجده) (٢٦).

والنص المسيحي الثاني في صلاة مدائحها للسيدة مريم بنت عمران عليها السلام فيها فقرة تذكر القديسة التي ستلد منقذ العالم بعصا الغضب الإلهي: (وساقها قدرها إلى مدينة السرور، على شاطئ أوفيرات لتضع وليدها الذي سيسافر مع الماء عبر بئر الحياة، حتى إذا رأى أخيه نازلاً من الملكوت على أجنحة الكروبيم عندها سيسوقا العالم بعصا من الغضب، وويل للأمة الملعونة من غضبهم، أعداؤه صخرهم باعهم والرب سلمهم) (٢٧).

هذان النصان المهمان إذا ثبت أنها يشيران إلى نفس الفتاة (أليسا) أو الـ(نرجس) أو الـ(سوسنة) فإنهما يثبتان وقوع القصة عيناً، وأن السيدة نرجس عليها السلام والدة إمامنا عليه السلام هي القديسة المفقودة من قصور القسطنطينية. مما يجدر التنبيه له:

عندنا بان (أليسا) اسمها نرجس وسوسن، وتبين لغويّاً أنها ترجمات في لغات متعددة لكلمة واحدة وهي (زهرة النرجس).

فإن هذه النصوص تثبت وجود أمر سرّي يعرفه أرباب الكنيسة بأنهم فقدوا فتاة مقدسة مرتبطة بالرب لتحيا حياة تؤثر على كل العالم في المستقبل،

حيث ستلد منقذ العالم الذي سيأتي معه المسيح ليخلصا العالم من شرور البشر. ولكن بشكل عام فإن الملفات لعائلة القيصر (بارداس) مفقودة ولم يتبين فيها حياة عائلته بدقة، وقد يأتي يوم يعثر الباحثون على تفاصيل أكثر دقة وصلوات أكثر وضوحاً.

وتريثت في نقل ما نشر في النت عن حياة أليسا، وكيف فقدت على سواحل الفرات ووصلت إلى بغداد مدينة السرور والسلام، بقصة تفصيلية طويلة تتطابق تقريباً مع رواية بشر بن سليمان النخّاس من لسان السيدة نرجس عليها السلام. حيث لم أجد للنص مصدراً غير تلك المقالة، رغم بحثي المطول لها، وأكتفي بهذا القدر، والأمر لبقية الباحثين فإن هناك الكثير مما يمكن أن يكشفه البحث خصوصاً في الروايات التاريخية البيزنطية وباللغة القديمة والحديثة.

ولعل هذه النصوص الرائعة المتوافقة مع ما قصّته السيدة نرجس عليها السلام عن حياتها تكون قليلة بالنظر لكثير ما سيعثر عليه الباحثون، خصوصاً إذا وضعنا نصب أعيننا بأن المؤرخين ينصّون على وجود غموض في تاريخ عائلة القيصر (بارداس) الذي حكم عشر سنوات، وبحكم متميز حيث إنّه ولأول مرة تحصل للروم انتصارات على العباسيين ولأول مرة يدعم الملك العلوم وهو من أسس التطور العلمي والصناعي الذي قام به فيما بعد الإمبراطور (باسيل المقدوني) الذي قتل (بارداس) نفسه بيديه، واعتبر ذلك الوقت هو الوقت الذهبي للحكم البيزنطي، ولولا الهجمات المتواصلة من أوروبا من الشمال والغرب ضد الدولة البيزنطية لكانت دولة رائدة ومنافسة في القوة للدولة الإسلامية، ولما سقطت بيد الأتراك. فبداية التقدم العلمي وإن تأخر حوالى (٦٠ - ٩٠) سنة عن بداية التقدم العلمي في الدولة العباسية، إلا أن هذا الفارق كان يمكن تجاوزه في حال وجود إدارة للعلوم فيضيق الفاصل الزمني بتسريع



التقدم. ولكن الله أراد النصر للإسلام حتى النصر الشكلي منه في وقت وبركة الإمام ﷺ ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (الأنفال: ٤٤) والحمد لله رب العالمين.

من جهة الأم:

وأما من جهة الأم فهذه قصة ثانية وتستحق الكثير من الانتباه، وخلاصتها هو ما حققه الشيخ علي الكوراني، حيث إنها حسب النصوص تنسب إلى الحواري العظيم صاحب المعجزات (سمعان الصفا) أي الصلد وهو (شمعون) باللغة العبرية وعرف بالرسول (بطرس) و(بطرس) هو ترجمة للصفا.

وقال:

فهذا الحواري له الفضل في نشر المسيحية الحققة في وقته بين الأوروبيين، وقد أقنع زوجة القيصر في روما باعتراف المسيحية والتخفيف عن آلامهم ونشر دعوتهم. وقد خدم الإيمان في كل من إيطاليا وتركيا والموصل وسوريا وفلسطين ولبنان، ويبدو أن أصله من لبنان من (جبل عامل)، وسكن مع والده في قرية (كفرناحوم) قرب بحيرة طبرية جنوب لبنان قرب بنت جبيل، والقرية الآن في فلسطين قرب الحدود اللبنانية، ومات والده في (جبل حامول) قرب الناقورة وهي الآن قرية لبنانية على الحدود الفلسطينية من جهة البحر. وحسب نظرنا فإنه والحواري هم من خلص عباد الله ومن المقدسين بأنفسهم. نظراً لنظرنا للنبؤات ورسالات الله ورجاله. ولهذا فإنه من الخطأ أن يعتقد البعض بأن تقديس الشيعة لشمعون بن حمون هو من أجل كونه جد الإمام المهدي ﷺ من أمه فقط، بل لأنه بنفسه حواري مؤمن صالح دعا لله، وأما كونه جده الإمام المهدي ﷺ فهذه فضيلة إضافية له من الله أن يختلط دمه بدم النبي محمد ﷺ في الإمام المهدي ﷺ. ولهذا فإن ما نقلته النصرانية (هالة الحمصي) غير دقيق إطلاقاً عند (الشيعة الإمامية).



قد يكون السر المستودع في شمعون هو (أنه أحد أجداد الإمام المهدي عليه السلام الإمام الثاني عشر الذي سيخرج في آخر الزمان، وأن والدته الإمام مليكة عليها السلام بنت يشوعا ابن قيصر ملك الروم - وهي مسيحية - تعود في نسبها إلى شمعون).

يقول علي داوود جابر: ولهذا السبب يبجل الشيعة صاحب المقام الذي تنسب إليه كرامات عدة. (مثل) اليمين الكاذبة في حضرة شمعون (وما يتبعها من عقاب سريع) حكايات يرددها اهال في المنطقة والحوار. وهناك أيضاً شفاءات ونجاة من موت محتم... والعارفون بأمر النبي صلى الله عليه وآله، فإن النذر المرفوع إليه لا بد من أن يكون مستجاباً) انتهى^(٢٨).

وقد خلف شمعون أو سمعان أولاداً وذرية وكان من ذريته راهبان في زمن الإمام علي عليه السلام، كان أحدهم ينتظر أمير المؤمنين عليه السلام، وقد حدثت معجزة نبع الماء - في حديقة - في طريقه إلى صفين. وقد ذكر الشيخ علي الكوراني ملخص ذلك: (تقدم أن هذين الراهبين من ذرية شمعون الصفا، وأن أحدهما اختار دير حديقة أو صندوقاً لأن يقربه عيناً شرب منها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وسيشرب منها آخر الأوصياء عليهم السلام).

والثاني في دير علي نهر البليخ الذي هو بجوار قبر شمعون الصفا، وعنده كتاب توارثه يبشر بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله ووصيه الذي سيأتي إلى هذه الأرض، ويقاوم عدوه فيها، ويظهر شمعون من قبره ليسلم عليه!

قال كما في رواية سليم بن قيس الهلالي: (إني من نسل رجل من حوارى أخيك عيسى بن مريم عليها السلام وأنا من نسل شمعون بن حمون وصي عيسى بن مريم... وإليه أوصى عيسى بن مريم عليها السلام وإليه دفع كتبه وعلمه وحكمته، فلم يزل أهل بيته على دينه متمسكين بملته فلم يكفروا ولم يبدلوا ولم يغيروا. وتلك الكتب عندي إملاء عيسى بن مريم عليها السلام وخط أبنينا عليها السلام بيده، وفيها



كل شيء يفعل الناس من بعده ملك ملك، وكم يملك وما يكون في زمان كل ملك منهم، حتى يبعث الله رجلاً من العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، من أرض تدعى 'تهامة، من قرية يقال لها مكة...') (٢٩).

ومن هذه الرواية يستدل الشيخ الكوراني أن قبر الحواري شمعون الصفا ليس في روما كما تدعي الكنيسة وأنه في قبو كنيسة القديس بطرس في الفاتكان، وليس في لبنان في الناقورة كما هو مشتهر شعبياً وكما يؤكد الدكتور علي جابر، وإنما ذلك قبر إمّا لوالده أو لأحد المؤمنين الذين أكرمهم الله بكرامته، وقد أجاد الشيخ التحقيق في مكان قبره. وقد أثبت أنه في الحدود السورية العراقية من الشمال وكلامه يستند إلى رواية ابنه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى وجود مثل ذلك القبر.

أقول: في التواريخ تداخل وعدم دقة وما حققناه أصح. فإن تاريخ ولادة الإمام عليه السلام جعله سنة ولادتها نفسها وهو أمر بيّن الخطأ لا يحتاج إلى نقاش. كيف جاء الله بمليكة إلى الإمام العسكري عليه السلام؟

برواية تفصيلية فقد روى الصدوق عليه السلام (٣٠): (عن محمد بن بحر الشيباني قال: وردت كربلاء سنة ست وثمانين ومائتين قال: وزرت قبر غريب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم انكفأت إلى مدينة السلام متوجهاً إلى مقابر قريش في وقت قد تضرمت الهواجر وتوقدت السائم، فلما وصلت منها إلى مشهد الكاظم عليه السلام واستنشقت نسيم تربته المغمورة من الرحمة، المحفوفة بحدائق الغفران، أكبت عليها بعبرات متقاطرة، وزفرات متتابعة، وقد حجب الدمع طرفي عن النظر، فلما رقات العبرة وانقطع النحيب، فتحت بصري فإذا أنا بشيخ قد انحنى صلبه وتقوس منكباه، وثفتت جبهته وراحته، وهو يقول لأخر معه عند القبر: يا بن أخي لقد نال عمك شرفاً بما حملته السيدان من غوامض الغيوب وشرائف العلوم، التي لم يحمل مثلها إلا سلمان، وقد أشرف عمك



على استكمال المدة وانقضاء العمر، وليس يجد في أهل الولاية رجلاً يفضي إليه بسرّه. قلت: يا نفس لا يزال العناء والمشقة ينالان منك بإتعايي الخف والحافر في طلب العلم، وقد قرع سمعي من هذا الشيخ لفظ يدل على علم جسيم وأثر عظيم، فقلت: أيها الشيخ ومن السيدان؟ قال: النجمان المغيبان في الثرى بسر من رأى. فقلت: إني أقسم بالموالاة وشرف محل هذين السيدين من الإمامة والوراثة إني خاطب علمهما، وطالب آثارهما وباذل من نفسي الإيمان المؤكدة على حفظ أسرارهما، قال: إن كنت صادقاً فيما تقول، فأحضر ما صحبتك من الآثار عن نقلة أخبارهم، فلما فتش الكتب وتصفح الروايات منها قال: صدقت، أنا بشر بن سليمان النخّاس، من ولد أبي أيوب الأنصاري، أحد موالى أبي الحسن وأبي محمد وجارهما بسر من رأى، قلت: فأكرم أخاك ببعض ما شاهدت من آثارهما، قال: كان مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري فقهنني في أمر الرقيق فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلا بإذنه، فاجتبت بذلك موارد الشبهات، حتى كملت معرفتي فيه، فأحسنّت الفرق بين الحلال والحرام. فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسر من رأى، وقد مضى هوي من الليل إذ قرع الباب قارع فعدوت مسرعاً، فإذا أنا بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد يدعوني إليه، فلبست ثيابي ودخلت عليه فرأيتّه يحدث ابنه أبا محمد وأخته حكيمة من وراء الستر، فلما جلست قال: «يا بشر إنك من ولد الأنصار، وهذه الولاية لم تنزل فيكم يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإني مزكّيك ومشفرك بفضيلة تسبق بها شأو الشيعة في الموالاة بها: بسرّ أطلعك عليه وأنفذك في ابتياع أمة».

فكتب كتاباً ملصقاً بخط رومي ولغة رومية، وطبع عليه بخاتمه، وأخرج شستقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال: «خذها وتوجه بها إلى بغداد، واحضر معبر الفرات ضحوة كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق



السبايا وبرزن الجواري منها، فستحقد بهم طوائف المتباعين من وكلاء قواد بني العباس وشراذم من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس، عامة نهارك إلى أن يبرز للمتباعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقتين، تمتنع من السفر ولمس المعترض والإنقياد لمن يحاول لمسها، ويشغل نظره بتأمل مكاشفها من وراء الستر الرقيق، فيضربها النخاس فتصرخ صرخة رومية، فاعلم أنها تقول: وا هتك ستره، فيقول بعض المتباعين عليّ بثلاث مائة ديناراً، فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول بالعربية: لو برزت في زي سليمان وعليّ مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة، فأشفق عليّ مالك، فيقول النخاس: فما الحيلة ولا بد من بيعك. فتقول الجارية: وما العجلة ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى أمانته وديانته، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له: إنّ معي كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي، ووصف فيه كرمه ووفاه ونبله وسخاءه، فنأولها لتأمل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته، فأنا وكيله في ابتاعها منك».

قال بشر بن سليمان النخاس: فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلما نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً، وقالت لعمر بن زيد النخاس: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة المغلظة إنّه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت أشأحه في ثمنها حتى استقر الأمر فيه عليّ مقدار ما كان أصحبه مولاي عليه السلام من الدنانير في الشستقة الصفراء، فاستوفاه مني وتسلمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى حجرتي التي كنت أوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولاها عليه السلام من جيبها وهي تلثمه وتضعه على خدها، وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنها، فقلت تعجباً منها: أتلثمين كتاباً، ولا تعرفين صاحبه؟



قالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء ﷺ، أعزني سمعك وفرغ لي قلبك: أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمِّي من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون عليه السلام، أنبؤك العجب العجيب: إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه، وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريين ومن القسيسين والرهبان ثلاث مائة رجل ومن ذوي الأخطار سبع مائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقواد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهو ملكه عرشاً مصوغاً من أصناف الجواهر، إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة، فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان، وقامت الأساقفة عكفاً ونُشرت أسفار الإنجيل، تسافلت الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض، وتقوضت الأعمدة فانهارت إلى القرار، وخرَّ الصاعد من العرش مغشياً عليه! فتغيرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدي: أيها الملك اعفنا من ملاقات هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني، فتطير جدي من ذلك تطيراً شديداً، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان، واحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جده، لأزوج منه هذه الصبية فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأول!

وتفرق الناس وقام جدي قيصر مغتماً ودخل قصره، وأرخت الستور! فأريتُ في تلك الليلة كأن المسيح وشمعون وعدة من الحواريين، قد اجتمعوا في قصر جدي ونصبوا فيه منبراً يباري السماء علواً وارتفاعاً، في الموضع الذي كان جدي نصب فيه عرشه، فدخل عليهم محمد ﷺ مع فتية وعدة من بنيه، فيقوم إليه المسيح عليه السلام فيعتنقه فيقول: يا روح الله إني جئتُك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأوماً بيده إلى أبي محمد صاحب هذا



الكتاب فنظر المسيح إلى شمعون فقال له: قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم رسول الله ﷺ قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر وخطب محمد ﷺ وزوجني، وشهد المسيح ﷺ وشهد بنو محمد ﷺ والحواريون، فلما استيقظت من نومي أشفقت أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل، فكنت أسرها في نفسي ولا أباها لهم. وضرب صدري بمحبة أبي محمد ﷺ حتى امتنعت من الطعام والشراب، وضعفت نفسي ودق شخصي ومرضت مرضاً شديداً، فما بقي من مدائن الروم طيب إلا أحضره جدي وسأله عن دوائي، فلما برح به اليأس قال: يا قرة عيني فهل تخطر ببالك شهوة فأزودكها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من أسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال وتصدقت عليهم ومننتهم بالخلاص، لرجوت أن يهب المسيح وأمه لي عافية وشفاء.

فلما فعل ذلك جدي تجلدت في إظهار الصحة في بدني، وتناولت يسيراً من الطعام فسر بذلك جدي، وأقبل عليّ إكرام الأسارى وإعزازهم، فرأيت أيضاً بعد أربع ليال كأن سيدة النساء ﷺ قد زارتني ومعها مريم بنت عمران ﷺ، وألف وصيفة من وصائف الجنان فتقول لي مريم ﷺ: هذه سيدة النساء أم زوجك أبي محمد، فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد من زيارتي، فقالت لي سيدة النساء ﷺ: إن ابني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله وعلى مذهب النصراني، وهذه أختي مريم تبرأ إلى الله تعالى من دينك، فإن ملت إلى رضا الله ﷻ ورضا المسيح ومريم عنك، وزيارة أبي محمد إياك فتقولي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.

فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمّنتني سيدة النساء إلى صدرها فطابت لي نفسي وقالت: الآن توقعي زيارة أبي محمد إياك، فإني منفضته إليك. فانتهت وأنا أقول: وا شوقاه إلى لقاء أبي محمد، فلما كانت الليلة القابلة



جاءني أبو محمد عليه السلام في منامي، فرأيتُه كأني أقول له جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبك! قال: ما كان تأخيري عنك إلا لشركك، وإذ قد أسلمت فإني زائرُك في كل ليلة إلى أن يجمع الله شملنا في العيان، فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية!

قال بشر: فقلت لها وكيف وقعت في الأسر؟

فقلت: أخبرني أبو محمد عليه السلام ليلة من الليالي أن جدك سيسرب جيوشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا ثم يتبعهم، فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم، مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت فوَقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت، وما شعر أحد بي بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، وذلك باطلاعي إياك عليه. وقد سألتني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت نرجس، فقال: اسم الجواري.

فقلت: العجب أنك رومية ولسانك عربي.

قالت: بلغ من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إليّ امرأة ترجمان له في الاختلاف إليّ، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية، حتى استمر عليها لساني واستقام.

قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سرّ من رأى دخلت عليّ مولانا أبي الحسن العسكري عليه السلام فقال لها: «كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية وشرف أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله؟»

قالت: كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به مني.

قال عليه السلام: «فإني أريد أن أكرمك، فأبما أحب إليك عشرة آلاف درهم أم

بشرى لك فيها شرف الأبد؟»

قالت: بل البشري.

قال: «فأبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

قالت: ممن؟

قال عليه السلام: «ممن خطبك رسول الله ﷺ له من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالرومية».

قالت: من المسيح ووصيه؟

قال عليه السلام: «فممن زوجك المسيح ووصيه»؟

قالت: من ابنك أبي محمد عليه السلام.

قال: «فهل تعرفينه»؟

قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إياي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيدة النساء عليه السلام أمه؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: «يا كافور ادع لي أختي حكيمة»، فلما دخلت عليه قال لها: ها هي، فاعتنقتها طويلاً وسرت بها كثيراً، فقال لها مولانا: «يا بنت رسول الله أخرجها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم ﷺ» (٣١).

ملاحظات:

١. راوي هذه الرواية العالم المؤلف الأديب محمد بن بحر الشيباني رحمه الله، وقد تقدم توثيقه، وأن الصدوق رحمه الله استشهد على عقائد المذهب بفقرات من كتبه. أمّا سيدنا الخوئي قدس سره فطبق منهجه المتشدد وضمّعت الرواية! قال (٤/ ٢٢٤): (لكن في سند الرواية عدة مجاهيل، على أنك قد عرفت فيما تقدم أنه لا يمكن إثبات وثاقة شخص برواية نفسه) يقصد بذلك قول الإمام الهادي عليه السلام لبشر بن سليمان الأنصاري: فأنتم ثقاتنا أهل البيت عليه السلام. ويقصد أنه لا يثبت وثاقة سليمان لأنه هو الذي رواه. لكن يكفي لصحة الرواية اعتضادها برواية محمد بن عبد الجبار الصحيحة المتقدمة، ثم يكفي في توثيق الشيباني ارتضاء الصدوق



والقميمين لروايته رغم تشددهم. على أن دواعي الوضع هنا منتفية. وقد ارتضى هذا المبنى الشيخ الأنصاري رحمته الله على ما تقدم الإشارة إليه. فهذا كافٍ في تصحيح رواية مليكة رحمته الله، فكيف إذا أضفنا إليه الصحيحة المتقدمة عن محمد بن عبد الجبار، وهي وحدها كافية لتصحيحها.

٢. تدل الرواية على المستوى العلمي والعقلي الجيد لبشر الأنصاري رحمته الله لأنه لم يحدث الشيباني حتى امتحنه واطمأن إلى أنه عالم موالٍ: (قال: إن كنت صادقاً فيما تقول فاحضر ما صحبتك من الآثار عن نقلة أخبارهم، فلما فتش الكتب وتصفح الروايات منها قال: صدقت. أنا بشر بن سليمان...).

٣. ما وصفته مليكة رحمته الله من سقوط المنصة والزينة والصلبان والعريس، وتكرار ذلك مع العريس الثاني الذي أرادوها لها، كان آيةً ربانيةً لقيصر ليفهم أن هذا العمل نحسٌ فيتركه، وقد فهم ذلك وتركه. وقد رأيتُ بعض النواصب يسخر من قصة نرجس رحمته الله، وفي نفس الوقت يؤمن بكراماتِ لابن تيمية أعظم منها، ويأتُمُّ بمن لا يعقل الخطاب والجواب!

٤. كانت تسمى مليكة، ونرجس، وسوسن، وريحانة، وصقيل ^(٣٢). وسبب تعدد التسمية أن الخليفة وظَّف جاسوسات يأتينه بأخبار بيت الإمام رحمته الله ومن هي حامل من نسائه. وقد زادت رقابتهم على الأئمة رحمته الله لما اقترب الأمر من الإمام الثاني عشر رحمته الله، لأنه الموعد الذي يُنهي دولة الظالمين.

هذا ما ذكره في كشف الحق، ولكن هناك احتمالات أخرى منها أن تداول الآسرين والنخاسين للإماء يتغير أسماءهن بسبب إعطاء أسماء من قبل النخاس لإماءه، وهناك قضية الترجمة من لغة إلى أخرى، فقد رأينا ذكر بنت القيصر المأسورة في رواية بيزنطية ولم نعثر على مصدرها فأشرنا إليها ولم نقلها حتى نعثر على المصدر بأن اسمها (أليسا) و(أليسا) هي النرجس وهي السوسن باللغة العربية. وقد ذكرت زوجات الخلفاء بأكثر من اسم للزوجة الواحدة ^(٣٣).

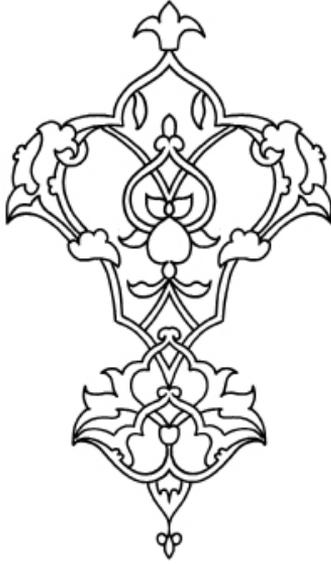


الهوامش

١. إثبات الهداة (٣/ ٥٦٩).
٢. وبين ذلك من الرواية المضعفة، فإنه كيف تكون ابنة ابن القيصر في سامراء إذا لم تكن سبية؟
٣. كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج ٢، ص ٣٨٥، باب ماروي في نرجس عليها السلام: ح ١.
٤. سند الرواية صحيح بامتياز، لأن الفضل بن شاذان الثقة العين يرويها عن الإمام العسكري عليه السلام بواسطة واحدة، هو محمد بن عبد الجبار، وهو ثقة أيضاً.
٥. كتاب المكاسب - الشيخ الأنصاري: ٢/ ٢٤٣.
٦. باقي المعلومات هي من الويكيبيديا باللغتين الانجليزية والعربية.
٧. نفس المصدر.
٨. نفس المصدر.
٩. نفس المصدر.
١٠. نفس المصدر.
١١. نفس المصدر.
١٢. نفس المصدر.
١٣. ومعلوم في تاريخ الدولة البيزنطية أن القيصر (بارداس) أعاد الحرب مع العباسيين وانتصر عليهم عدة مرات، فقد كانت جبهة المواجهة ساخنة حتى لما بعد (سنة ٨٦٧م) بعد غدر سائس خيل الملك ميخائيل - الذي لم يحكم فعلياً وإنما كانت همته بعشيقته - والغادر هو المدعو (باسيل المقدوني) سائس خيل الملك بواسطة نفس عشيقة الملك ميخائيل السكرير [الموقع الالكتروني (معرفة): مقال باسيل الثاني].
١٤. باقي المعلومات هي من الويكيبيديا باللغتين الانجليزية والعربية.
١٥. نفس المصدر.
١٦. نفس المصدر.
١٧. وبالمناسبة نذكر أن (ثيوفيلس) كان من مضطهدي الكنيسة القائلة بحلية الأيقونات أي عبادة تماثيل المسيح والعذراء، وكان يسجنهم ويعذبهم باعتبارهم إلى الشرك أقرب. ويؤيده نسيه وأخو زوجته الوزير (بارداس) المتولد سنة ٨١٠م) وأيّد هذا الاتجاه أخوه (بتروناس) المولود (سنة ٨٣٠م).
١٨. باقي المعلومات هي من الويكيبيديا باللغتين الانجليزية والعربية.
١٩. نفس المصدر.
٢٠. نفس المصدر.
٢١. نفس المصدر.
٢٢. نفس المصدر.
٢٣. الويكيبيديا: موسوعة رقمية متعددة اللغات حرّة المحتوى، يستطيع أي شخص التحرير فيها بدون تسجيل، ويستطيع أي شخص الاستفادة من المحتوى واستغلاله بهدف تجاري أو غيره وفق لترخيص الموسوعة، نشأت عام (٢٠٠١م) وتطوّرت بسرعة لتصبح واحدة من أكبر المواقع على الانترنت وتجذب أكثر من (١٠٠) مليون زائر شهرياً.
٢٤. مقال للكاتبة إيزابيل بنيامين شارون - الفصل الثاني نرجس يا سوسنة الأودية.
٢٥. صراع الأيقونات (السنوات ٧١٧ - ٨٥٥)،

الهوامش

- ويراجع لذلك أيضاً ويكيبيديا (حرب الأيقونات البيزنطية).
٢٦. المصدر؛ مقالة: يسي في مدينة السرور، نفثات الأب حيرام الرامي التي وردت في صلاة القديس مرذاربوس في السلام الملائكي.
٢٧. المصدر: مديح لوالدة الإله الشافية من السرطان، هنام كيللي النرجسة المقدسة المنقذة في الأيام الصعبة ص ٢١٣ طبع دمشق ١٩٦٧.
٢٨. يراجع لذلك كتاب شمعون الصفا بين المسيحية والإسلام - علي داوود جابر.
٢٩. شمعون الصفا - علي الكوراني: ص ٢١٥ - ٢١٨؛ كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢٥٢.
٣٠. كمال الدين: ٤١٧/٢.
٣١. ووراه بنحوه دلائل الإمامة / ٢٦٢، بتفاوت سير؛ وروضة الواعظين: ١ / ٢٥٢؛ ومناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٤٠ مختصراً؛ ومنتخب الأنوار / ٥١؛ وإثبات الهداة: ٣ / ٣٦٣، و ٣٦٥، و ٤٠٩ و ٤٩٥؛ والبحار: ٦ / ٥١ و ١٠.
٣٢. كشف الحق: ٣٣.
٣٣. نرجس يا سوسنة الأودية - مقال للكاتبة إيزابيل بنيامين ماما آشوري.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

توثيقات المستشرقين الألمان للقضية المهدوية دراسة تحليلية نقدية

د. حسن جاسم محمد حسين الخاقاني (*)

المقدمة:

فجرٌ جديد، وإشراقه شمس جميلة، وبزوغ قمر ينير السماء بهذا الشكل البهي، ينتظر المنتظرون الطلعة البهية لإمام زمانهم المهدي بن الحسن المنتظر عليه السلام، ليبدأ بظهوره عهد الألفة والمحبة والرحمة ونصرة المظلوم وشيوع العدل والقسط، بعد عهد الظلم والجور الطويل الذي خيّم على الدنيا، ومن هنا تتضح الأهمية الكبرى لموضوع القضية المهدوية التي قدّمت فيها المؤلفات والبحوث الكثيرة على الصعيد الإسلامي، وتنبّهت المدارس الاستشراقية إلى أهمية الموضوع، والمدرسة الألمانية من ضمن المدارس التي اهتمّت بقضية الإمام المهدي عليه السلام، وأتّسمت توثيقات المستشرقين الألمان للقضية المهدوية بالتأرجح بين السلب والإيجاب، فهناك من تمكّن سبر أغوار هذه القضية المهمة، قاصداً الدراسة العلمية الخالصة التي يمكن من خلالها الوصول إلى النتائج المرجوة والدقيقة، وفي الجانب الآخر وقف قسم من المستشرقين الألمان المتصدين في الماء العكر، وهدفهم دس السم بالعسل حتّى يصلوا إلى غايتهم المنشودة بشقّ الصف الإسلامي واختلاق الأزمات التي تثير الشارع الإسلامي، لعلمهم بأهمية هذه القضية وأثرها في نفوس المسلمين لوجود خلافات حولها تمتد إلى مئات السنين.



وقد تناول المستشرقون الألمان قضية الإمام المهدي عليه السلام من عدّة جوانب، منها: مسألة وجوده من عدمها، والأساس الذي بنيت عليه القضية المهدوية، كما أن موضوع ولادته الميمونة كانت محط اهتمامهم، ولم تكن الأوضاع السياسية المرافقة للولادة، أو المصاحبة للقضية بعيدة عن متناول أعلامهم كونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها، وهناك الكثير من الأحداث جاءت كردّ فعلٍ على تلك الأوضاع لتجنّب الاصطدام بالسلطة الحاكمة آنذاك، كما تطرّقوا إلى الغيبتين الصغرى والكبرى وسفراء الإمام عليه السلام الأربعة، وأثرهم في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومن هنا عمد الباحث إلى تقسيم بحثه إلى عدد من الفقرات:

كان أولها: شكوك المستشرقين بشخص الإمام المهدي عليه السلام.

والفقرة الثانية: رؤية المستشرقين الألمان للأوضاع السياسية المصاحبة لولادة

المهدي عليه السلام.

أمّا الفقرة الثالثة: فكانت عن الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة^(١).

أولاً: شكوك المستشرقين الألمان بشخص الإمام عليه السلام:

اجتهد بعض المستشرقين الألمان لتكريس مبدأ الشك في وجود الإمام المهدي عليه السلام عبر أقاويل لا تستند إلى الحقائق ولا تصمد أمامها، فهذا المستشرق شتروطمان (Strothmann) يعبر عن رأيه في هذا الموضوع بقوله: (... ومن المشكوك فيه كل الشك أنّ الحسن الخالص وهو الإمام الحادي عشر، قد خَلَفَ ولدًا على الإطلاق لما مات عام (٢٦٠هـ / ٨٧٣م)، لكن ساد بين الشيعة الإمامية الاعتقاد بوجود ابن له هو محمد حجة الله^(٢)، يبدو من هذا النص أن شتروطمان قد حسم أمره في مسألة وجود الإمام عليه السلام، فهو يستبعد تماماً ولادته، أو تخليف الإمام العسكري عليه السلام لولد، ولا يعد وجوده إلا اعتقاداً لدى الشيعة الاثني عشرية.



ويذهب بذات الاتجاه المستشرق الألماني إسرائيل فردناند (Isr.Friedländer) فهو يعد الولادة أسطورية وذات إشكالية كبيرة، وأنها حدثت في اليوم نفسه الذي توفي فيه والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام (٢٦٠هـ / ٨٧٣م)^(٣). ويمكننا من خلال تتبع رأي هذين المستشرقين إيضاح مسألة أصبحت بديهية لديهم، وهي الشك في وجود هذه الشخصية كونهم قد بنوا اعتقادهم مسبقاً أن لا وجود لها مطلقاً، وإنما هي أسطورة من اختراع الشيعة أرادوا فيها إعطاء الأمل لأتباعهم عبر وسيلة الانتظار، كي يواصلوا الصمود أمام التحديات والأخطار المحدقة بهم من قبل السلطات الحاكمة التي اضطهدتهم بشتى أنواع الاضطهاد، أو أنهم أرادوا إتمام عدة الاثني عشر إماماً الموافقة لمذهبهم الإمامي الاثني عشري، فهو تمام عدة الاثني عشر إماماً عليهم السلام. وهم في هذا الرأي لم يتعدوا كثيراً عن بعض علماء الإسلام الذين نقلوا حديثاً شاذاً ينكر وجود الإمام المهدي عليه السلام، وجعلوا ذلك مقتصراً على نبي الله عيسى عليه السلام، وهذا ما صرح به نعيم بن حماد^(٤) عن الحسن البصري^(٥) بأن المهدي هو عيسى بن مريم عليها السلام^(٦)، ويرى إن كان هناك مهدي فهو عمر بن عبد العزيز^(٧)، ويبدو من هذا الكلام ابتعاد نعيم عن الحقيقة مقتدياً بالحسن البصري، كما يظهر بجلاء انحيازه صوب الأمويين، ما جعله يعطي هذه المنزلة الرفيعة لعمر بن عبد العزيز، وتلاه ابن أبي شيبة^(٨) ناقلاً عن مجاهد^(٩) بأن المهدي عيسى بن مريم عليها السلام^(١٠)، كما نقل غيرهم هذا الحديث الشاذ^(١١).

وهناك أمر مهم يمكن الالتفات إليه، وهو أن أكثر من نقل هذا الحديث ينقل أحاديث أخرى تشير بوضوح أن المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وآله وهو ابن الإمام العسكري^(١٢)، ويرى الباحث أن ذلك يعود لسببين:

أحدهما: سياسي مرتبط بالسلطة الحاكمة ومهادنة رجال الحديث والمؤرخين لهم، فلم يتوانوا عن تأليف أحاديث تسند إلى النبي صلى الله عليه وآله تتلاءم مع توجهات

أفراد الأسر الحاكمة في العهدين الأموي والعباسي لنيل رضی الحُكام أو تفادياً
لسطوتهم وظلمهم.

والسبب الثاني: يعود إلى إصرار البعض على مجافاة الحقيقة والابتعاد عنها
كونهم يرزحون تحت رؤية ضبابية لا تقر بمكانة أهل البيت عليهم السلام على الرغم
من المؤشرات الكثيرة التي جاء بها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة
كما أن النقل العشوائي للروايات لم يكن بعيداً عن تناول هؤلاء، فظهر
التناقض واضحاً في مروياتهم.

وتفصيلاً لما جاء به شتروثمان (Strothmann) وإسرائيل فردناند
(Isr.Friedländer)، لا بد من العودة إلى المصادر الإسلامية التي
أكدت ولادة الإمام المهدي عليه السلام ونسبته لأهل البيت عليهم السلام، فقد نقل
البعض أحاديث عن الإمام المهدي عليه السلام قبل ولادته، فهذا الصنعاني^(١٣)
يخصّص باباً لأخبار المهدي، ويشير بوضوح نسبته لأهل البيت عليهم السلام،
بقوله عن النبي صلى الله عليه وآله: «... فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي فيما
الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً»^(١٤)، ويحدد حماد المروزي نسب الإمام
المهدي عليه السلام بقوله: ... قال: «من قريش»، قلت: من أي قريش؟ قال: «من
بني هاشم»، قلت: من أي بني هاشم؟ قال: «من بني عبد المطلب»،
قلت: ثم أي عبد المطلب؟ قال: «من ولد فاطمة»^(١٥). ويبدو من
النصين أن أمر نسب المهدي عليه السلام إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام
قد حُسم، وأي حديث بعده يدخل في مجال المساومات والمزايدات التي
تريد الوصول إلى غايات دنيوية تتعد بالحقيقة عن مسارها الصحيح،
فهو من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ومن ولد فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمد،
وهذا ما أكدته المصادر الإسلامية الكثيرة^(١٦).

وبالعودة إلى قضية ولادة الإمام عليه السلام ووجوده، التي أنكرها هذان المستشرقان،



فقد أوردت المصادر الإسلامية روايات تصب باتجاه الولادة المباركة وحقيقة وجوده سنعرضها حسب التسلسل الزمني، ولاسيما التي كانت حاضرة أيام الغيبة الصغرى، وهي تحمل خبراً صريحاً عن الولادة، فيروي لنا الكاتب البغدادي^(١٧) بأنه قد ولد الخلف عليه السلام سنة ثمان وخمسين ومائتين ومضى أبو محمد الرابع عليه السلام وللخلف سنتان وأربعة أشهر^(١٨). ويظهر مما تقدم وجود اختلاف في سنة الولادة المشهورة عند الإمامية كما سنرى عند ذكر خبرها، وهذا ما يجعل سنّ الإمام عليه السلام عند وفاة أبيه العسكري عليه السلام أصغر، لكن نقل الكليني لخبر الولادة يمكن عدّه الأشهر والأصح، فيرى أنه ولد عليه السلام للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين^(١٩).

وهذه إشارة واضحة وجلية ينقلها الكليني في باب ولادة صاحب عليه السلام محدّد فيها اليوم والشهر اللذين وُلد فيهما الإمام المهدي عليه السلام بما لا يقبل الشك فيها وفي صاحبها، وكذا نقل ابن أبي زينب النعماني (ت حدود ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م)^(٢٠) عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فيقسم الإمام بالله تعالى أنه ما رغب في الدنيا ساعة قط، ولكن فكره كان منصباً في مولود يكون من ظهره وهو الحادي عشر من ولده عليه السلام وهو المهدي المنتظر الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(٢١). تلاه العديد من علماء المسلمين الذين أرّخوا الولادة الإمام المهدي عليه السلام^(٢٢)، وهناك أمر يجب الالتفات إليه، وهو أن بعض الذين كتبوا عن الإمام المهدي عليه السلام عوّلوا في موضوع الولادة على روايات لا تشير بصراحة إلى الولادة.

ويرى الباحث أنّ هؤلاء لم يكونوا بحاجة إلى هكذا أخبار يبتغون من ورائها إثبات الولادة لأن الأمر ليس بحاجة لذلك، كون الولادة ثابتة كما أشرنا لذلك، ومن الذين عوّل هؤلاء على روايتهم: الروياني (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م)^(٢٣) الذي روى حديثاً في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله مفاده: مجيء رايات سود من

قبل المشرق يقتلون المسلمين قتلاً لم يقتله قوم قط مثله، وأضاف إذا سمعتم به فأتوه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي^(٢٤).

ويبدو من هذا الحديث أن ذكر المهدي جاء بعد هذه الحادثة وكأنه لن يتحقق بدونها، وكذا نقلهم عن سهل بن عبد الله البخاري (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م) عندما يتحدث عن أخ الإمام العسكري عليه السلام، وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب^(٢٥)، وإن تسميته جاءت لادّعاءه ميراث أخيه الحسن العسكري عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام وهو لا طعن في نسبه^(٢٦). وغيرها من الروايات^(٢٧).

ويرى الباحث أن الحاجة إلى هكذا روايات إنما جاءت لدفع الشبهة التي يثيرها البعض حول وجود الإمام عليه السلام، لذا نجد إسهاباً في نقل هكذا روايات، وفي مقابل الرفض القاطع لولادة الإمام المهدي عليه السلام نرى أن المستشرق هاينز هام (Heinze Halm) يعيد ذلك الأمر إلى كتب الفرق الشيعية الأولى حسب ادّعاءه مستنداً إلى النوبختي^(٢٨) الذي ينقل خبراً مفاده أن الإمام العسكري عليه السلام مات ولم يخلف أي ولي يرثه، لذا ورثه أخوه جعفر^(٢٩)، كما يعيد الإمامة إلى محمد بن علي الهادي^(٣٠)، وفي أحيان أخرى يعيدها إلى الإمام الكاظم عليه السلام.

ورداً على هاينز هام نقول: إنه قد اختار هذه الرواية التي تشكك بولادة الإمام المهدي عليه السلام وهو لا يقف عند هذه الرواية، بل ينقل - أي النوبختي نفسه وفي نفس الكتاب - الكثير من الروايات التي تشير صراحة إلى الولادة وهي واحدة من بين العشرات التي تؤكد خبر الولادة، لذا نجد هام مضطراً للعودة عن هذا التصور بآخر يؤكد خبر الولادة ويعبر عن رأيه في الموضوع بأن الإمام العسكري عليه السلام قد أخفى خبر ولادة الإمام المهدي عليه السلام عن الخليفة خوفاً عليه من أن يُقتل، وسوف يظهر كقائد للمسلمين^(٣١).



ثانياً: توثيقات المستشرقين الألمان للأوضاع السياسية المصاحبة لولادة المهدي عليه السلام:

رافقت ولادة الإمام المهدي عليه السلام أحداث سياسية مهمة كانت تعصف بالدولة العباسية بعد أن انتقل مقر الخلافة من بغداد إلى سامراء في عهد المعتصم العباسي، وتغيّر رأس الخلافة السريع وسيطرة القواد الأتراك على مقاليد السلطة حتّى وصول المعتمد^(٣٢) إلى السلطة العباسية، واندلاع العديد من الثورات لاسيما ثورة الزنج^(٣٣) التي شغلت السلطات العباسية لمدة طويلة واستنزفت الكثير من الأموال والأرواح وأدخلت الرعب في نفوس الناس إلى أن تكلّلت الجهود الحثيثة والطويلة الأمد بالقضاء عليها على يد الموفق العباسي^(٣٤) أخ الخليفة المعتمد.

وثورة ابن الصوفي العلوي^(٣٥)، وثورة علي بن زيد^(٣٦) في الكوفة، وظهور الدول المستقلة التي مارس بعضها ضغوطاً على الدولة العباسية للحصول على تفويض من الخليفة العباسي لما تمثله من رمزية لدى المسلمين، ولعلّ أبرزها الطاهرية^(٣٧) والحمدانية^(٣٨) والصفارية^(٣٩).

أمّا الدولة الزيدية^(٤٠) فلم تكن بحاجة إلى التفويض كونها جاءت بالضد من توجهات العباسيين^(٤١)، ولم تقف الانقسامات التي طالت جسد الدولة العباسية عند هذا الحد، بل استمرت وظهرت العديد من الدول المستقلة بمرور الوقت، ومن المظاهر البارزة في هذه المدة اللهو والمجون وحياة الترف التي عاشها الحُكّام على الرغم من الضائقة المادية التي تعيشها الدولة العباسية^(٤٢) ولم تكن ولادة الإمام عليه السلام بمنأى عن اهتمامات الخلافة العباسية التي كانت تراقب الأحداث عن كثب للسيطرة على المولود الذي يعدونه خطراً محدقاً بدولتهم.

وينظر المستشرقون الألمان إلى تلك الأوضاع من وجهة نظر تتأرجح بين



نقل الحوادث التاريخية والتعليق عليها تارة بالسلب وأخرى بالإيجاب، ولعلَّ إسهامات الجيل الجديد من المستشرقين الألمان هي أوسع وأكثر عمقاً في معالجة الأوضاع السياسية المحيطة بولادة الإمام المهدي عليه السلام، كما أنَّ المصادر الشيعية لم تكن بعيدة عن تناول أيديهم، وهذا ما يميزهم عن الجيل القديم الذين كانوا أقل عمقاً وتناولاً للمصادر الشيعية، فقد تناول المستشرق هاينز هالم الأوضاع السياسية المحيطة بولادة الإمام المهدي عليه السلام، ومهد هذه الأوضاع بالحديث عن جلب الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد من قبل المأمون العباسي وهو لا يزال صغيراً، واعتبر الإمام عليه السلام طالباً للزواج من بنت المأمون حتى يتقرب من الأسرة الحاكمة ويؤمن على نفسه وأسرته، ويحتل مرتبة عالية في الحياة السياسية والاجتماعية في بغداد^(٤٣).

ويبدو أن هالم لم يصب كبد الحقيقة بهذا النص، كون المصادر تشير بوضوح إلى رغبة المأمون بهذا الزواج لكي يأمن من الإمام عليه السلام وشيعته المناهضين للحكم العباسي ويجعله قريباً منه، وحاول العديد من المرات النيل منه عبر المناظرات التي كان يدعو لها الإمام عليه السلام محاولاً الانتقاص منه^(٤٤)، ثم تحول إلى مسألة انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء وبقائها عاصمة للدولة العباسية لأكثر من نصف قرن بعد الضغوطات الكبيرة من قبل سكان بغداد الذين تعرّضوا للأذى على يد جند الخليفة، لاسيما الأتراك منهم، ويتحدّث عن هذه الحادثة التاريخية بأن الخليفة المعتصم انتقل مع حراسه الأتراك من بغداد إلى مقر جديد أسسه على نهر دجلة على بعد (١٠٠ كيلومتر) شمال غرب بغداد اسمه سامراء، وكان يتعيّن على الأئمة عليهم السلام أن يتبعوا الخلفاء إلى هناك، في سنة (٨٤٨م / ٢٣٣هـ)، أمر الخليفة المتوكل بجلب الإمام العاشر علي الهادي عليه السلام، ومن المؤكّد أن ترحيل الإمام عليه السلام مجدداً كانت له أسباب سياسية فقد أصبح الشيعة أقوىاء جدّاً إلى درجة أنهم صاروا يشكلون خطراً



على الحكم العباسي^(٤٥)، ويظهر أن هالم يسرد تاريخياً الحال الذي وصلت إليه الدولة العباسية من ضعف وتدهور قد أشار إليه الباحث في بداية الحديث عن الأوضاع السياسية المرافقة لولادة الإمام عليه السلام، وكان للوئام الكبير بين الإمام الهادي عليه السلام وشيعته الأثر الكبير في رسم صورة ذهنية مليئة بالخوف والحيلة والتذمّر في مخيلة الأسرة العباسية الحاكمة، وتوالي الثورات من قبل العلويين وأنصارهم قد ولدت ترسيخاً لهذه الصورة^(٤٦)، بعد ذلك يتحوّل صوب الإمام العسكري عليه السلام وخوفه من بطش الخليفة الذي اضطرّه إلى إخفاء ولادة ابنه المهدي المنتظر عليه السلام عنه، لشيوع الأخبار عن صفاته وقضائه على حكم الظالمين^(٤٧).

ويمكن القول: إن هذا الحال الذي يصفه هذا المستشرق يوافق ما كان سائداً من وضع سياسي آنذاك، ويقف المستشرق الألماني كونسلمان (Konzelman) في طليعة المتصددين لهذا الموضوع عبر أتباعه تسلسلاً تاريخياً واضحاً للأحداث، وإسهاباً في الشرح لتلك الأحداث جعلته ينفرد عن بقية المستشرقين في تناوله للأوضاع السياسية القريبة أو المصاحبة لولادة الإمام المهدي عليه السلام، فهو يتحدث عن التغييرات التي لحقت ببنية الجيش الذي خلفه المأمون لأخيه المعتصم - الذي يقول عنه كونسلمان خطأً أنه ابن المأمون بل هو أخ المأمون وابن هارون الرشيد - فقد أصبح المرتزقة الذين تم جلبهم من مصر والنوبة^(٤٨) والمغرب والعبيد القادمون من سمرقند^(٤٩) وبلاد الأرال^(٥٠)، وبحرقزوين^(٥١) أصحاب قرار في الدولة، وأخذوا يتدخلون في إدارة مفاصل الدولة، وضاق أهل بغداد بهم ذرعاً، وفي أحد الأيام - كما يصف كونسلمان - تمكّن رجلٌ أن يستجمع قواه ووجه نقداً لاذعاً للخليفة بسبب وجود الجند الأجانب في بغداد وهدّده أن يحاربه أهل بغداد بجيش لا قبل له به، وهو الدعاء ليلاً وهو نائم، وهذا الأمر دفعه لمغادرة المدينة، لكن كونسلمان يقول: إنه ترك بغداد

تاركاً المرتزقة فيها، وهذا خطأ آخر يقع فيه، فما فائدة مغادرة بغداد من دون جنده الأجنب؟ وهم سبب المشكلة فيها^(٥٢).

أمّا علاقة الإمام الجواد عليه السلام بالخليفة المعتصم فقد انتهت بطلبه من ابنة أخيه زينب أن تضع السم للإمام عليه السلام وقتله^(٥٣)، ويتقل إلى خلافة الواثق والمستعين، ثم يتحول صوب المعتز الذي فقد زمام الأمور تماماً، لكنه تفرغ لعداء الإمام الهادي عليه السلام وطلب من رجاله وضع السم للإمام عليه السلام وقتله لتنتقل الإمامة إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ويعبر كونسلمان عن إمامة الحسن العسكري عليه السلام أخطر الأعوام بالنسبة لآل النبي محمد صلى الله عليه وآله، ويمكن رؤية سبب تعاضم الضغط الذي تمارسه مراكز القوى في الزيادة الضخمة لأعداد أنصار الحركة الشيعية أثناء الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع الميلادي. فكان قواد الحرس الذين حبسوا الخليفة لا يخشون إلا نفوذ سلالة النبي صلى الله عليه وآله، فهم فقط الذين يستطيعون تشكيل خطر على سلطتهم، والقواد هم سلالة المرتزقة لا يملكون أي شرعية دينية، ولهذا كان سندهم السياسي ضعيفاً وهشاً لدرجة خطيرة^(٥٤).

ويتّضح من كلام كونسلمان مدى تعاضم القوى الشيعية المتبعة لآل البيت عليهم السلام في عهد الإمام العسكري عليه السلام، وهذا يؤيد ما تكلمنا به ردّاً على هالم من وجود جمهور شيعي كبير مؤيد للإمام العسكري عليه السلام، وسار على نهجه في تنصيب الإمام المهدي عليه السلام، وما يلفت النظر حقاً كلام كونسلمان عن خوف القواد المرتزقة من قوة آل النبي صلى الله عليه وآله ونفوذهم، وعدم خشيتهم من الخليفة نفسه، فهذا دليل آخر على قوة وكثرة المحبين والموالين للإمام العسكري عليه السلام، وتنامي قوة الشيعة مقابل ضعف وانهيار قوة الخلافة العباسية، كما يعبر هذا الكلام بوضوح عن قوة السلطة الدينية التي توجه الجماهير.

ولم يتوقف كونسلمان عند هذا الحد، بل ربط الطموح السياسي لأهل



البيت عليه السلام بمسألة نهاية السلطة العسكرية في سامراء، فإذا ما أظهر الأئمة عليهم السلام طموحاً سياسياً مرة أخرى، فسيكون هذا بمثابة القضاء على زمن السلطة المطلقة للعسكر، وكان أصحاب الحكم في سامراء قد أقلقهم نبوءة تقول بولادة ابن للإمام الحادي عشر هو الإمام المهدي عليه السلام الذي سيقود البشرية إلى الطريق الصحيح والأمن إلى رحمة الله الواسعة وجنته ^(٥٥)، ويتّضح من هذا الكلام لبُّ المشكلة التي على أساسها تم جلب أهل البيت عليهم السلام إلى سامراء ووضعهم تحت الإقامة الجبرية والرقابة المستمرة لكي يستمر حكم بني العباس عبر وئد هذه النبوءة في مهدها.

ويختار كونسلمان حديثين تداولهما أهل سامراء بل وعامة الشيعة حول ظهور الإمام عليه السلام كواقع لا مفر منه، أحدهما حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومفاده (سوف يخرج من بين أهلي)، وحديث الإمام الرضا عليه السلام - حسب نقل المستشرق ولا يوجد النص في كتب الحديث - : (من بعدي سيكون ابني محمد بن علي التقي إمام المؤمنين، وبعده يأتي ولده علي بن محمد، ويليه الحسن بن علي، ويكون ابنه المهدي المنتظر، وسوف يعيش في الخفاء، ولما يظهر سوف يعطي أوامر يطيعها الجميع) ^(٥٦).

ويبدو من سرد الأحداث لدى كونسلمان أنه بدأ يعتمد على المصادر الشيعية التي تروي الأوضاع السياسية المصاحبة لولادة الإمام عليه السلام، حيث يصور حالة الهلع والخوف التي أصابت أهل القصر وقواد الجيش في حال ولادة الإمام الثاني عشر عليه السلام، فإذا كان أهل بلد الرافدين مؤمنين بمجيء المهدي والذي أعطاه الله - طبقاً لعقيدتهم - سلطة واجبة على كل الناس، فكان على هؤلاء القواد أن يخشوا أن يتبع الناس هذا الإمام عليه السلام بصورة أكثر إصراراً من أتباعهم لكل الأئمة عليهم السلام الآخرين في الماضي، ولذا جعلت مراكز القوى في العاصمة تراقب بيقظة منزل الإمام الحادي عشر الحسن بن علي عليه السلام ليل نهار فكان



يجب ملاحظة كل صوت له علاقة بمسلك أحفاد النبي ﷺ نحو النساء، وباحتمالات حدوث حمل يجب أن يُبلغ هذا إلى السلطات في سامراء فوراً^(٥٧)، ويظهر أن جواسيس قد عينتهم السلطة لمراقبة بيت الإمام الحادي عشر عليه السلام، وينصبّ اهتمام هؤلاء بمراقبة نساء الإمام عليه السلام، لاسيما عند حصول حالة زواج أو حمل يجب أن لا يغيب عن أعين هؤلاء الجواسيس لكي تعلم به السلطة لتفادي أمر الولادة المرعبة بالنسبة إليهم.

وكما أشرنا إلى إسهاب كونسلمان في نقل كل ما يتعلق بقضية الإمام المهدي عليه السلام، ها هو ينتقل للكيفية التي اقترن بها الإمام العسكري عليه السلام بزوجه أم الإمام المهدي عليه السلام وله رأيه الخاص في هذا الزواج بعد أن ينقل الرواية الشيعة للزواج وينقل الأخبار التي تقول: إن الإمام الحادي عشر عليه السلام تزوّج من أميرة بيزنطية، وقد أوردت الروايات قصة هذا الزواج حيث كان بشر بن سليمان^(٥٨) صديقاً للإمام العاشر عليه السلام الذي حبس ذات يوم في بلاط الخليفة العباسي، وكان الإمام العاشر عليه السلام قد كلف هذا الصديق بشراء جارية لابنه الإمام العسكري عليه السلام، وأعطاه خطاباً مكتوباً بلغة النصاري وصرّة بها (٢٢٠ ديناراً) وأفهمه أن هذه الفتاة ستحدث بلغة النصاري، وسوف تسمّعها تصيح فتلعن كل من يتقرب منها أو يريد لمسها، فإذا تعرفت على هذه الجارية فأعطها الخطاب وستستطيع قراءته^(٥٩)، هنا يتكلم كونسلمان عن الغيبيات التي من خلالها تمكّن الإمام الهادي عليه السلام الحصول على الجارية البيزنطية التي ستصبح أمّاً للإمام المهدي عليه السلام، والتي يعلم بمجيئها إلى مرسى بغداد، بل ويعرف السفينة التي قدمت على متنها، واسم النحاس الذي سيقوم ببيعها، ولن نتفاجأ بموقف هذا المستشرق بعد نقل سليمان بن بشر لما حدث معه في ميناء بغداد، عندما تعرف على الفتاة وأعطاه الخطاب فقرأته في الحال، وأثناء قراءتها له لم تستطع منع نفسها من البكاء، ثم قالت للنحاس: بعني



لهذا الرجل وإلا قتلت نفسي، أنا أميرة فأبي هو ابن قيصر بيزنطة، أمّا أمّي فهي تنسب لحواري عيسى عليه السلام، وكان جدي القيصر يريد تزويجي لابن أخيه قبل نهاية العام، ولكنه لم يتمكّن لتدخل الغيب الإلهي في الأمر، إلى أن قدم محمد صلى الله عليه وآله أمام عيسى عليه السلام وجاء بعده علي عليه السلام وبعد علي جاء أحفاده الأئمة عليهم السلام المباركون، يفهم النور، فعانق عيسى عليه السلام محمداً صلى الله عليه وآله، أمّا محمد صلى الله عليه وآله فقال له: «يا روح الله لقد آتيت في طلب حفيدة حواريك سيمون لحفيدي حسن بن علي الإمام الحادي عشر»، وبقيت في حالة يرثى لها حتى ظهر لها في الحلم فاطمة عليها السلام ابنة محمد صلى الله عليه وآله ومعها مريم العذراء عليها السلام، وقد طلبتا كلتاهما منها الدخول في دين الإسلام^(٦٠).

لقد بين كون سلمان النسب الشريف لأُمّ الإمام المهدي عليه السلام، وتدخل كل من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعيسى عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ومريم العذراء عليها السلام لتكتمل الحلقة النبوية المباركة التي ساهمت في خطبة نرجس عليها السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ولم يترك كون سلمان الأمر يمر على هذا الحال بعد أن سرد قصة زواج الإمام عليه السلام من الأميرة البيزنطية من دون أن يدخل المنهجية الألمانية التي سادت في هذه القضية، فكان شكّه في مجمل القصة، فادّعى أنها أسطورة من نسج خيال مؤرّخي الشيعة، أرادوا منها إقناع الناس بمجريات الأحداث التي من شأنها إثبات إمامة محمد بن الحسن الإمام الثاني عشر، كما أنّهم أرادوا إثبات ترويج نبي الله عيسى عليه السلام لمخلص من سلالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سيكون منقذاً للبشرية جمعاء من الظلم والاضطهاد الذي حلّ بهم بعد العزوف عن الحق وجعل الدين وراء ظهورهم وظلم القوي للضعيف، وقد أعطى وجود الأميرة البيزنطية الفرصة لمؤرخي الشيعة أن يقولوا: إن عيسى عليه السلام نفسه قد أمر بعلو الإسلام وأنه هو بذاته شهد بمجيء مخلص حقيقي للناس، وفي الوقت نفسه استطاع مؤرّخو الشيعة من خلال هذه الأسطورة التأكيد على



نبل سلالة النبي ﷺ، فالحسن بن علي ؑ زوج ذو نسب شريف والزوجة تنتسب إلى أنبل أسرة مسيحية في العالم، فوحدًا بينهما الإسلام والمسيحية، وبهذا يصير مخلّصاً لأتباع الديانتين معاً، وبذلك يعني العالم كله^(٦١).

ويعتقد الباحث أن كون سلمان أخذ يحركه عامل آخر بعد الشك، وهو التعصب لديانته المسيحية، وأراد القول: إن نسج هكذا أسطورة أريد بها رفع شأن الإسلام من خلال نبي الديانة المسيحية وأن أسرة النبي الأكرم ﷺ يمكن أن تحصل على نسب مسيحي شريف يثبت نبل هذه السلالة العربية؛ لأن الأسرة النبيلة المسيحية وافقت على ارتباط حفيد النبي ﷺ بحفيدة حواري عيسى ؑ متناسياً بل متغافلاً عن قصد ماذا يعني اسم محمد ﷺ وأسرته التي كرمها الله تعالى في آية التطهير^(٦٢)، وآية المباهلة^(٦٣)، وآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، والإسلام بوصفه ديانة سماوية جاءت بعد المسيحية لتكمل ما جاء به عيسى ؑ وعبر الله تعالى عن تعاطف وتواد أهل الديانة المسيحية مع المسلمين بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣). ويتبيّن من الآيتين الكريمتين موادة المسيح للإسلام، كذلك الحاجة الماسة لهم لدخول الإسلام لكي يكونوا شهوداً على علو الإسلام ورفعته.

ويحدّد كون سلمان تاريخ ما وصفها بالأسطورة وشيوع الأمور الإلهية العجيبة من دون أدنى شك لديه إلى عهد الإمام الحادي عشر الحسن بن علي ؑ، وأن هذه الأخبار قد وصلت إلى أسمع السلطة الحاكمة فلم يدخروا



جهداً في أن يعدّوا الأنفاس على الإمام عليه السلام وعائلته ليل نهار، حتّى لا تتم هذه النبوءة^(٦٤)، ويبدو أنه يريد إصاق تهمة الأسطورة للإمام الحادي عشر عليه السلام وعدّه المسؤول عنها بعد أن ألصقها بعاتق مؤرّخي الشيعة ليغلق الباب بوجه الذين يطمعون بالإمامة، ولكن أليس من الطبيعي أن تكون أخبار الإمام عليه السلام في عهد والده فهو على أبواب الولادة وهو الموعود بالإمامة وإنقاذ البشرية، فمتى تنتشر أخباره، أيعقل أن تكون بعد وفاة أبيه؟ إذن ما الفائدة من ذلك؟ كما يحدّد كونسلمان تاريخ استلام الإمام المهدي عليه السلام لزعامة الشيعة بعد أن حدّد حكم المعتمد العباسي (٢٢ عاماً) من (٨٧٠ - ٨٩٢ م) - (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ)، والذي حكم منطقة شاسعة تمتد من حدود الهند إلى الساحل الإفريقي للأطلسي، وفي أثناء هذه السنوات، حدث أن تسلّم حفيد النبي صلى الله عليه وآله الإمام المهدي عليه السلام زعامة شيعة علي بعد موت الإمام الحادي عشر عليه السلام، وقد حدث هذا عام (٨٣٢ م - ٢٦٠ هـ)^(٦٥)، كما ينقل كونسلمان التحديات التي تعرّض لها الإمام عليه السلام أثناء تسلّمه للزعامة الشيعية، لاسيما ما حصل مع عمّه جعفر الذي تصدّى للإمامة متعلّلاً بتسلم الحسين عليه السلام الإمامة من أخيه الحسن عليه السلام، فهي ليست حكراً على الآباء والأبناء، لأن الإمام محمد بن الحسن عليه السلام لا يزال صغيراً، وربما لم يكن يعلم بولادته أصلاً، كونه ليس من الثقات الذين يُمكن البوح لهم بالسّر، وينقل قصة الحجاج القادمين من قم الذين يبحثون عن الإمام لكي يسلموه أموال الخمس، وقيام جعفر عم الإمام باستقبالهم إلى نهاية القصة^(٦٦).

ثالثاً: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة:

كتب المستشرقون الألمان عن موضوع الغيبة والسفارة بمنهجية الشك العالية المعتادة لديهم، وينطبق هذا الأمر على الجيل القديم والجديد على حدّ سواء، وتعددت آراؤهم، ولم تخل كتاباتهم من الموضوعية أيضاً، ولكن على نطاق ضيق

كما سنرى من خلال البحث في هذه المسألة، كما أن النتائج التي خرجوا بها تفاوتت فيما بينهم، وأطلق بعضهم العنان لنفسه بتصريحات لا تمت للحقيقة بصلة، فهذا المستشرق شتروثمان الذي اعتمد على العديد من المصادر الشيعية في كتاباته عن أهل البيت عليهم السلام، كرجال الشيخ الطوسي، ورجال الكشي^(٦٧)، ورجال النجاشي^(٦٨)، ورجال العلامة الحلي^(٦٩)، والعلامة المجلسي^(٧٠)، ومحمد بن علي الإخباري^(٧١)، إلا أنه لم يتقن مما في بطون هذه المصادر الشيعية معبراً عن ذلك بقوله: (وحالة المراجع التي بين أيدينا لا تسمح لنا بالنظرة اليقينية في التطور التاريخي لالتقاء الدوافع المختلفة للشيعية)^(٧٢).

ويبدو أن قناعة (Strothmann) تنصب على المصادر الإسلامية الأخرى، لذا ستكون النتائج التي يخرج بها مشوهة وبعيدة عن الحقيقة المنشودة، ولعل قوله بفقدان الإمام الباقر والصادق والرضا عليهم السلام لزمام الأمور وترك وكلائهم يديرون أمور المذهب الشيعي، خير دليل على تخبطه وفقدانه للتحكم في ميزان الحقيقة، فقد كان للإمامين الباقر والصادق عليهم السلام الدور البارز والكبير في إدارة دفة المذهب الاثني عشري، فهما مؤسسا الجامعة الإمامية الكبرى، ولهما يعود الفضل في غرس جذور المذهب الاثني عشري وتثبيته، كما لا يخفى على أحد دور الإمام الرضا عليه السلام في تقوية المذهب الاثني عشري بعد توليه ولاية العهد^(٧٣) في خلافة عبد الله المأمون، فهو يعتبر غيبة الإمام عليه السلام اختفاءً على نحو غير معروف كما يدعي الشيعة، وأنه سيظهر في آخر الزمان على صورة المهدي^(٧٤)، ثم يأتي إلى موضوع النيابة، أو السفارة ليعبر عن رأيه فيها، فيصفها بأن منصب الوكيل يصبح أعظم شأنًا عندما يكون الإمام غائبًا، فهو يدعي أنه الوحيد الذي يعرف الإمام الغائب، وقد استطاع أربعة أشخاص منذ عام (٢٦٠هـ / ٨٧٣م) أن يدعوا ذلك لأنفسهم، ولما مات رابعهم، علي بن محمد السامرائي^(٧٥) سنة (٣٣٤هـ / ٩٣٩م) انتهت الغيبة الصغرى، وأعقبها الغيبة



الكبرى التي تمتد إلى أيامنا والتي فيها يسقط في زعم الشيعة صلاة الجمعة، وذلك لأن الذي يؤم الناس فيها هو الإمام فقط^(٧٦).

ويظهر أن المستشرق شتروثمان قد وقع مرة أخرى في مطبّ التزمّت بالرأي الذي أوصله إلى الشك والارتياب في كل ما يتعلق بقضية الإمام المهدي عليه السلام، لاسيما غيبته، فهو يجعلها اختفاءً على نحو غير معروف على الرغم من اطلاعه على كتب الشيعة التي تبين أسباب الاختفاء وعلى الرغم من أنه كان مشرفاً على أطروحة الدكتوراه للدكتور جواد علي^(٧٧)، التي تتحدث عن القضية المهدوية من خلال المصادر الشيعية، وكان من المفروض على الدكتور أن يصحح مفاهيم هذا المستشرق، إلا أننا نجد ما يقوله حول موضوع الوكالة^(٧٨).

ويبدو أن الدكتور جواد علي هو من تأثر بالمستشرق شتروثمان من دون أن يؤثر فيه، وعند تعرّضه إلى موضوع النيابة يجعل الأشخاص المتصدّين لها أصحاب مصلحة تجعل منهم متنفذين في المجتمع الشيعي؛ لادّعائهم المعرفة بالإمام الغائب من دون أبناء الطائفة، وأنهم ادّعوا ذلك ولم يكن تعيينهم من قبل الإمام نفسه، متجاهلاً الكتب التي تشير إلى هذا الموضوع وتفصّل في قضية اختيار الإمام عليه السلام لسفرائه الأربعة^(٧٩)، وهناك توقيعات من قبل الإمام عليه السلام تشير إلى بطلان ادّعاء البعض للسفارة من دون وجه حق، وهذا ما أنكره الإمام عليه السلام في توقيعاته إلى أتباعه^(٨٠).

ويظهر أن شتروثمان قد أخطأ في لقب السفير الرابع فدعاه بالسامرائي وربما يكون الخطأ في الترجمة وليس منه، أمّا ادّعاؤه بإسقاط صلاة الجمعة من قبل الشيعة حتّى يظهر الإمام عليه السلام؛ لأنه الوحيد الذي يؤم الناس فيها فهو ادّعاء باطل جملةً وتفصيلاً، فصلاة الجمعة لم تنقطع عند الشيعة إلى عصرنا الحالي، وقد يكون انقطاعها في بعض البلدان لاسيما العراق - في أزمّة معينة - لأسباب سياسية تتعلق بسياسة الاضطهاد التي تعرّض لها شيعة هذا البلد على



مرّ العصور، لكنهم لم يتركوا هذه الشعيرة إلى يومنا هذا، وينهج المستشرق إسرائيل فردلاندر (Isr-Friedländer) ذات النهج في موضوع غيبة الإمام عليه السلام والسفراء، ويرى أنه دخيل على الفكر الشيعي الإمامي من الديانة المسيحية وبالتحديد من الطائفة الدوسيتية (docetic)، والديانة المانوية^(٨١) في إيران أيام الامبراطورية الساسانية اللتين تؤمنان بعودة المسيح عليه السلام (وماني)، وأن الذي صُلب ليس عيسى عليه السلام بل الشيطان ولكن شُبّه لهم ذلك، وكذا الأمر بالنسبة إلى (ماني) الذي حلّ محله شخص آخر عندما صُلب^(٨٢).

وردّاً على المستشرق فردلاندر الذي اعتمد ما يقوله ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) نقول: إن غيبة الإمام المهدي عليه السلام التي لم تأت طارئة بعد الإمام العسكري عليه السلام وإنما بشر بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفق ما جاء من أحاديث صحيحة، وكذلك أحاديث أهل البيت الأطهار عليهم السلام الذين سبقوا الإمام المهدي عليه السلام، وليست الغيبة بأمر مستورد لمذهب أهل البيت عليهم السلام من سائر الديانات السماوية، أو الوضعية، ويكرّر (هالم) ما يتردد عند البعض من وقوع الشيعة في الحيرة بعد وفاة الإمام الحادي عشر (الحسن العسكري عليه السلام) لعدم وجود من يتصدّى لقيادة الساحة الشيعية، فتحدث عن ذلك نقلاً عن أقدم المصادر الشيعية - كما يدّعي - التي تذكر أيضاً أن انتهاء الخط الرئيسي للأئمة عليهم السلام قد أوقع الأمة الشيعية في أزمة خطيرة، وأنها انقسمت إلى أكثر من عشر فرق، وأن إحدى هذه الفرق أكدت على وجود ابن للإمام الحسن العسكري عليه السلام وُلد عام (٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م)، وأنّ أباه قد خبّأه خوفاً عليه من بطش الخليفة العباسي، ولا يعلم بهذا الأمر إلا العائلة والمقربون من الإمام فقط^(٨٣).

يتبيّن من هذا أنّ الإمام لم يترك الجمهور في حيرة وإنما أبلغ من يستطيع الوصول إلى الجمهور وإبلاغهم بما يجري، وهذا مدعاة للتأكيد أنّ هناك عملاً



كبيراً قام به الإمام العسكري عليه السلام لتهيئة الأمور لابنه الإمام المهدي عليه السلام، لذا نجد جمهور الشيعة متفقين عليه، والشاهد الثاني ما قاله الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) إنه لما توفي أبو محمد الحسن بن علي بن محمد عليه السلام افترق أصحابه من بعده على ما حكاه النوبختي بأربع عشرة فرقة، فقال الجمهور منهم بإمامة القائم المنتظر عليه السلام وأثبتوا ولادته وصحَّحوا النص عليه، وقالوا هو سمي النبي الأكرم عليه السلام ومهدي الأنام^(٨٤)، ومن جانبه نفى الشيخ المفيد وجود هذه الفرق الأربع عشرة في زمانه مؤكداً خلو الساحة الشيعية من هذه الفرق في زمانه، هذا وهو سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة سوى الإمامية الاثني عشرية القائلة بإمامة ابن الحسن عليه السلام، ومن سواهم منقرضون لا يعلم أحد من جملة الأربع عشر فرقة التي ذكرها النوبختي ظاهراً بمقالة ولا موجوداً على هذا الوصف ديانتها، ولكن عبارة عن حكاية عمّن سلف وأراجيف بوجود قوم منهم لا يمكن إثباتها^(٨٥).

ومن هنا يمكن توجيه أصابع الشك إلى إمكانية حصول تحريف في نسخة النوبختي، فالشيخ المفيد ليس ببعيد عما كتبه النوبختي ولا يرى أثراً لتلك الفرق التي لم يعطها أسماء محددة في كتاب فرق الشيعة، بل يقول عند ذكر كل فرقة بالقول: (فرقة تقول)^(٨٦)، ويسكت عن تسميتها عدا تسميته للإمامية وهي المشهورة والموافقة لما جاء به الشيخ المفيد، وهذا يرجح قول الشيخ بعدم وجود تلك الفرق أصلاً، والشاهد الثالث على اتفاق جمهور الشيعة على إمامة محمد بن الحسن عليه السلام ما نقله ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) من أن الإمامية الراضية كلهم وهم جمهور الشيعة، ومنهم المتكلمون والعدد العظيم، بأن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر، بن محمد بن علي، بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حي لم يمت، ولا يموت حتى يظهر ويملا الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهو عندهم المهدي المنتظر^(٨٧).

ويبدو من قول ابن حزم أن هناك اتفاقاً كبيراً وشبه إجماع على إمامة محمد بن الحسن المهدي المنتظر، ومن هنا يمكن القول: إن اختفاء الشخصيات المواكبة للحدث والمعول عليها في إيصال المعلومة الصحيحة إلى عامة الناس قد يجعلهم في حيرة من أمر الإمام عليه السلام، لكن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد تصدّى علماء الشيعة إلى هذا الأمر، ومنهم من وردت أسماؤهم وأسماء مصنفاتهم التي أوضحت الأمر وأزالت الالتباس لدى جمهور شيعة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولعلّ هذه الشواهد التاريخية كافية للرد على هام.

ويصف هذا المستشرق الغيبة الصغرى التي بدأت بعد اختفاء الإمام المهدي عليه السلام وفق الرواية الشيعية التي ينقلها، ومفادها أن رؤية الإمام عليه السلام قبل غيبته اقتصر على عدد قليل، هم أفراد الأسرة وعدد من الثقات المقربين، كما أن الإمام عليه السلام لم يظهر بعد وفاة أبيه العسكري عليه السلام، وهذا مخالف للواقع، فقد ظهر الإمام عليه السلام عندما صلّى على أبيه، كذلك لقاءه بتجار قم، ثم بدأت أعمال السفراء الذين يتصل بالإمام عليه السلام بشيعته عن طريقهم، ويوجز ذلك: ونود أن نشير هنا إلى أن الشيعة يعتقدون أن الإمام الثاني عشر غائب لكنه يعيش في مكان ما على الأرض، وهم يعتقدون أيضاً، أنه ظل أربعة أجيال يتصل بأئمة عن طريق سفير يبلغها تعليماته بواسطة الرسائل، ويسمي الشيعة هذه المرحلة (٨٧٤م-٩٤١م) الغيبة الصغرى^(٨٨).

إن وصف المستشرق هام هذه المرة دقيق على الرغم من أنه مختصر، لكنه يوضح الصورة الحقيقية للواقع الذي حصل بعد اختفاء الإمام المهدي عليه السلام والعلاقة التي ربطته بشيعته عن طريق النواب أو السفراء المختارين من قبله. أمّا المستشرق كونسلمان فله رؤية خاصة بحادثة اختفاء الإمام عليه السلام تختلف عن الآخرين، فهو يُعلّل سبب الاختفاء (الغيبة) بالخوف، على الرغم من إقراره بأن الغيبة من المبادئ والثوابت لدى المذهب الشيعي، وأن اختفاء الإمام



الثاني عشر عليه السلام من أمام عيون العامة فلا يراه إلا خاصة الشيعة، والذي يقوم بتتبع الروايات التاريخية لا بد أن يصل الى أن أفراد العائلة قاموا بإخفاء الصبي خوفاً عليه من مؤامرات عمّه جعفر.

فبعد ما حدث أمام تجّار قم، كان يمكن لجعفر أن يخطط للقضاء على الصبي بالسم، وفي الواقع كان بيت الإمام العسكري عليه السلام في سامراء مبنياً فوق أقبية متشعبة منحتّه الفرصة في الاختفاء أثناء ملاحقة عملاء السلطة له، وكان الصبي يعرف أيضاً طرق الأنفاق تحت بيته، إلا أن افتراض أنه قد اختفى في هذا المكان لا يبرر اختفائه عدّة أيام بعد ذهاب تجّار قم، فماذا حدث بعد ذلك؟^(٨٩).

ويمكن القول إن كون سلمان قد رمى بلائمة اختفاء الإمام عليه السلام على عمّه جعفر وبتدبير من عائلته، ويرى الباحث أن هذا الاستنتاج فيه ركافة، فعلى الرغم من وجود خطر فعلي على الإمام عليه السلام، إلا أن ذلك لا يلغي مسؤولية السلطة الحاكمة في سامراء عن الاختفاء، ولم تمدّنا الروايات التاريخية عن أي دور يذكر لأفراد أسرة الإمام عليه السلام في مسألة اختفائه، كما أن العامل الغيبي لم يكن بعيداً عن قضية غيبة الإمام عليه السلام التي من خلالها يتم الحفاظ على حياة الإمام وبقائه مصدر قلق وإزعاج للسلطات المتعاقبة على الحكم، وعنصر ديمومة لبث روح التفاؤل لدى أبناء المذهب الشيعي، وهذا هو الجواب أيضاً عن تساؤل كون سلمان عمّا جرى بعد ذلك، وتناول ذات المستشرق سفراء الغيبة الصغرى من دون المساس بجوهر الرواية التاريخية الشيعية لها، فيتحدّث عن تعيين الإمام عليه السلام لسفراء عنه، لهم صلاحية الاتصال به، وهم معروفون بالاسم، فالأول عثمان بن سعيد العمري^(٩٠)، وتحدّث عن دوره بوصفه حلقة وصل بين الإمام عليه السلام وشيعته من خلال إيصال الأوامر التي يصدرها له الإمام عليه السلام، كذلك الإجابة على أسئلة شيعة من قبل الإمام عليه السلام نفسه، والثاني وهو ابنه



محمد بن عثمان العمري^(٩١)، والثالث أبو القاسم حسين ويكتفي بذلك دون تكملة اسمه^(٩٢)، والرابع هو علي بن محمد السمري الذي عينه الإمام عليه السلام عام (٩٣٩ م / ٣٤٨ هـ)، وقبل وفاته بأيام قليلة انتهت الغيبة الصغرى لتبدأ الغيبة الكبرى^(٩٣).

ولم تكن المستشركة الألمانية فيرينا كلیم (Verena Klemm) بعيدة عن منهجية الشك العالي لدى أقرانها الألمان في بحثها عن الغيبة والسفراء الأربعة، سوى أنّها كانت أكثر تفصيلاً، فقد تناولت موضوع الغيبة من جميع جوانبه، وكان الشك متجسداً لديها بقوة حول الجدوى من الغيبة التي ولدت الكثير من الشك وعدم اليقين لدى الكثير من الشيعة، لاسيما بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيث انقسم الشيعة إلى متمسك بالإمام العسكري عليه السلام وأنّه لم يمت وسيعود، وآخرين جعلوها في أخيه محمد بن علي الهادي الذي توفي قبل والده، بينما ذهب آخرون إلى إمامة محمد بن الحسن العسكري عليه السلام رغم صغر سنّه^(٩٤).

وسبق للباحث ردّ هذه الإشكالية عند ردّه على المستشرق هاينز هام، وعند تعرض فيرينا كلیم للمصادر التي كتبت عن الغيبة بعنوان (أدب الغيبة عند الشيعة) وجدت أنّ هذا الأدب متداول حتّى بين الكتّاب الذين لا يؤمنون بموت الإمام السابع الكاظم عليه السلام المتوفى (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م)^(٩٥)، ونراها ذهبت إلى ما جاء به المؤرّخ جواد علي في أطروحته عن الإمام المهدي عليه السلام، وأخذت ترتيباً مقارباً لترتيبه مصادر الغيبة، والتي شككت في صحة الأخبار التي تنقلها عن الغيبة والسفراء الأربعة، فبدأت بالحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني^(٩٦) الذي كتب رسائل في الغيبة وهو زعيم الواقفية^(٩٧) التي تقف على الإمام موسى الكاظم عليه السلام^(٩٨)، والمصدر الثاني الذي تناولته المستشركة فيرينا كلیم هو أبو الحسن بن علي المعروف بالطاطري^(٩٩) وعدّته من الشخصيات الكبيرة والمهمة



لدى الواقفية^(١٠٠)، وتلتها بالواقفي علي بن عمر الأعرج^(١٠١)، وبعده علي بن محمد بن علي السواق^(١٠٢)، وهو واقفي أيضاً، ويلاحظ تبني المستشرق المذكورة لكتاب من الواقفية بوصفهم أول من كتّب عن الغيبة على الرغم من وجود كتّاب قد سبقوهم، أو عاصروهم في الكتابة عن الغيبة من قبيل محمد بن عيسى بن يقطين^(١٠٣)، والحسن بن علي بن فضال^(١٠٤) الفطحي^(١٠٥)، ربما كان دافعها أن تضعهم في تسلسل واحد، أو أنها أرادت أن توضح الانقسام الحاد بين أتباع أهل البيت عليه السلام في شخصية الإمام المهدي عليه السلام، ولا يسعنا ذكر جميع الذين ذكرتهم من كتّاب الغيبة لكثرة عددهم^(١٠٦)، لكن فيرينا كليم تعتقد بحصول تحول كبير في أدب الغيبة بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فتقول: (إن وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عام (٢٦٠هـ / ٨٧٤م) في سامراء، والاختفاء الغامض لابنه وخليفته محمد الإمام الثاني عشر قد أحدث تحوّلاً في أدب الغيبة، وأفرز العديد من أسماء المؤلفين)^(١٠٧)، ويبدو أنّها كانت محقّة في هذا القول؛ لأن الذين كتبوا في أدبيات الغيبة كانوا أكثر قرباً من الحادثة التي أدّت إلى غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، وما تعرض له من ظروف صعبة أحاطت بتلك الغيبة، وتتنقل فيرينا كليم إلى السفراء الأربعة حيث تعدّ كتب الغيبة لابن بابويه القمي (الصدوق) (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م)، ومحمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) هم أصحاب الإشارات الأولى لموضوع السفارة، وهذا حسب رأيها مثير للشك بحقيقة السفراء الأربعة؛ لأن المصادر السابقة لم تشر إليهم بصراحة^(١٠٨).

ويظهر أن عدم اطلاع هذه المستشرق على جميع المصادر الشيعية قد أوقعها في خطأ، فهناك إشارات سبقت إشارات الصدوق والطوسي موجودة عند الكليني الذي كان حياً حتّى نهاية الغيبة الصغرى^(١٠٩)، وإشارة أخرى عند الطبري الشيعي^(١١٠) في كتابه دلائل الإمامة^(١١١)، ولم تخل كتب الشيخ المفيد

(ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) من إشارات إلى السفراء الأربعة^(١١٢)، فكان عليّ المستشرقة فيرينا كليم العودة إلى هذه المصادر قبل أن تحكم بهكذا حكم. وتبقى أن ننقل آراء بعض المستشرقين الألمان الذين عبّروا عن آرائهم بالغبية الصغرى والكبرى وعودة الإمام المهدي عليه السلام من خلال كتبهم من دون الخوض في تفاصيل هذا الموضوع؛ كونه يأتي من ضمن تفاصيل البحث الذي يخوضون فيه، فهذه المستشرقة الألمانية جودرن كريمر (Gudrun Kramer)^(١١٣) عندما تأتي عليّ موضوع جمع الأموال عند مراجع الشيعة تقول: (... ولا يمكن لأي حكم حتى رجال الدين أن يكون شرعياً إلا بظهور الإمام المهدي من الغيبة الكبرى)^(١١٤)، ويظهر بجلاء من هذا النص مدى ارتباط علماء الدين الشيعة بالإمام المهدي عليه السلام كونه المخلص الذي سينقذ الأرض من الظلم والطغيان، وكل حكم لا يتولاه الإمام عليه السلام بنفسه لا يعد حكماً شرعياً بنظرهم كون الحكم في نهاية المطاف يعود للإمام الغائب عليه السلام الذي ينتظره مراجع الدين وسائر الناس عليّ حدّ سواء.

وقف المستشرق الألماني المسلم مراد ويلفريد هوفمان (Murad Hofmann)^(١١٥) مستغرباً من إصرار الشيعة عليّ عودة الإمام الثاني عشر عليه السلام كي يصلح العالم بعد فساد^(١١٦)، ويبدو أن هذا المستشرق حديث عهد بالإسلام، ولم يطلع عليّ قضية الإمام المهدي عليه السلام عن كثب، بل نراه ينقل أفكار المتعصبين من المسلمين الذين أخذ الإسلام عن طريقهم، فلوا اطلع عليّ كتب الشيعة، وكُتِبَ المسلمين الأخرى التي تُسَلَّمُ بمسألة غيبة الإمام عليه السلام لكان له قول آخر في هذه القضية.

والمستشرق الألماني الآخر الذي تحدث عن الغيبة ماربين (Marbin)^(١١٧) الذي يعبر عن حقيقة غابت عن مخيلة المستشرقين الألمان الآخرين، بل يمكن القول: إنه قد أصاب كبد الحقيقة حينما تحدث عن الغيبة والانتظار وكأنه يتحدث



بضمير المنتظرين أنفسهم لظهور الإمام المهدي عليه السلام، فيرى أن من المسائل الاجتماعية الهامة التي يمكن أن تكون سبباً في الأمل والخلاص هو الاعتقاد بوجود حجة في كل عصر وانتظار ظهوره، فالشيعة يعتقدون أن الإنسان عندما يذهب إلى سريره يجب أن ينام ولديه أمل أن يصبح ليؤيد إمامه الحجة وينصره عند ظهوره، ويعتقدون أيضاً أن كل العالم سيكون تابعاً لحكومته ومطيعاً له؛ لأن الفرد الشيعي بهذا الاعتقاد يرقى في عالم الإنسانية ويقوي عقيدته^(١١٨).

إن ما تحدث به هذا المستشرق يوضح بجلاء مدى اهتمام أتباع أهل البيت عليهم السلام بموضوع الإمام المهدي عليه السلام وظهوره، بل جعله من أولى أولويات أتباعه، لا تفارقهم حتى عند الذهاب إلى السرير يتأملون اليوم الذي سيظهر به الإمام عليه السلام ليعود به الإسلام غضاً طرياً، ويعدُّ ماربين عقيدة الانتظار من مقومات الرقي عند أتباع أهل البيت عليهم السلام لرسوخ هذه العقيدة في ذهنيتهم، ويطمحون إلى مجيء اليوم الذي يحكم به الإمام المهدي عليه السلام كل الأمم وتنصاع إليه كل الحكومات.

الخاتمة:

تبددت الغيوم وانجلت بعد أن روت عطش الأرض تراها وبشرها وشجرها وكل ما يدب عليها، وأشرقت الشمس لتضفي الألوان الجميلة البراقة، هكذا هو الظهور الذي تنتظره بفارغ الصبر، ونسأل الله تعالى في كل حين أن يفرّجه، وإلى هذا الحد انتهى ما جاد به قلمنا عن توثيق القضية المهدوية في نظر المستشرقين الألمان لنصل إلى النتائج الآتية:

أولاً: تعامل غالبية المستشرقين الألمان مع القضية المهدوية بمبدأ الشك العالي، والذهاب بها إلى مصاف الأساطير التي تهدف إلى تقديس شخصية الإمام المهدي عليه السلام من قبل الشيعة.

ثانياً: كرّر المستشرقون الألمان ما صدحت به حناجر وكتبت أقلام المشككين بالقضية المهدوية أنها نتاج للظلم والاستبداد الذي يعانيه الشيعة، فيؤمّلون



أنفسهم بمخلص يزيل عنهم الظلم، وهو في نظرهم غير قابل للتحقيق.
ثالثاً: حاول بعض المستشرقين الألمان الذهاب إلى أنّ الشيعة استنسخت
قضية الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من بعض الفرق المسيحية القائلة بعودة عيسى
بن مريم عليه السلام، وهذا ما جعل بعض الكتاب المسلمين المتأثرين باليهوديات إلى
القول بأن المهدي إن وجد فهو عيسى بن مريم عليه السلام.

رابعاً: على الرغم من اطلاع بعض المستشرقين الألمان على المصادر الشيعية
التي نقلت قضية الإمام المهدي عليه السلام إلا أنّها خلصت إلى ما يخالف ما جاءت
به هذه المصادر.

خامساً: لم تخلُ كتابات المستشرقين الألمان من حقائق نقلها بعضهم بعد
التعمق في دراسة القضية أو وجدوا أنفسهم مضطرين لذكرها كونها جاءت
على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

الهوامش

(*) أستاذ في كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية، الجامعة - قسم التاريخ.

١. اعتمد الباحث على عدد من المصادر الأولية والمراجع العربية والأجنبية، يقف في مقدمتها كتاب طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٧٨٥م)، وكتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، وكتاب الغيبة لابن أبي زينب النعماني (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، ومن المراجع المترجمة كتاب الشيعة لهاينز هالم (Heinz Halm)، وكتاب سطوع نجم الشيعة لكونسلمان (Konzelman)، وبحث غير مترجم للمستشرق الألمانية فيرينا كليسم (Ilerena Klemm)، وأتبع الباحث المنهج التحليلي النقدي في دراسة النصوص الاستشراقية عن طريق تحليلها والرد عليها بما يتلاءم وطبيعة النص.

٢. بحث الشيعة، دائرة المعارف الإسلامية، ٢٠ / ٦٤٢٢.

٣. Heterodoxies of the Shiites، p.31.

٤. نعيم بن حماد: ابن معاوية بن الحارث الخزازي، أبو عبد الله المروزي، روى عن أبي حنيفة، وهو شيخ البخاري، ويحيى بن معين، قال العجلي ثقة، وقال أبو حاتم محله الصدق صاحب كتاب الفتن توفي عام (٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) على الأرجح. ينظر: البخاري، التاريخ الصغير: ٨ / ١٠٠؛ ابن حجر، تقريب التهذيب: ٢ / ٣٠٥.

٥. الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن بن يسار

البصري أبو سعيد تابعي صاحب مدرسة التصوف البصرية، أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم روى عن مجموعة من الصحابة قيل إنه توفي عام (١١٠هـ / ٧٢٨م) وله (٨٨ سنة). ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٦ / ١٥٦ - ١٧٨؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢ / ٤٣٢.

٦. الفتن: ص ٢٢٨.

٧. عمر بن عبد العزيز: ابن مروان بن الحكم أبو حفص الخليفة الأموي الذي... رفع السب عن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر بني أمية، تولى الحكم لستين وخمسة أشهر، توفي عام (١٠١هـ/ ٧١٩م). ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٥ / ٣٣٠-٤٠٨؛ الفتن، ص ١٥٢.

٨. ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي صاحب التصانيف الكبار توفي في المحرم عام (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) وله بضع وسبعون سنة، سمع عن شريك، قال فيه أبو زرعة: ما رأيت أحفظ منه. ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٦ / ٥٧؛ البخاري، التاريخ الصغير: ٢ / ٣٣٥؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢ / ٤٣٢.

٩. مجاهد: مجاهد بن جبر المكّي، أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب روى عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص، وعدد آخر من الصحابة، روى عنه عطاء وعكرمة، وآخرين، توفي عام (١٠٠هـ/ ٧١٨م) وقيل (١٠٢هـ/ ٧٢٠م) وقيل (١٠٣هـ/ ٧٢١م). ينظر: البخاري،



الهوامش

- التاريخ الصغير: ١/ ٢٨٧؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٤٢/١٠.
١٠. المصنف: ٨/ ٦٦٨.
١١. ينظر: الحاكم النيسابوري، المستدرک: ٤/ ٤٤٠؛ ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق: ٤٧/ ٥١٩.
١٢. حماد، الفتن: ص ١٥٢؛ ابن أبي شيبه، المصنف: ٨/ ٦٦٨؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک: ٤/ ٥٥٧؛ ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق: ٤٧/ ٥١٨.
١٣. الصنعاني: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ولد في صنعاء من عائلة علم وصلاح عام (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام صاحبه لمدة اثنين وعشرين عاماً، وهو الحافظ الثقة صاحب المصنف الكبير، توفي في عهد الإمام الجواد عليه السلام عام (٢١١هـ/ ٨٢٦م) عن خمس وثمانين عاماً روى عن معمر وابن جريج وآخرين. ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٣٨٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٢١٦.
١٤. المصنف: ١١/ ٣٧٢.
١٥. الفتن: ص ٢٢٨.
١٦. للاطلاع ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: ٢/ ٤٠٦؛ ابن ماجه، السنن: ٣/ ١٣٦٨، الحديث ٤٠٨٦؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک: ٤/ ٥٥٧؛ الطوسي، الغيبة: ص ١٨٦، ١٨٧؛ ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق: ٤٧/ ٥١٨؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٦٣.
١٧. الکاتب البغدادي: محمد بن أحمد بن أبي الثلج أبو بكر البغدادي الشهير بالکاتب البغدادي ولد عام (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، سمع جدّه محمداً وعمر بن شبة، وأخذ عن محمد بن جرير الطبري، له من الكتب الاستقصاء في الفقه توفي عام (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م). ينظر: ابن النديم، الفهرست: ص ٢٩٢؛ الخطيب البغدادي، تاریخ بغداد: ١/ ٣٥٤-٣٦٦.
١٨. تاریخ ولادة الأئمة: ص ١٥.
١٩. الکافي: ١/ ٥١٤.
٢٠. ابن أبي زینب النعماني: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الکاتب سافر في طلب العلم، وقدم إلى بغداد قرأ على الشيخ الكليني، وسمع عن ابن عقدة والمسعودي وغيرهم له العديد من المؤلفات منها الغيبة، الفرائض، الرد على الإسماعيلية وغيرها، وكانت الشام آخر محطاته حيث توفي فيها. ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٣٨٣.
٢١. الغيبة: ص ٦٩.
٢٢. السيد العمري، المجدي من أنساب الطالبيّة: ص ١٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢/ ٤٥١.
٢٣. الروياني: أبو بكر محمد بن هارون الحافظ صاحب المسند من مدينة رويان إحدى مدن أصبهان روى عن أبي كريب محمد بن العلاء، ومحمد بن حميد الرازي، وروى عنه أبو بكر الإسماعيلي، وإبراهيم العرميسي، له مؤلفات في الفقه. ينظر: ابن شاهين، تاریخ أسماء الثقات: ص ١٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/

الهوامش

- ٧٥٢-٧٥٣.
٢٤. مسند الروياني: ١/ ٤١٧، ٤١٨.
٢٥. جعفر: هو جعفر بن علي الهادي بن محمد الجواد أخو الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان له دور مريب بعد استشهاد الحسن العسكري عليه السلام كونه ادّعى الإمامة بعده، لذا سُمّي بالكذاب، ويسمّى بزق خمر حيث افترى على أخيه الحسن عند الخليفة بقوله إنه لم يخلّف أحداً إلا أن امرأته نرجس تحمل طفلاً، ما حدا بالسلطات أن تقبض عليها... لمدة سنتين. ينظر: الخصيبي، الهداية الكبرى: ص ٢٤٨؛ ابن حجر، لسان الميزان: ١١٩/٢.
٢٦. سر السلسلة العلوية: ص ٤٠.
٢٧. الابري، مناقب الشافعي: ص ٩٦؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص ١٥.
٢٨. النوبختي: من أعلام القرن الثالث الهجري أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي... وهو من علماء الكلام، له كتاب اختصار الكون والفساد لأرسطو طاليس، وكتاب التوحيد، والجامع في الإمامة، وكتاب الرد على أصحاب التناسخ وغيرها، توفي نحو (٣١٠هـ/ ٩٢٢م). ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٦٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٢/ ١٧٤.
٢٩. فرق الشيعة: ص ٩٩.
٣٠. محمد بن علي الهادي: هو محمد بن الإمام الهادي الذي توفي في عهد والده، من أهل العلم والكرامات مرقده في مدينة بلد العراقية
- على بعد مسافة من سامراء، وهناك من يدّعي أن الإمامة فيه وتوقفت لديه وهو سيعود لأنّه الإمام القائم. ينظر: ابن الصباغ، الفصول المهمة: ص ١٠٧٦، هامش ١٠٧٦.
٣١. الشيعة: ص ٤٧.
٣٢. المعتمد: أبو العباس أحمد بن المتوكل ولد عام (٢٢٩هـ/ ٨٤٤م)، وأمّه رومية تدعى فيان، حاول حصر السيطرة التركية على الخلافة، لكنه وقع تحت سيطرة أخيه الموفق، وهذا ما دعاه إلى التفكير بالانتقال إلى مصر عند أحمد بن طولون، لكن الموفق علم بالأمر فأمر بإعادته إلى بغداد ووضع تحت رقابته، حكم لمدة ثلاثة وعشرين عاماً، توفي عام (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤/ ٢٨٠-٢٨١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٥٤٠-٥٥٢.
٣٣. ثورة الزنج: بدأت عام (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) قادها رجل ادّعى النسب العلوي بعد أن استمال الزنج الذين تم استقدامهم من زنجبار لاستصلاح الأراضي السبخة الواقعة بين البصرة وواسط، وكانوا يعيشون في ظروف غاية في الصعوبة بسبب المعاملة القاسية من الملاك ومنع الأموال عنهم ما أثار غضبهم على الدولة، واستمرت حركتهم حتى عام (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) بعد مقتل صاحبهم على يد الموفق العباسي. للمزيد ينظر: الطبري، التاريخ: ٧/ ٥٤٥-٥٦٥.
٣٤. الموفق العباسي: أبو أحمد محمد بن جعفر



الهوامش

- هزيمته، وقتل عليّ يد صاحب الزنج سنة (٢٦٠هـ/٨٦٦م). ينظر: الطبري، التاريخ: ٢١٦/٨.
٣٧. الطاهرية: نسبة إلى طاهر بن الحسين مؤسس هذه الإمارة، ويرى بعض المؤرخين أنّ أصل الطاهريين يعود إلى ملوك فارس القدماء، والبعض الآخر ينسبهم إلى الملوك الأفغان، وبرزت شخصية طاهر في الصراع بين الأمين والمأمون تأسست الإمارة الطاهرية عام (٢٠٥هـ/٨٢١م)، وسقطت عليّ يد الدولة الصفارية عام (٢٥٩هـ/٨٧٣م). ينظر: الطبري، التاريخ: ١٥٦/٧.
٣٨. الحمدانية: تأسست الدولة الحمدانية عام (٢٢٩هـ/٨٩٠م)، وسميت نسبة إلى حمدان بن حمدون الذي أصبح عام (٢٢٩هـ/٨٩٠م) والياً علىّ ماردین من قبل العباسيين، وينحدر الحمدانيون من أسرة عربية تعود إلى تغلب بن وائل كانت علىّ المسيحية ثم تحولت إلى الإسلام علىّ المذهب الشيعي. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧/٥٣٨-٥٤٠؛ النويري، نهاية الإرب: ١٩/٢٣.
٣٩. الصفارية: تأسست الدولة الصفارية عام (٢٥٤هـ/٨٦٨م) أسسها يعقوب بن ليث الصفار الذي أسهم في حرب الخوارج ضمن المطوعة واستعان به أهل سجستان ليتولى إمارتها ثم امتد نفوذه إلى بوشنج، وهرارة، ونيسابور وغيرها من البلاد، طمع في حكم بغداد لكنه خسر معركة دير العاقول عام
- المتوكل وقيل اسمه طلحة ولد في بغداد عام (٢٢٧هـ/٨٤٢م) ولي عهد أخيه المعتمد العباسي وقائد جيشه، والخليفة الفعلي، كان عالماً في الأدب والأنساب والقضاء والفقہ، ذا حنكة سياسية وعسكرية لُقّب بالمنصور الثاني. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/١٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٣/١٦٩.
٣٥. ثورة ابن الصوفي العلوي: هو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كان ظهوره في صعيد مصر وتحديداً في إسنا، فسير له أحمد بن طولون جيشاً تمكّن العلوي من هزيمته وقتل قائد الجيش، وسير له ابن طولون جيشاً آخر التقى به في أخميم، تمكّن من هزيمة ابن الصوفي الذي سار نحو الواحات، وكان ظهوره عام (٢٥٦هـ/٨٦٢م)، وتوفي حوالي (٢٧٧هـ/٨٨٣م). ينظر: أبو فرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٤٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٦/٣.
٣٦. ثورة علي بن زيد الكوفي: كانت بداية هذه الثورة في الكوفة حيث استولى عليها علي بن زيد وطرده عامل المعتمد عليها فبعث إليه المعتمد بالشاه بن ميكال، واستطاع العلوي هزيمته فأرسل له المعتمد كنجور التركي فانسحب العلوي صوب القادسية ثم خنfan حيث أصهره من بني أسد، وسار إلى جنبلاء حيث التقى فيها بجيش كنجور مما أدى إلى

الهوامش

٤٩. المقترسة. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ٣٠٨-٣٠٩.
٤٩. سمرقند: اسمها بالعربية سمران، وقيل إنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهي قسبة الصغد فتحها سعيد بن عثمان، وفيها بساتين ومزارع وارجاء، ولها اثنا عشر باباً، أبوابها من حديد، ولها سور في أعلاه أزاج وأبرجة للحرب. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ٢٤٦-٢٤٩/٣.
٥٠. بلاد الأرال: تمثل هذه البلاد الحدّ الفاصل بين آسيا وأوروبا، وتمتد من روسيا حتى كازاخستان. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ١٣٦/١.
٥١. بحر قزوين: ويسمى بحر أبسكون، ويقال إن ألفاً وأربعائة نهر يصب في هذا البحر الذي يقال إن محيطه ألف ومائتا فرسخ، وفي وسطه جزائر أهلة في السكان، ومدينة قزوين مشهورة بناها سابور ذو الأكتاف، وفيها حصن يسمى بالفارسية كشوين وتعني الحد المحفوظ. ينظر: الحموي، معجم البلدان: ٣٤٢-٣٤٤/٤.
٥٢. سطوع نجم الشيعة: ص ٩٥.
٥٣. المرجع نفسه: ص ٩٨.
٥٤. المرجع نفسه: ص ١٠٣.
٥٥. سطوع نجم الشيعة: ص ١٠٤.
٥٦. المرجع نفسه: ص ١٠٥-١٠٦.
٥٧. المرجع نفسه: ص ١٠٦.
٥٨. بشر بن سليمان: من أبناء أبي أيوب الأنصاري كان يعمل نخّاساً في سوق بغداد: يقول إن
- (٢٦٢هـ/٨٧٥م) وتوفي بعدها ينظر: اليعقوبي، التاريخ: ٢/٤٩٥؛ الطبري، التاريخ: ٧/٤١٦ و ٥٢٠.
٤٠. الزيدية: نسبة إلى الحسن بن زيد العلوي الذي وقف بوجه الطاهرين مع الدليم وقام بتأسيس الدولة العلوية عام (٢٥٠هـ/٨٦٤م) في طبرستان، وتعرّضت دولته إلى خطر الصفاريين والطاهرين والعباسيين، واستمرت هذه الدولة حتى عام (٣١٦هـ/٩٢٨م). ينظر: الطبري، التاريخ: ٧/٤٢٩-٤٣٢.
٤١. الطبري، التاريخ: ٧/٤٣٠.
٤٢. ينظر: اليعقوبي، التاريخ: ٢/٤٥٩، ٤٩١؛ الطبري، التاريخ: ٧/١٤٩.
٤٣. الشيعة: ص ٤٥.
٤٤. للاطلاع على المزيد من هذه المناظرات ينظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٣٩-٢٠٩.
٤٥. الشيعة: ص ٤٦.
٤٦. لمعرفة المزيد عن الثورات العلوية والأوضاع السياسية ينظر: اليعقوبي، التاريخ: ٢/٤٩٦-٥٠٤؛ الطبري، التاريخ: أحداث عام (٢٤٩هـ - عام ٢٥٤هـ).
٤٧. الشيعة: ص ٤٦.
٤٨. النوبة: بضم الأول وسكون الثانية وباء موحدة، وهي أرض من السودان تقع جنوب مصر، وأهلها نصارى أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر ويبيعون فيها، ويعمل أهلها في الزراعة، وتعيش فيها أصناف من الحيوانات





الهوامش

- المجري/ الميلادي، وهو أبو العباس أحمد بن علي بن عباس النجاشي صاحب كتاب فهرست أسماء مصنفي الشيعة، أو رجال النجاشي، ولد عام (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)، كان والده أول أساتذته والشيخ المفيد، توفي عام (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). ينظر: الطوسي، الرجال: ص ٧؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٧٢-٧٣.
٦٩. العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي من أسرة علمية عريقة حيث والده المطهر الحلي وخاله المحقق الحلي ولد عام (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) في مدينة الحلة، له ما يقرب عن مائة مؤلف منها الإرشاد، مختلف الشيعة، الفوائد، وغيرها توفي عام (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) ودفن في النجف الأشرف عند ضريح الإمام علي عليه السلام. ينظر: المحقق الحلي، الاعتبار: ص ١١؛ ابن حجر، لسان الميزان: ٣١٧/٢.
٧٠. المجلسي: محمد باقر ولد في أصفهان عام (١٠٣٧هـ) والده من أكابر علماء الشيعة الإمامية وينتهي نسبه إلى الحافظ أبي نعيم الأصبهاني، ويعد كل من والده والأغا حسين الخوانساري من أبرز أساتذته، ومن تلامذته السيد نعمة الله الجزائري، والشيخ جعفر الكركي، توفي عام (١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، ودفن في أصفهان وله مزار يقصده الناس. ينظر: الحر العاملي، أمل الآمل: ٨١/٢؛ البروجردي، طرائف المقال: ٣٨٨/٢.
- الإمام الهادي عليه السلام قد علمه كيف يعمل في هذه المهنة، وأنه من ثقاته وهو جار للإمام عليه السلام في سامراء، وقد حبس معه في سجن الخليفة، انتدبه الإمام عليه السلام لشراء أم الإمام المهدي عليه السلام نرجس عليها السلام. ينظر: الصدوق، إكمال الدين: ص ٤١٨؛ الطوسي، الغيبة: ص ٢٠٨.
٥٩. سطوع نجم الشيعة: ص ١٠٧.
٦٠. سطوع نجم الشيعة: ص ١٠٧-١٠٨. لمعرفة المزيد عن قصة زواج الإمام الحسن العسكري عليه السلام من السيدة نرجس عليها السلام. ينظر: الصدوق، إكمال الدين: ص ٤١٧-٤٢٩؛ الطوسي، الغيبة: ٣٠٩-٣١٤.
٦١. سطوع نجم الشيعة: ص ١٠٨-١٠٩.
٦٢. الأحزاب: ٣٣.
٦٣. آل عمران: ٦١.
٦٤. سطوع نجم الشيعة: ص ١٠٩.
٦٥. المرجع نفسه: ص ١١١.
٦٦. المرجع نفسه: ص ١١٤-١١٥.
٦٧. الكشي: هو محمد بن عمر بن عبد العزيز من العلماء الذين عاصروا الغيبة الصغرى لقبه نسبة إلى مدينة كش القريبة من سمرقند، عاش في بغداد مع الكليني، ونقل عن أكثر من خمسين عالماً، أبرزهم محمد بن مسعود العياشي صاحب التفسير المعروف، توفي عام (٣٥٠هـ/ ٩٦١م). ينظر: الطوسي، الفهرست: ص ٢١٧؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٢٤٧.
٦٨. النجاشي: عاش في آخر القرن الرابع الهجري/ الميلادي، والنصف الأول من القرن الخامس

الهوامش

٧١. علي بن محمد الإخباري: محمد بن عبد النبي بن الصائغ النيسابوري الإخباري ولد عام (١١٧٨هـ / ١٧٦٤م) في مدينة أكبر آباد (أكره) من مشاهير المدرسة الإخبارية والمتعصبين لها، وبرز في مجال الفقه الشيعي، توفي عام (١٢٣٣هـ) في حادثة أثار حولها العديد من التساؤلات. ينظر: أغا بزرك الطهراني، الذريعة: ٣٣/٢٦.
٧٢. دائرة المعارف الإسلامية، بحث الشيعة: ٦٤١٩ / ٢٠.
٧٣. لمعرفة المزيد عن ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ينظر: اليعقوبي، التاريخ: ٤٤٨/٢-٤٩٤؛ الطبري، التاريخ: ١٣٩/٧-١٤٠.
٧٤. دائرة المعارف الإسلامية، الشيعة: ٦٤١٤ / ٢٠.
٧٥. علي بن محمد السامرائي: هو أبو الحسن علي بن محمد السمري وليس السامرائي نسبة إلى سمر بالسين المكسورة والميم المشددة المفتوحة من أعمال كسكر بين واسط والبصرة، رابع السفراء نواب الإمام المهدي عليه السلام وآخرهم. ينظر: الطوسي، الغيبة: ص ٣٩٣.
٧٦. دائرة المعارف الإسلامية، الشيعة: ٦٤١٩ / ٢٠.
٧٧. حصل جواد علي على شهادة الدكتوراه من جامعة لايبزيك الألمانية عن أطروحته الموسومة المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية عام (١٩٣٩م)، وضمنها سبعة فصول تناول فيها القضية المهدوية من جميع جوانبها. للمزيد يمكن الاطلاع على هذه الأطروحة، منشورات الجمل، ترجمة، أبو العيد دودو، ط ٢،
- بيروت، ٢٠٠٧م.
٧٨. المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية: ص ١٥.
٧٩. ينظر: الصدوق، إكمال الدين: ص ٤٣٢؛ الطوسي، الغيبة: ص ٣٥٣-٣٩٣.
٨٠. هناك من ادعى السفارة، أو ما يسمى بالبايعة لنفسه ومنهم الشريعي، والنصيري، وابن بلال وآخرون فجاءت التوقعات بعدم أحقيتهم للاطلاع. ينظر: الصدوق، إكمال الدين: ص ٤٨٢-٥٢٢؛ الطوسي، الغيبة: ص ٣٩٧-٤١٥.
٨١. المانوية: نسبة إلى ماني الذي ظهر في عهد سابور ذي الأكتاف الساساني ومبدأ المانوية يعتمد على قدم النور والظلمة، وأن العالم مركب منها. ينظر: اليعقوبي، التاريخ: ١/١٥٩-١٦١؛ الطبري، التاريخ: ١/٤٨٩.
٨٢. Heterodoxies of the Shiites, pp.29-32.
٨٣. فرق الشيعة للنوبختي: ص ٤٧.
٨٤. الفصول المختارة: ص ٣١٨.
٨٥. الفصول المختارة: ص ٣٢١.
٨٦. فرق الشيعة للنوبختي: ينظر ص ٩٧-١٠٨.
٨٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٥/٣٧.
٨٨. الشيعة: ص ٤٨.
٨٩. سطوع نجم الشيعة: ص ١١٦.
٩٠. عثمان بن محمد العمري: عثمان بن سعيد العمري بفتح العين، يكنى أبا عمرو وأبا جعفر، وكان أسدياً يعمل في تجارة السمّن، لذا



الهوامش

٩٣. سطوع نجم الشيعة: ص ١١٨.
٩٤. Die vier Sufara des Zwölften، p.130.
٩٥. I bid، p.130.
٩٦. الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني: واسم أبي حمزة سالم أبو الحسن مولى الأنصار كوفي، وكان قائد أبي بصير يكنى أبا القاسم روى عن الإمام الكاظم والإمام الصادق عليهما السلام ووقف عند الإمام الكاظم عليه السلام، قيل إن الإمام الكاظم عليه السلام قال فيه: «يا علي أنت وأصحابك شبه الحمير»، وقيل هو كذاب متهم. ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٣٦؛ الطوسي، رجال الكشي: ٣/٧٠٥.
٩٧. الواقفية: فرقة ادّعت بعدة ادّعاءات حول الإمام الكاظم عليه السلام، حول موته من عدمه ووقفت عليه في الإمامة لأسباب مادية، وكان رئيسها البطائني، والقندي، والرواسبي الذين رفضوا تسليم أموال الزكاة إلى الإمام الرضا عليه السلام. ينظر: النوبختي، فرق الشيعة: ص ٨٧-٨٨.
٩٨. Die vier Sufara des Zwölften، p.127.
٩٩. الطاطري: أبو الحسن بن علي بن الحسن بن محمد الطائي الجرمي نسبة إلى قبيلة جرم اليمنية من وجوه الواقفية وشيوخهم، وسمي بالطاطري لبيعته ثياباً تسمى الطاطرية، له عدّة كتب منها كتاب الغيبة. ينظر، النجاشي، الرجال: ص ٢٥٤-٢٥٥.
١٠٠. Die vier Sufara des Zwölften، p.127.
١٠١. علي بن عمر الأعرج: أبو الحسن الكوفي، وكان واقفياً ضعيف الحديث له كتاب في
- يقال السمان للتغطية على الدور الذي يقوم فيه بالنيابة، وكان ينقل الأموال إلى الإمام العسكري عليه السلام عبر إخفائها في جراب السمن تقية وخوفاً، تولى السفارة كأول سفير للإمام المهدي عليه السلام، وكان عمله يتسم بطابع السرية خوفاً من السلطة العباسية. ينظر: الطوسي، الرجال: ص ٣٨٩؛ الغيبة: ص ٣٥٣-٣٥٩؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٤٣٢.
٩١. محمد بن عثمان العمري: أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي خلف أباه في الوكالة للإمام عليه السلام، وبقي في هذا المنصب حوالي خمسين سنة وبقي حتى وفاته، خرج إليه التوقيع من الإمام المهدي عليه السلام يعزيه بأبيه، ونقل عنه صاحب الطبقات حديث استحباب التسمية باسم النبي صلى الله عليه وآله، وحفر لنفسه قبراً، فسأله الناس، فقال: أجمع أمري وتوفي بعد شهرين، توفي عام (٣٠٤هـ/٩١٦م)، وقيل (٣٠٥هـ/٩١٧م). ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٥/٥٤؛ الطوسي، الغيبة: ص ٣٥٩-٣٦٧.
٩٢. أبو القاسم حسين: هو الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي النائب الثالث للإمام المهدي عليه السلام، تسلّم النيابة خلفاً لمحمد بن عثمان العمري، وكان وجهاً يصل إليه الوزراء والقضاة، سجنه حامد بن العباس وزير المقتدر خمس سنوات ثم أطلق سراحه بعد خلع المقتدر العباسي، توفي عام (٣٢٦هـ). ينظر: الطوسي، الغيبة: ص ٣٦٧-٣٧٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢/١٥٦.

الهوامش

- الغيبة. ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٢٥٦؛ الطوسي، الفهرست: ص ١٦٠؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٣٦٧.
١٠٢. علي بن محمد بن علي السواق: أبو الحسن بن عمر بن رباح بن قيس بن سالم مولى عمر بن سعد بن أبي وقاص، ويلقب بالقلاء روى جدّه عمر بن رباح عن الإمام الصادق، وكان واقفياً، عدّه النجاشي ثقة في الحديث، له كتاب الدلائل وكتاب الغيبة، وفي التاريخ له كتاب ما روي في الخطاب محمد بن أبي زينب مؤسس الفرقة الخطابية الغلاة. ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٢٥٩؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال: ص ١٨٦؛ ابن داود، الرجال: ص ٢٦٢.
١٠٣. محمد بن عيسى بن يقطين: أبو جعفر محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين بن موسى مولى أسد بن خزيمه ثقة كثير الرواية حسن التصانيف، روى عن أبي جعفر الثاني (محمد الجواد)، له عدّة مصنّفات منها التوقيعات، توفي عام (٢٢٠هـ). ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٣٣٣-٣٣٤؛ الطوسي، الرجال: ٢/٨١٧.
١٠٤. الحسن بن علي بن فضال: أبو محمد الحسن بن علي بن فضال التيملي بن ربيعة بن بكر مولى تيم الرباب كوفي جليل القدر عظيم المنزلة زاهد ورع ثقة في الحديث، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، قيل إنه كان فطحياً ثم تركها وانسلخ عنها، له عدّة كتب منها الغيبة. ينظر: النجاشي،
- الرجال: ص ٢٦؛ الطوسي، الرجال: ص ٣٧١؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٣٧.
١٠٥. الفطحية: نسبة إلى عبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام الذي ادّعى الإمامة خلفاً لأبيه ولقب بالأفطح لأن قدمه كانت عريضة، وقيل إنها تنقلب عندما يمشي، وقيل سمي بالأفطح لأن رأسه عريض، وقيل الفطحية نسبة إلى رجل هو رأس الفطحية كان لقبه الأفطح. ينظر: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق: ٦١-٦٢؛ الشهرستاني، الملل والنحل: ١/١٩٥، ١٩٦.
١٠٦. Die vier Sufarades Zwölften. pp. 127, 128.
١٠٧. Ibid, pp. 127, 128.
١٠٨. Die vier Sufara des Zwölften. 130.
١٠٩. الكافي: ١/٣٣٠.
١١٠. الطبري الشيعي: محمد بن جرير بن رستم الأملي، ولد في مدينة أمل، يكنى أبا جعفر، وليس هو صاحب التاريخ، كثير العلم حسن الكلام ثقة في الحديث، من أعلام القرن الرابع الهجري. ينظر: النجاشي، الرجال: ص ٣٧٦؛ الطوسي، الرجال: ص ٤٤٩؛ الفهرست: ص ٢٣٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/٢٥٢.
١١١. دلائل الإمامة: ص ٥٢١-٥٢٧.
١١٢. الإرشاد، ٢/٣٥١؛ الفصول العشرة: ص ٧٨؛ المسائل الصاغانية: ص ٥٧.
١١٣. جودرن كريمير: مستشرق ألمانية ولدت عام (١٩٥٤م) في بون، تعمل باحثة في الشؤون الإسلامية حاملة لدرجة بروف، وهي أستاذة

الهوامش

الدراسات الإسلامية في جامعة برلين، لها كتاب حسن البناء، وكتاب: يتحدثون باسم الإسلام.

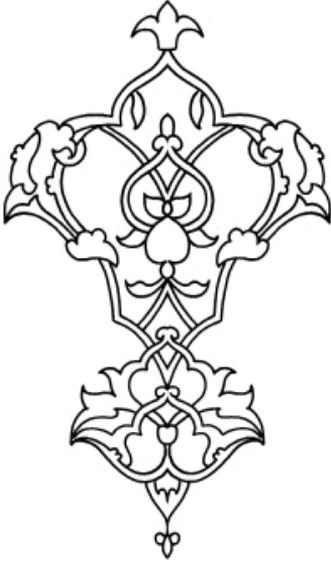
١١٤. Speaking for Islam Religious Authorities in Muslim Societies, p.219.

١١٥. مراد ويلفريد هوفمان: مستشرق ألماني ولد سنة (١٩٣١م/١٣٥٠هـ) في بلدة اشافينبورغ شمال غرب بافاريا دبلوماسي ومؤلف ألماني، كان متتمياً لشبيبة هتلر عندما كان في التاسعة وفي نفس الوقت ينتمي لعصابة مناهضة للنازية، أكمل دراسة القانون في ميونخ، عمل في سفارة بلاده في الجزائر، ثم سفيراً في المغرب، كاثوليكي المولد أسلم (١٩٨٠م/١٤٠١هـ).

١١٦. يوميات ألماني مسلم: ص ٨٩.

١١٧. مارين: مستشرق ألماني له كتاب السياسة الإسلامية، حضر المجالس الحسينية في الهند، وإيران، ونشرت له صحيفة الجبل المتين الإيرانية رسالته الموسومة (السياسة الإسلامية المبنية على فلسفة الإسلام)، وتحت عنوان الثورة الكبرى أو السياسة الحسينية. ينظر: مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة من حياة المستبصرين: ١/١٨٧.

١١٨. السياسة الإسلامية: ص ١٢٦.



المصادر

- القرآن الكريم.
أولاً - المصادر:
- البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م).
١. التاريخ الصغير، تح: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة للطباعة - بيروت (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٢. التاريخ الكبير، تح: محمد عبد المعيد خان (ب. ط)، المكتبة الإسلامية - ديار بكر (ب. ت).
ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).
٣. النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، مطابع كستانتوماس - القاهرة.
الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م).
٤. المستدرک علی الصحیحین، تح: يوسف عبد الرحمن دار المعرفة - بيروت، (٤٠٥هـ / ١٠١٤م).
ابن حجر. أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م).
٥. تقريب التهذيب، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، دار الكتب العلمي - بيروت (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
٦. لسان الميزان، ط ٢، مؤسسه الأعلمی - بيروت (١٣٩٠هـ / ١٩٧٢م).
ابن حزم: علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٧م).
٧. الفصل في الملل والهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت.
ابن حماد: محمد بن احمد (ت ٢٢٩هـ / ٨٤٤م).
٨. الفتن، تح: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).
٩. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي - بيروت (١٣٩٩هـ / ١٩٧٧م).
الخصيبي: حسين بن حمدان (٣٣٤هـ / ٩٤٥م).
١٠. الهداية الكبرى، ط ٢، مطبعه مؤسسه البلاغ - بيروت (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
ابن خلکان: أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
١١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ب. ط، دار الفنائس (بيروت - ب. ت).
الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٤٨٤هـ / ١٠٣٤٨م).
١٢. تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمن بن سحبن المعطي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٣. سير أعلام النبلاء، تح: حسين الأسد، ط ٩، مؤسسه الرسالة - بيروت.
الروياي: محمد بن هارون (٣٠٧هـ / ٩١٩م).
١٤. مسند الروياي، تح: أمين علي أبو يمان، دار اليازة - الرياض.
ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٧٨٥م).
١٥. الطبقات الكبرى، دار صادر - بيروت.
السيد العمري: علي بن محمد (ت ٣٠٩هـ / ١٣٠٩م).
١٦. المجدي من أنساب الطالبيّة، تح: أحمد المهداوي، محمود المرعشي، ط ١، مطبعة سيد الشهداء - قم (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
ابن شاهين، عمر (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م).
١٧. تاريخ أسماء الثقات، تح: صبحي السامرائي، ط ١، الدار السلفية - تونس (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٤٨٤هـ / ١٠٥٣م).
١٨. الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط ٩، دار المعرفة - بيروت.
ابن شيبّة: ابن أبي شيبه: عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م).
١٩. المصنف، تح: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة

المصادر

- بيروت (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
ابن الصباغ: علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م).
٢٠. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تح: سامي الغريزي، ط١، مطبعة سرور - قم (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- الصدوق: محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ / ٩١١م).
٢١. إكمال الدين وتمام النعمة، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسه النشر الإسلامي - قم (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- الطبرسي: أبو الفضل ابن الحسن (ت ٥٤٨/ ١١٥٣م).
٢٢. تاج المواليد، مطبعة الصدر - قم (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م).
٢٣. تاريخ الرسل والملوك، تح: نخبة من العلماء، الأعلمي - بيروت (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- الطوسي: محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).
٢٤. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تح: مهدي الرجائي، مطبعة بعثت - قم (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٢٥. رجال الطوسي، تح: جواد القيومي، ط١، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- عبد القاهر البغدادي: طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م).
٢٦. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تح: محمد عثمان الخشن، دار ابن سينا - بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- ابن عساكر: علي ابن الحسين (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).
٢٧. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسميه من حل بها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تح: علي شيري، دار الفكر - بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).
٢٨. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تح: جواد القيومي، ط١، مؤسسه النشر الإسلامي - قم. أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).
٢٩. مقاتل الطالبين، تح: كاظم المظفر، ط٢، المكتبة الحيدرية - النجف.
- الكاتب البغدادي: محمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٣٢٣هـ/ ٩٣٣م).
٣٠. تاريخ ولادة الأئمة. مطبعة الصدر - قم (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).
٣١. الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، ط٥، مطبعة حيدري - طهران (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- ابن ماجه: محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).
٣٢. السنن الكبرى، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- المحقق الحلي: جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م).
٣٣. المعبر في شرح المختصر. تح: عدة من الأفاضل، مطبعة مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - قم (١٤١١هـ/ ١٢٩١م).
- النجاشي: أحمد بن علي (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).
٣٤. رجال النجاشي، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- ابن النديم: محمد بن أبي يعقوب (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م).
٣٦. فهرست ابن النديم، تح: رضا تجديد.
- أبو نصر البخاري: سهيل بن عبد الله (ت ٣٤١هـ/ ٩٥٢م).
٣٧. سر السلسلة العلوية، تح: محمد صادق بحر

المصادر

- العلوم، ط١، مطبعة الشريف الرضي - قم (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- النعماني، ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م).
٣٨. الغيبة، تح: فارس حسون كريم، ط١، مطبعة مهر - قم (١٤٢٢هـ / ١٩٩٢م).
- النوبختي، الحسن بن موسى (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م).
٣٩. فرق الشيعة، تح: عبد المنعم الحفني ط١، دار الرشد - القاهرة (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- النويري: أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).
٤٠. نهاية الإرب في فنون الأدب، مطابع كوستاتسوماس - القاهرة.
- اليقوي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ / ٩٠٥م).
٤١. التاريخ، تح: خليل المنصور، مطبعة ستارة - قم (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م).
- ثانياً - المراجع:
- البروجدي: علي أصغر.
٤٢. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تح: مهدي الرجائي، ط١، مطبعة بهمن - قم (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- الحر العاملي: محمد بن الحسن.
٤٣. أمل الأمل، تح: أحمد الحسني، مطبعة الآداب - النجف الأشرف.
- شتروثان: رودولف.
٤٤. بحث الشيعة، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري - الشارقة (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).
- الطهراني: أغا بزرك.
٤٥. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء - بيروت (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- كونسلمان: جرهارد.
٤٦. سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، ط١، مكتبة مدبولي - القاهرة (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
- هالم: هاينس.
٤٧. الشيعة، ترجمة: محمود كيبسو، ط١، شركة الوراق - بيروت (١٤٣١هـ / ٢٠١١م).
- هوفمان: مراد ولفريد.
٤٨. يوميات الماني مسلم، ترجمة: عباس رشدي العماري، ط١، مركز الأهرام - القاهرة (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- ثالثاً - المراجع الأجنبية:
- Isr-Friedlander
- The Heterodoxies of the Shiites in the . ٤٩
- Presentation of Ibn Hazme Vol. 29
- (1908 Journal of the American Ori-
- ental Society
- Gudrun Kramer
- Speaking for Islam Religious Author- . ٥٠
- ities in Muslim Societis. Leiden. Bos-
- ton.2006
- Verena.Klemm
- Die Vier Sufara des Zwolften Imam . ٥١
- zur formative Periode deZwolferss-
- chia « in die Welt des Orients 1984
- رابعاً - المواقع الإلكترونية:
- فرديريك الخامس <https://ar.Wikipedia/wiki>
- مراد هوفمان <https://ar.Wikipedia-org/wiki>



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الشرط المفقود

جابر الناصري

مقدمة:

استلم الإمام المهدي عليه السلام مسؤولية الإمامة بعد استشهاد أبيه الحسن الزكي العسكري عليه السلام، وبالرغم من صغر سنه (خمسة سنين) إلا أنه اتخذ إجراءات فعّالة للمحافظة على كيان الشيعة من الانهيار أمام ضربات أعدائهم من السلطة العباسية ومن خصومهم من المدارس الأخرى وحتى من بعض المحسوين على الصف الشيعي أمثال الحلاج وابن أبي العزاقر ومحمد بن نصير النميري وغيرهم، حيث أمسك بدفة سفينة شيعته في بحار الفتن المتلاطمة وقيادتها وإيصالها إلى برّ النجاة.

وكان الإمام المهدي عليه السلام قد خطط لما سيحصل في المستقبل من حصول غيبته الكاملة، فكان ما كان من احتجابه عن شيعته جزئياً، ولذا وضع نظام الوكالة الخاصة بينه وبين شيعته وعيّن الوكلاء الأربعة المعروفين ليكونوا حلقة الوصل بينه وبين قواعده الشعبية، وهذه الفترة امتدت إلى ما يقرب من سبعين عاماً وانتهت بوفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري عليه السلام والتي على إثرها أعلن بدء الغيبة الكبرى.

حينما استوعبت قواعده الشيعية ذلك واعتادت على غيابه نصب العلماء



الأعلام الجامعين لشرائط المرجعية من علم وتقوى وورع نواباً عامين عنه لقيادة الشيعة بيانه الشهير المرسل إلى وكيله الرابع، ومنذ ذلك الحين قاموا بما توجب عليهم ولا زالوا كذلك حتى الظهور، فقادوا الشيعة خلال الحقب المتعاقبة وحافظوا على كيان الشيعة بالرغم من الكوارث والخطوب والمآسي التي تعرضوا لها.

وقد التفت أعداء الشيعة قديماً وحديثاً إلى خطورة المرجعية ودورها الفاعل بمقاومة الطواغيت والعقائد الفاسدة والتي أمسكت دفة سفينة التشيع بقوة، فأخذ أولئك يشنون هجماتهم عليها عن طريق التشكيك بجدوى قيادتها ومرجعيتها للشيعة تارة، وتارة بمحاولة تسفيه التقليد من جهة وإصاق التهم المعلّبة بالمراجع الكرام، بل ومن جهة أخرى بالتصفية الجسدية.

وفي هذا الإطار وبين الحين والحين تظهر دعوات من بعض المنتطعين وذوي الأردية القصيرة يتبعهم بعض ضعاف النفوس والعقول من الشيعة بعدم ضرورة الرجوع إلى المراجع وبإمكان المكلف الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة لمعرفة الحكم الشرعي، وكأن ذلك ميسور لكل أحد، كأننا هو قصة أو قصيدة شعر، ونسي أولئك أنه ليس بإمكان أي إنسان الوصول إلى ذلك بكل بساطة وإنما عليه أن يدأب على دراسة القرآن الكريم وتفسيره ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيّد، ودراسة الأحاديث المطهرة من حيث التواتر والاستفاضة وأحاديث الآحاد من حيث الصحة والضعف والمسند والمرسل والمنقطع إلخ، وكذلك علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعلوم عقلية كالمنطق وأصول الفقه لكي يصل إلى مكنة الاجتهاد، وكل ذلك دونه خرط القتاد إلا لبعض الناس الذين فرغوا أنفسهم لذلك، وعكفوا عشرات السنين على الدرس والقراءة.

ولا أدري إذا مرض أحد هؤلاء العباقرة أيّ علاج نفسه بنفسه؟



أم يجلس منتظراً أن يمنّ عليه الله بالشفاء بدون أن يسعى لذلك؟
أم يهرع إلى الطبيب صاغراً ذليلاً؟

إنّ الحياة قائمة على التخصص، فالمرضى يراجع طبيباً للحصول على العلاج، والذي يعاني من مشكلة قانونية يلجأ إلى محام، والذي يريد أن يبني له بيتاً يذهب إلى مهندس معماري.

كل ذلك من بديهيات الحياة، ولكن حينما يصل الدور للفقيه تنقلب الصور والموازن ويصبح غير ذي أهمية ويصبح العوام في غنى عن علمه.

إنّ الفقيه رجل متخصص بالأحكام الشرعية مثل غيره من المتخصصين بشتّى مناحي الحياة، فلماذا لا يلجأ إليه المكلف لمعرفة تكليفه الشرعي للعمل به ولإبراء ذمّته أمام ربه؟

والمعروف أنّ المرء حين يراجع الطبيب أو المحامي أو المهندس فإنه يدفع أموالاً لقاء خدماتهم، في حين أنّه حين يراجع الفقيه لا يدفع شيئاً ويحصل على استشارته مجاناً والتي فيها نجاته في الدنيا والآخرة. وعوداً على بدء..

ومع حصول الغيبة الكبرى فإنّ الإمام عليه السلام لم يقطع علاقته بقواعده وشيعته ووكلائه العامّين كلياً، بل كان يوجّه ويُرشد ويقوم هو بنفسه أو بواسطة جهازه الغيبي - الأبدال - بما يراه من المصلحة.

وقد حفلت الكثير من الكتب قديماً وحديثاً بذكر لقاءات الإمام المهدي عليه السلام بالكثير من قواعده ومواليه في شتّى الأمكنة والأزمنة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الكم الهائل الذي رآته وستره الأمة وخصوصاً شيعة أهل البيت عليهم السلام من كوارث ومآس جعلتها أصلب عوداً وأقوى شكيمة، بحيث صارت تتطلّع ليوم إعلان المهدي عليه السلام لثورته العالمية حتّى تنصره وتضحّي من أجله، ويرافق ذلك تصاعد الخط البياني لحالة

الوعي الجماهيري والتوسع الأفقي للقاعدة الشيعية الشعبية، فالإمام بحاجة إلى الكمية إضافة إلى النوعية، لأنّه سيدخل بمواجهة قاسية مع الأعور الدجال وقوى النفاق العربية.

إنه لا بد من إدخال الأمم بتجارب مُرّة حتّى تعرف مغبّة اختياراتها الخاطئة لتصل إلى فناعة أنّ خلاصها لا يكون إلا بالمنهج القرآني وولاية أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً بما يتعلق بباقي الأمة الإسلامية من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

في هذا البحث - الشرط المفقود - نجد أن شرطي النهضة المتمثلين بالأطروحة الإلهية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والقيادة المعصومة متوفران، في حين أنّ القاعدة المؤمنة ذات الامتداد الأفقي الكبير غير متوفرة أو لم تتوفّر بعد، بدليل أن عدم الظهور كاشف عن عدم الوجود، وتفصيله بين يديك.

تمهيد:

برز في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام مفهوم الأشراف في الإخبار عن أحداث آخر الزمان، من حيث أماكنها وأبطالها وفجواها، ولكن يوجد مفهوم آخر يسير معه، يشار إليه إشارات بعيدة أو مبهمّة هو (الشرط اللازمة لتحقيق الظهور) وهو موضوع بحثنا هذا.

إنّ الأشراف هي العلامات التي تسبق أو تعاصر أو تواكب الظهور المقدس حيث بتحققها - كلاً أو بعضاً - يقطع المسلم المراقب أو المؤمن المنتظر أنّه فعلاً أمام حدث الظهور المقدس من غير اشتباه أو توهم.

إنّ قسماً من هذه الأشراف محتوم، وقسماً آخر هو مشروط أو موقوف.

الأشراف الموقوفة أو المشروطة هي تلك العلامات التي يمكن أن تقع، أو لا تقع تبعاً للظروف التي تواكب عصر الظهور أو قبله، أي إنّها تخضع لقاعدة المحو والإثبات (البداء)، مثل بعض الأحداث الاجتماعية أو الكونية.



أمّا الأُشْراطُ المحتومة فهي التي تقع حتماً وجزماً كما ذكرت في الأحاديث الواردة عن طريق المعصومين عليهم السلام، بيد أن بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام أفادت بأنّ حتّى الأحداث المحتومة يمكن أن يحصل بها ما يغيّرُها أو يلغيها فتقع تحت قانون المحو والإثبات، فالدعاء يردُّ القضاء ولو كان مبرماً وقد ورد عنهم: «ما عبَدَ اللهُ بمثل البداء»^(١).

يعني ذلك أنّ قاعدة المحو والإثبات حاکمة في عالم الإمكان وأنّ كل شيء خاضع لها إلا ما خرج بدليل قاطع.

وقد وضع أئمة أهل البيت عليهم السلام قاعدة: أن لو جاءت بعض الأحداث مخالفة لما حدّثوا به فلا يستغرب شيعتهم من ذلك، بل عليهم أن يقولوا: صدقوا: يؤجروا مرّتين، لأنّ قاعدة المحو والإثبات حاکمة في عالم الإمكان. وقد يتنطّع بعض المتفلسفين من أتباع ابن عبد الوهاب النجدي الذين يبغضون أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وخصوصاً الإمام المهدي عليه السلام فيشكّلون بأنّكم أيّها الرافضة تحكمون على مذهبكم بالتهافت، لأنّ إمامكم المهدي قد يكون وقع أو سيقع فيه بداء، وبذا فإنه لا يظهر لإقامة دولتكم المزعومة التي يخضع لها العالم كله، وهذا الإشكال ليس جديداً، وقد طُرح على أحد المعصومين عليهم السلام، وقد أجيب عليه في حينه، بأنّ حركة المهدي عليه السلام ليست من المحتوم ولا المشروط وإنما هي وعد إلهي والله لا يخلف وعده أبداً^(٢).

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥).

«لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل اللهُ ذلك اليومَ حتّى يخرج رجل من ولدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٣).

نعم هناك - كما ذكرنا - علامات يتعلّق قسم منها بأحداث كونية طبيعية



كالكسوف والخسوف في شهر رمضان على خلاف النواميس الطبيعية، والصيحة السماوية في شهر رمضان، والمذنب الذي يكاد أن يلتقي طرفاه وهو يضيء لأهل الأرض كما يضيء القمر^(٤).

وعلامات لأحداث اجتماعية بشرية كخروج اليماني والخراساني والسفياي في سنة واحدة^(٥)، وموت (عبد الله)^(٦)، ومعركة قرقيسيا، وقتل النفس الزكية بين الركن والمقام قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام بخمس عشرة ليلة، وخلع العرب أعتتها وخروجها على سلطان العجم، وحرب عالمية مدمرة تهلكت ثلثي سكّان العالم، وظهور الأدعياء والدجالين والشذاذ من آل أبي طالب وأدعائهم المهذوية، وغلبة الفساد في كل نواحي الحياة، وفشو الزنا وكثرة أولاد السفاح، وخروج النساء من بيوتهن ومشاركتهن الرجال بكل شيء وخلعهن لقناع الحياء^(٧).

وهناك علامات أخرى لا يمكن تعدادها هنا لكثرتها، بيد أنه لا بأس بإيراد ملاحظة سريعة مفادها:

إن الكثير من أحاديث الملاحم والفتن غير موثقة بالتوثيق المعروف في علم الحديث، فهي ما بين ضعيفة أو مرسلّة أو مروية عن أشخاص مجهولين أو مطعون بصدقهم وإيمانهم وعدم ولائهم للإسلام، أمثال كعب الأبحار اليهودي وتميم الداري النصراني ووهب بن منبه وغيرهم من الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم أمثال أبي هريرة الدوسي وسمرة بن جندب وعمرو بن العاص، ومسوّق الخرافات من الزاملتين عبد الله بن عمرو بن العاص^(٨).

وبعد هذه الجولة علينا العروج على المفهوم الآخر الذي ذكرناه في مستهل هذا البحث وهو مفهوم الشروط، ونعني بذلك الشروط المطلوبة واللازمة لكي يتحقق الظهور المقدس.

إنه لا بُدَّ بل ويجب أن يظهر أو يخرج الإمام المهدي عليه السلام، ذلك بأنَّ خروجه وعدُّ إلهي، وعلى ما هو المعروف من أنَّ مقدمة الواجب واجبة فإنَّ توفير



ظروف الظهور المقدّس هي واجبة، وهنا نجد أنّ الشروط هي من النسيج الداخلي للحركة المهدوية بحيث إذا انخرم أو فُقد أو عُدِم أحد هذه الشروط لم يتحقق الظهور المقدس إطلاقاً، وبعكس الأشراف فإنه لا ملازمة بينها وبين الظهور المقدس^(٩).

ويمكن القول: إنّ علاقة الحركة المهدوية بالشروط علاقة المعلول بالعلة وجوداً وعدمياً، إذ لا وجود للمعلول بدون وجود العلة، ولما لهذه الشروط من موقع أساس فيما نحن بصدده فإننا في هذا البحث نلقي الضوء عليها، فنحاول تحديدها، كما أنّه يجب علينا أن نقوم بفكّ الاشتباك بينها وبين الأشراف التي أشرنا إليها آنفاً، لأن هناك اشتباكاً بين هذين المفهومين أوقع البعض من الكتّاب والقراء في اشتباه وغلط، فحسبوا أنّ الشروط مرادفة للأشراف، والذي جرّ إلى ذلك هو تشابه اللفظتين من حيث المبنى.

هناك أمر مهم يجدر بنا الإشارة إليه، وهو: أنّ أغلب الذين كتبوا في الحركة المهدوية لم يتطرقوا إلى شروطها، وإنما اقتصرنا بحوثهم على أشرافها فجاء الكثير منها ناقصاً، في حين أنّ الشروط أهم بكثير من الأشراف، فالأشراف كاشفة والشروط مكوّنة.

وبالرجوع إلى التاريخ والواقع من حيث ظهور الحركات التغييرية والإصلاحية فإنّ علينا رؤيتها بصورة دقيقة وبتجرّد، ومن جملة ذلك شروط وجودها ونجاحها.

ومن القطعي أنّ أيّ حركة غايتها إحداث تغيير في بنية المجتمع العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الفردية، فإنّه لا بد من توفر شروط ثلاثة، أي إنّها ثلاثية الأبعاد:

١ - الأطروحة الفكرية أو العقائدية التي تقدم منهاج تغيير، غايته بناء مجتمع سعيد ذي رفاهية، أي إيجاد المدينة الفاضلة.

٢ - القيادة المثقفة المخلصة المتشعبة بالأطروحة والمؤمنة إيماناً كلياً بضرورة تطبيقها كاملة من غير انتقائية، ويجب أن تمتاز بالحنكة السياسية وسرعة اتخاذ القرارات المناسبة والمتوافقة مع الظروف التي هي فيه وأن تتمتع بالشجاعة لمواجهة الأصدقاء والأعداء، مع التحلي بالصبر وطول الأناة.

٣ - وأخيراً القاعدة الشعبية الواسعة الواعية المؤمنة بالأطروحة والمطبعة للقيادة والمستعدة للتضحية في سبيل ذلك.

ولو نظرنا إلى التوزيع الجغرافي والتاريخي للحركات الثورية أو الانقلابية فإننا نجد أنها لم تخرج عن هذا الإطار بغض النظر إن كانت أطروحتها إيمانية أو إلحادية، فإن الثورة البلشفية - على سبيل المثال - التي حدثت في روسيا في الربع الأول من القرن العشرين قد نجحت لأنّها ثلاثية الأبعاد أو ثلاثية الشروط.

فالأطروحة الماركسية التي انطلقت بموجبها الثورة كانت عقيدة شاملة قدّمت تفسيراتها للكون والحياة وكيفية بناء المجتمع.

والقيادة التي قادت الثورة ونظّرت لها وتمثّلت بـ(لينين) وجماعته كانت مؤمنة ومخلصة ومتشعبة ومحيطة بالعقيدة الماركسية وزواياها المختلفة، وقد امتازت بالحنكة والشجاعة والإخلاص والصبر.

أمّا القاعدة التي كان يتقدّمها الحزب الشيوعي والبروليتارية فإنّها هي التي قامت بالثورة بعد أن آمنت بالأطروحة الماركسية، وكانت منقادة ومطبعة طاعة عمياء لتوجيهات القيادة، وهكذا الحال بالنسبة للثورة الصينية أو الكورية أو الكوبية، أو... الخ.

في حين أنّه فشلت ثورة (جيفارا) في (بوليفيا) بسبب عدم وجود قاعدة شعبية قوية واسعة مساندة له، مما جعل المخابرات الأمريكية تنفرد به وتقوم بتصفيته بأيدي عملائها.



إلا أن الملاحظ: أن هذه الثورات التي أحدثت تغييرات شاملة في مجتمعاتها لا يعود الفضل فيها وفي نجاحها إلى صحة أطروحتها التي أثبتت التجارب فشلها وسقوطها كما حصل في الأتحاد السوفيتي مؤخراً، وإنما يرجع ذلك إلى حنكة قادتها ومنظريها، مضافاً إلى بطشهم واضطهادهم للشعوب وتصفية معارضيههم، أمثال: (لينين) و(ماو) و(كاسترو) و(كيم ايل سونغ) وخضوع القاعدة الجماهيرية لها خضوعاً كبيراً طوعاً أو جبراً.

ومن واقعنا الإسلامي، فإننا لو رجعنا إلى الوراء ألفاً وأربعمائة سنة لوجدنا أن الانقلاب أو تغيير الواقع الجاهلي لحد كبير لم يتم إلا بتوفر الشروط الثلاثة: ١ - أطروحة إلهية شاملة كاملة متمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٢ - قيادة عظيمة معصومة مسددة من الله سبحانه متمثلة برسول الله ﷺ.

٣ - قاعدة مؤمنة واعية مطيعة وهي الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وعندها تحوّل المجتمع إلى مرحلة جديدة - لحد ما - تختلف مفاهيمها وسلوكياتها عما سبق من مجتمع بربري جاهلي إلى مجتمع متحضّر ذي قيم أخلاقية سامية تسوده روح المحبة والتعاون والذي استطاع أن يوصل رسالة الإسلام العظيمة إلى الشعوب والأمم الأخرى.

لا نقول بأن كل ذلك المجتمع كان صالحاً، فهو خليط غير متجانس، فهناك المنافقون الذين هم أخطر على الإسلام من المشركين وأهل الكتاب، وهناك الانتهازيون الذين يبحثون عن الامتيازات والمناصب العليا، وهؤلاء لا يقلّون خطراً عن المنافقين، وهناك مرضى القلوب الذين يسارعون في الفتنة، وهناك ضعفاء الإيمان الذين يعبدون الله على حرف ويمنون على الله بإسلامهم، وهناك القبليون، وهناك المؤمنون الصالحون المجاهدون وهم القلة في ذلك المجتمع، ومع كل ذلك فقد استطاع رسول الله ﷺ أن يكون أمة جديدة من ذلك

الركام البائس ويغيّر من الحياة النمطية التي كان عليها العرب من غزوات واقتتال فيما بينهم.

وفي نفس الحين كانت العقلية القرشية القبلية الجاهلية تجهل الأطروحة الإلهية وأتّها جاءت لإسعاد البشرية وكانت تنظر إلى محمد ﷺ على أنه ملكٌ أسّس ملكاً، ينبغي أن يكون لبُطون قريش، فكانت تنتظر وفاة رسول الله ﷺ لكي تنقُص على خلافته، فقامت بانقلاب ضدّ الدين الجديد - وإن كان لا بساً ثوب الإسلام - لإعادة الامتيازات القديمة التي سلبها بنو هاشم من بطون قريش حسب تصوّرهم، فحسب بني هاشم النبوة، أمّا الإمامة أو تاج الملك فهو من حصة قريش يدور في أحيائها.

وكان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ القدماء من هو مستعد لتنفيذ ذلك المخطط الرهيب الذي وضعه طلقاء قريش بالتعاون مع اليهود المتورين من محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ وأصحابه الخُلص مدفوعين بالحسد والنزعة القبلية، فتأمروا على إبعاد القيادة المعصومة الشرعية عن الحكم مستغلّين وفاة الرسول ﷺ وصدمة المسلمين به، فكان ما كان من أحداث مروّعة دخلت فيها السلطة الجديدة بنزاعٍ قاسٍ مع الشرعية، فلم تتورّع عن ضرب أي مناوئٍ أو أي معارض بل وقتله إذا اقتضى الأمر ذلك، فقُتلت فاطمة الزهراء ﷺ بنت نبي الإسلام وهي سيدة نساء أهل الجنة بطريقة بربرية بشعة تكشف عن مدى حقد السلطة الجديدة على محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ.

ونتيجة لذلك، فقد تمّ تعطيل الأطروحة الإلهية بصورة شبه تامّة، وحوّرت مفاهيم الإسلام الحقّة من قبيل منع التحديث عن رسول الله ﷺ وتعطيل الحدود، وقد قامت سلطات السقيفة بوضع كينات دين مقابل دين محمد ﷺ آخذة منه الأذان والشهادتين وبعض الطقوس البسيطة والشكلية. لقد وضع حُكام قريش الجدد تقليداً صار معمولاً به من بعدهم وهو:



إبعاد أهل البيت عليهم السلام ومحاربتهم والتقليل من شأنهم، ومهدوا الصعود بني أمية لمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ثلاثين سنة من وفاته وهم الأعداء التقليديون لبني هاشم وللدین الجديد في الجاهلية والإسلام.

يجب أن يكون الدارس للتاريخ الإسلامي مُدركاً أن ما حصل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن عفويًا وإنما هو مخطط وضعت خطوطه العريضة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله بعد بيعة الغدير^(١٠).

ولذا أوجب الله تعالى على نفسه طبقاً لقاعدة اللطف الإلهي أن يتم إعادة الإسلام إلى مساره الصحيح عن طريق حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه الذي هو صورة كاملة عنه من حيث العصمة والقداسة والخلق والعلم والارتباط بالغيب وهو الإمام المهدي عليه السلام.

إن تطبيق الأطروحة الإلهية هي هدف الإمام المهدي عليه السلام وهي الإسلام الذي توارثه من آباءه المعصومين عليهم السلام ابتداءً من جدّه أمير المؤمنين عليه السلام وانتهاءً به عليه السلام والذي غُيب من يوم السقيفة إلى يوم ظهوره المقدس.

إن قوام الدين الحق هو الولاية التي يفتقدها الإسلام السقيفي الآخر، والولاية تعني الاختيار الإلهي للولي أي الشرعية، ولأنه افتقر وما يزال يفتقر إلى الشرعية فإنه سار باتجاهات متعددة لتلافي ذلك، لعلّ أبرزها إيجاد مجموعة من الرواة الذين صنعوا هالات مزيفة لأولئك الانقلابيين المزورين، فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحلّ الله، وتماشياً مع رفع سيف الإرهاب على رؤوس المعارضين.

والذي يتمعن جيداً بالفكر السياسي لمدرسة الصحابة يجد أنه فُصل على مقاس الحُكّام، فالحاكم أو الخليفة لا يُخطئ أبداً، بل إن من يعارضه ممن يقع ظلمه عليه يكون مبتدعاً قد أحدث في الدين.

(اسمع للأمر وأطع ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك)^(١١).



وهكذا ضاعت الأصوات الحرة بدخان التبديع والتفسيق.
ومن ذاك الحين وضعت الأطروحة الإلهية على الرّف يعلوها غبار النسيان
والإهمال، وعُزِلت القيادة المعصومة وحوربت وقتلت بسموم وسيوف ورثة
السقيفة.

وهنا يتّضح لنا أنّ شرطين من شروط النهضة متوفّران وهما: الأطروحة
الإلهية الكاملة الشاملة المتمثلة بالقرآن الكريم وسُنّة المعصوم، والقيادة العظيمة
المعصومة المتمثلة بالإمام المهدي عليه السلام، وقد بقي الشرط الثالث وهو: القاعدة
المؤمنة الواعية المطيعة المستعدّة للتضحية بكل شيء في سبيل المبدأ والعقيدة
والقيادة، والتي تتحمل أعباء التغيير الشامل وتطبيق شرع الله تعالى في كل بقاع
العالم، وفي ذلك ما يجعلها بمواجهة قوى الكفر العالمي بما تمتلكه تلك القوى
من إمكانات تقنية ومالية وإعلامية ضخمة، فالإمام عليه السلام وقاعدته لا يواجهان
قوى الانحراف الداخلي التي هي أحقر وأقل من الاستكبار العالمي فقط،
وإنّما قوى الاستكبار العالمي المدجّجة بكل شيء لكي يسود الإسلام كل الأرض
فيتحقّق قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

فمنذ وقوع الغيبة الكبرى لم تتوفّر هذه القاعدة بالرغم من مرور حقبة
طويلة على ذلك، أمّا ما ورد في بعض الأخبار من وجود أصحاب المهدي عليه السلام
الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً منذ قرون كما في حكاية علي بن فاضل المازندراني
والجزيرة الخضراء التي يسكن فيها أولاد المهدي عليه السلام وهي في البحر الغربي فأقلّ
ما يقال عنها: إنّها حكاية من حكايات العجائز في ليالي الشتاء الباردة^(١٢).

ولا أدري كيف تفكّر تلك العقول بأنّ مجموعة صغيرة فوق الثلاثمائة
بقليل بإمكانها مقاومة قوى غيلان آخر الزمان المدجّجة بكل شيء، والحقيقة



أن هؤلاء هم من صفوة أتباع الإمام المهدي عليه السلام وهم قادة الجيوش وحكام البلدان الذين يحكمون تحت حكم الإمام عليه السلام المباشر، أما جيش الإمام عليه السلام فإنه سيكون من الآلاف المؤلفة إن لم يكن من الملايين من المؤمنين المجاهدين المضحّين.

وقد يطرح البعض سؤالاً مفاده:

بما أن ظهور المهدي عليه السلام وإقامة دولة العدل الإلهي وعدل إلهي، ألا يمكن توفير القاعدة المؤمنة ولو بالمعجزة وتخليص الإنسانية المعذّبة من عذاباتها المستمرة؟

وهذا السؤال يشي بالجبرية التي أخذت بها بعض المدارس الإسلامية، التي هي عكس حكمة الله تعالى وعدله، إذ أتاح للإنسان حرية الاختيار وربط الأسباب بمسبباتها، ضمن قوانين طبيعية واجتماعية، فلو كان كما يقترح أولئك لما كان لقانون الابتلاء من أثر:

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

فالتغيير نحو الأحسن أو الأسوأ بيد الإنسان ضمن مساحة الاختيار المتاحة له، أمّا المعجزة أو التدخل الإلهي المباشر فهي الحالة الخارجة عن القاعدة العامّة لحركة المجتمع البشري والحكمة الإلهية، ولا تقع إلا في معرض التحدي من قبل القوى المناهضة للمنهج الإلهي ورُسل الله، كمعجزة عصا موسى وناقته صالح عليه السلام، وانشقاق القمر لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، أو في حالة تعرّض الأطروحة الإلهية أو القيادة المعصومة لتحدي أو خطرٍ وليس ذلك بكل موقف، فقد تعرّضت التوراة والإنجيل للتحريف ولم تحدث معجزة لمنع ذلك، وتعرّض الكثير من الأنبياء عليهم السلام للقتل مثل أرميا وزكريا وابنه يحيى عليهم السلام.



نعم سيستخدم الإمام المهدي عليه السلام المعجزة أو الولاية التكوينية في صراعه ضد أعدائه من النواصب والأوربيين، ولكن ما فحوى تلك المعجزة؟ فذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وهي بحدود ضيقة.

وقد يطرح البعض الآخر سؤالاً مفاده أيضاً:

أليس بإمكان شُرطيّ الظهور المقدّس أو عنصرَيْه: الأطروحة والقيادة، توفير أو صنع الشرط أو العنصر الثالث وهو القاعدة المؤمنة ولو بالولاية التكوينية؟ وهو سؤال مشابه للسؤال السابق باستثناء أنّه في هذه المرة أوكل توفير القاعدة المؤمنة للأطروحة الإلهية والقيادة المعصومة.

إنّ توفير القاعدة المؤمنة ليس من مهام الأطروحة الإلهية والقيادة المعصومة بصورة منفردة خارجة عن اختيار الناس، وإنّما يكون ذلك تبعاً لحركة المجتمع نحو التغيير والانقلاب على مفاهيمه الباطلة وتطلّعه للعقيدة الحقّة واعتناقه لمفرداتها بدون انتقائية واتّخاذ السلوك العملي المتوائم معها:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ (الكهف: ٢٩).

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢).

إنّ الأطروحة الإلهية كأبي عقيدة من العقائد تطرح أمام الناس، وتقدّم حلولها ومفاهيمها وتجربتها الناجحة وبراهينها وحججها، ثمّ يبقى الاختيار للناس فما من جبر وإكراه:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

أمّا القيادة المعصومة فلها التوجيه والإرشاد والتربية والتقويم وتوضيح مفاهيم العقيدة وتطبيق مفرداتها إذا سنع الطرف وبسطت لها اليد بذلك، فحالة المجتمع انعكاس لاستبطانه الداخلي، فإنّ كان وصل إلى العقيدة الحقّة وآمن بها واستعدّ لتطبيقها على نفسه انعكس ذلك بحياته والعكس بالعكس:

﴿كما تكونوا يولى عليكم﴾^(١٣).



فوجود الحاكم المستبد المستهتر انعكاس لحالة المجتمع المتردية الخانعة المستسلمة للظلم والانحراف، فالشعوب هي التي تصنع الطواغيت وليس العكس. فلو أن المسلمين أو الصحابة استجابوا لمناشدة علي وفاطمة عليهما السلام بعد أحداث السقيفة لما حدثنا التاريخ عن عصر ما يدعى بعصر الخلفاء الراشدين ولحدثنا عن زُمرة مرتدة نَفَذَ بها حكم الله، ولما حصل ما حصل من مآس وكوارث للأمة الإسلامية.

وفي هذا تفتح مساحة واسعة للإنسان أن يختار، وحينما يختار ويؤمن بعقيدة ما فإنه يقوم بتغيير نفسه أولاً ثم ينطلق إلى تغيير الآخرين ثانياً، فالجبر والإكراه ضدان لطبيعة الإنسان ومحاولة إجبار الناس على اعتناق عقيدة ما، ولو كانت صحيحة تؤدي إلى فعل معاكس وهو العداوة والكيد لها.

نعم، هناك إرادة توفيقية وهي الأخذ بيد العبد فيما إذا استقام وسار في الطريق الصحيح وتعثر فإن الله يساعده ويوفقه ويسدده.

وعليه فإن الشرط الثالث الذي هو القاعدة الإيمانية التي تأخذ على عاتقها مهمّة مواجهة قوى الاستكبار المحلي والعالمي وتحت لواء القيادة المعصومة معدوم، ويؤيد ذلك منطوق الأحداث الجارية منذ إعلان الغيبة الكبرى وحتى اليوم، وإلا فإن الإمام المهدي عليه السلام إذا توفرت قاعدته المجاهدة لما وسعه إلا القيام.

إن الأمر فيه توقف على الأمة منذ قرون عديدة، لأنّها ما زالت بحالة التشرذم والتمزق والانحراف العقائدي والسلوكي من جراء سيطرة إسلام السقيفة وأهل الكتاب على قطاعات واسعة منها.

فالإمام المهدي مُتَطَرِّبٌ (بكسر الظاء).

وعندما نرجع إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام فإننا نجد أنها تؤكد باستمرار على توفير قاعدة جماهيرية واسعة ذات مواصفات إيمانية خاصّة، وقد حدّدت وبيّنت

هذه المواصفات وفرضتها الظروف والأحداث، فلو توفّر للإمام علي عليه السلام أربعون شخصاً يعيرون الله جماجمهم كما أشار الإمام نفسه لقضى على انقلاب السقيفة الجاهلي وحسب تعبيره «خلع ابن آكلة الذباب»^(١٤).

ولكي تكون الصورة واضحة أمامنا أكثر فأمامنا كمثال الثورة العباسية التي أطاحت بالحكم الأموي وموقف الإمام الصادق عليه السلام منها ومن قادتها الذين عرضوا على الإمام عليه السلام تسلم الخلافة فرفض ذلك بشدة، بل إنّه لم يقرأ رسالة أبي سلمة الخلال^(١٥) وأحرقها، وذلك لأنّ قادة الثورة وقاعدتها لا علاقة لهم بالأطروحة الإلهية ولا بالإمام المعصوم إطلاقاً، فالقبول بذلك الرداء القبيح - أعني الخلافة - هو انتحار عقائدي وأخلاقي وسياسي، لأنّ في ذلك إضفاء الشرعية على ثورة دموية ارتكبت مجازر وفضائع وقتلاً للأبرياء إضافة إلى احتمال وقوع الإمام عليه السلام تحت إملاءات قادتها.

فما كان الفرس الغاضبون على الحكم الأموي العنصري الظالم من المواليين لأهل البيت عليهم السلام القيادة المعصومة، وإنّما كانوا يعيشون بحالة من الضباية والتعمية الإعلامية التي فرضها بنو أمية أثناء حكمهم الطويل وبنو العباس أثناء بثّهم لدعاتهم في الأمصار، حيث إنهم جعلوا أنفسهم من أهل البيت عليهم السلام المطلوب من الأمة محبتهم ومودّتهم وموالاتهم، وقد استغلّ بنو العباس انتماءهم لبني هاشم وأنهم من أقارب النبي ﷺ وأنهم أخوة آل أبي طالب المقتولين بسيف وسموم بني أمية وأنهم ثاروا لطلب الثأر للحسين عليه السلام شهيد كربلاء ودم حفيديه زيد بن علي ويحيى بن زيد المستشهدين قبل الثورة بسنوات قليلة، فرفعوا شعار الرضا من آل محمد عليهم السلام.

الثورة العباسية لو طرحت على طاولة التشريح والنقد البناء لوجدنا أنّنا أمام ثورة شعبية ضد حكم ظالم، ولكنها في نفس الوقت ليست عقائدية



تستلهم مفرداتها من العقيدة الحقّة، وهي كما يقال فورة في فنجان، فالشوار يريدون التخلّص من بني أميّة حتّى لو تحالفوا مع الشيطان، وبالفعل فقد تحالفوا مع الشيطان الأكبر بني العباس، فليس بالإمكان بناء مجتمع فاضل يحكم بالقرآن الكريم وسُنّة رسول الله ﷺ وهو بذلك الوضع البائس الذي تسبّبت به السقيفة ورواتها ومن بعدهم بنو أميّة وبنو العباس، فالمسوخ العقائدي والأخلاقي قد وقع في هذه الأمّة، إلى درجة أنّه قد وجدت فئات مستعدة لسل السيوف لقتل أبناء رسول الله ﷺ ببرودة أعصاب، وهذا ما حصل فعلاً، فبعد أن كان المنصور العباسي يتجوّل في القرى والبوادي يُحدّث بفضائل أهل البيت عليه السلام ويتكسّب بهم، وإذا من يده تقطر دماء أهل البيت عليه السلام بعد ما لبس جُبّة الخلافة، حتّى إنّهُ صرح بأنّه قتل ألفاً من بني فاطمة وبقي سيدهم ويقصد به الإمام الصادق عليه السلام، وبالفعل فقد قتل الإمام الصادق عليه السلام بالسم وهو أوّل إمام صرع بسموم بني عمّه لأجل الملّك وحطام الدنيا، والذي أسّس كل ذلك أقطاب السقيفة الذين لم يرعوا للمحمد ﷺ حرمة، فهاجموا بيت ابنته وأحرقوا بابها وضربوها بالسياط وأقربة السيوف ثم أسقطوا جنينها وكسروا أضلاعها وماتت شهيدة بعد أبيها بأكثر من شهرين، فكان نتاج هذا الغرس الخبيث - الجمل وواقعه - التي كانت قائدها زوج النبي ﷺ عائشة وهي التي تعرف منزلة من تقاتله فضربت تحذير رسول الله ﷺ لها من أن تكون صاحبة الحوآب راكبة الجمل الأدب ووصفها بالحميراء، عرض الجدار، فهذه زوج رسول الله ﷺ وتفعل ذلك الفعل الشنيع متقلدة دماء أكثر من عشرين ألفاً من بنيتها، فكيف بالأبعاد الذين لم تصلهم أحاديث رسول الله ﷺ بأهل بيته عليه السلام؟

جاءت مع الأشقين في هودج تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنتها في فعلها هرة تريد أن تأكل أولادها^(١٦)

بل إن كل ما حصل لهذه الأمة من مأس يقع على عواتق أولئك المنافقين.
وإلا من الذي جرّاً معاوية على الوقوف بوجه أخي رسول الله ﷺ ووصيه
وحامل رايته في الدنيا والآخرة ثم يتربّع على منبر رسول الله ﷺ وهو الملعون
على لسان رسول الله ﷺ مراراً وتكراراً، بل إن رسول الله ﷺ أمر بقتله إذا
ارتقى منبره.

ويكفيه عاراً أنه من الشجرة الملعونة في القرآن^(١٧).
ولا أدري هل إن أولئك المتقدين في هذه المدرسة لم يسمعوا رسول
الله ﷺ مراراً وتكراراً يقول مخاطباً علياً عليه السلام بمحضرهم: «يا علي
حربك حربي وسلمك سلمي»^(١٨).

فالذين حاربوا علياً عليه السلام في معارك الجمل وصفين والنهروان هم في حقيقة
الأمر، محاربون لرسول الله ﷺ، والحكم للقارئ الحصيف.
وبذلك تتضح الصورة الحقيقية الواقعية من خلال طرح المعصومين عليه السلام
المحدّد لمواصفات القاعدة الإيمانية.

فهدف المعصوم عليه السلام في كل زمان هو الإنسان، أي بناء الشخصية الإسلامية
القوية الواعية، وهذا البناء لا يتم بضربة لازب، وإنما يحتاج لفترة طويلة من
التجارب القاسية المريعة حتى يصل إلى حالة التولي والتبرّي.
ويدخل ذلك ضمن تركيبة الشخصية الإسلامية التي تكون متفاعلة مع
القطبين سلباً وإيجاباً.

وللشخصية الإسلامية هذه، مواصفات محدّدة:
منها ما هو داخلي استبطاني.

ومنها ما هو خارجي سلوكي .

ونقصد بالداخلي الاستبطاني هي حالة وصول المؤمن بالأطروحة الإلهية إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، أي التسليم أمام رب العالمين فيكون عنده الموت والحياة سيان، وهذه شبيهة لحدّ ما بقول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ۱۳۱)، وذلك عندما تتنزع الرواسب العالقة في قلبه من حُبّ الدنيا والمال والولد والجاه.

وقد يقول البعض: هذه مثالية لا توجد إلا في أفكار وعقول بعض المتصوّفة الذين يشطحون كشطحات الحلاج وابن عربي، فردد: بأنّه ألا يوجد في تاريخنا نماذج كانت هكذا؟

ماذا نقول بأبي ذر وسلمان والمقداد وحذيفة ومالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وأصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء وغيرهم من أصحاب الأئمة عليهم السلام؟ ولو أنّنا استخدمنا التحليل البنيوي لذلك لوجدنا أنّ الإيمان يأتي في المقدمة، فما هو بطنظنة لسان ولا بكثرة صلاة وقيام وصيام، وإنّما هي حالة أشرنا إليها آنفاً وهي التسليم والقبول بكل ما يترتب عليه في مواجهة الآخرين سواء أكانوا أصدقاء أو أعداء، ويكون مسلماً أمام قائده المعصوم فيقوم بممارسة ذلك عملياً حتّى يصبح ذلك من نسيجه الداخلي، أو بالتعبير العرفاني حالة التخلية والتخلية.

وعندما نستقرئ الأطروحة الإلهية نفسها لتفسير كل ذلك فإنّه يبرز أمامنا مفهومان:

(الإسلام - الإيمان).

إنّ مفهوم الإسلام هو النطق بالشهادتين وهو جواز الدخول في الأُمَّة، فيحرم دم المسلم وعرضه وماله، ولا يجوز بأيّ حال الاعتداء عليه إلا بنصّ شرعي خاص يتعلّق ببعض الموارد الجنائية، كالقتل العمد للنفس المحترمة أو



الزنا بعد إحصان أو الحراة والإفساد في الأرض أو الارتداد عن الدين عن فطرة - بعد الاستتابة - وهي موارد قليلة جداً للغاية، وقد شدد الرسول ﷺ النكير على أُمَّته بهذا الصدد:

- «من كفر مسلماً فقد كفر»^(١٩).

- «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٢٠).

- «لا ألفينكم ترتدون من بعدي يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢١).

ولكن هل التزم المسلمون بما قاله نبيهم؟

ويسير مع هذا المفهوم مفهوم آخر هو الإيمان، فهما يلتقيان بنقطة واحدة هي الشهادتان بيد أُمَّتهما مختلفان فالإيمان شيء والإسلام شيء آخر، الإيمان إقرار باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان^(٢٢).

فالتشهد بالنسبة للإيمان هو بوابة تفتح على عالم كبير هو الإسلام الحق، فليس المناط هو لقلقة باللسان وإنما يجب أن ينزل التشهد من اللسان إلى القلب، ومن القلب إلى السلوك الخارجي للمؤمن، ولعل أول خطوة في الاتجاه الصحيح: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»^(٢٣).

ومن أجل ذلك فقد وضع القرآن الكريم حداً فاصلاً بين الإيمان والإسلام: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤).

وعليه فليس كل مسلم مؤمناً، ولكن كل مؤمن مسلم.

فمناط التفريق بينهما الاعتقاد القلبي والسلوك المتوافق مع الأطروحة الإلهية، ولذا فإنه من الصعب معرفة ذلك، فالمطلع على السرائر هو خالق السرائر، وبالنسبة للسلوك فإن من طبيعة المؤمن الابتعاد عن كل ما قد يؤدي إلى الرياء والتظاهر بالصلاح أمام الآخرين فتخلو الساحة للمرائين والمنافقين



فترتفع أصواتهم وحسب وصف علي بن أبي طالب عليه السلام لطريقة عبد الله بن عمرو بن العاص: «ينصب حباله الدين لاصطياد الدنيا».

ولأجل ذلك اكتفى الشرع بظاهر الناطق بالشهادتين وأوكل باطنه لله تعالى. ولكن هؤلاء ذوي الأريدة القصيرة نسخوا شريعة محمد صلى الله عليه وآله فصاروا يفتشون في قلوب المسلمين ويقتلونهم بدعاوى الشرك بالرغم من أن المغدورين ينادون بالشهادتين ليلاً ونهاراً ويصلّون باتجاه القبلة ويصومون شهر رمضان ويحجّون إلى البيت، ويجاهدون في سبيل الله تعالى، ولكن هؤلاء يبرّرون ذلك بتبريرات سخيفة تدلّ على سخافة عقولهم وجهلهم المطبق واندفاعهم الأهوج وراء اليهود المتسترين بالإسلام.

إذن فإن أول مواصفات الإنسان المرجو لمجاهدة قوى الكفر العالمي هو الإيمان، ولكن إيمان الذي يقاتل تحت راية المهدي عليه السلام ليس كأبي إيمان. إن الإيمان درجات أدناها القيام بالواجبات والابتعاد عن المحرّمات أمّا أعلاها فلا يعلمه إلا الله تعالى.

فالؤمن إنسان إيجابي متفاعل مع الأحداث يؤثّر بها وتؤثّر به، لم يكن في يوم منعزلاً عن مجتمعه كالرهبان في الأديرة والصوامع، وهو يعيش على سجيته من غير تصنّع أو تكلف أو تمثيل، فسلوكه الخارج انعكاس لما في باطنه لا يزيد ولا ينقص.

إن حمل الأطروحة الإلهية والعمل على تطبيقها والتضحية في سبيلها مهما كانت الظروف والطاعة المطلقة للمعصوم عليه السلام من غير أن تتردد كلمة (لماذا) في قلب المؤمن ظاهراً وباطناً؛ هو إيمان من نوع خاص.

إيمان سلمان المحمدي، إيمان أبي ذر الغفاري، إيمان أويس القرني، إيمان أصحاب الحسين عليه السلام، والقائمة طويلة.

ولعل رجعة بعض هؤلاء الأبرار مع الإمام المهدي عليه السلام هي نتيجة لإيمانهم القوي العالي ولكون وجودهم مع أنصاره آخر الزمان مما يقوي من إيمان الآخرين ويجعلهم أشد بصيرة^(٢٤).

فالموت قنطرة يعبرها المؤمن إلى الراحة الأبدية والكافر إلى العذاب الأبدي، وهي منصوبة بين عالم الدنيا وعالم البرزخ وسيعبرها بالاتجاه المعاكس كل من محض الإيمان محضاً وكل من محض الكفر محضاً.

هذا الإيمان يعني إلغاء الذات أمام القائد.

فالمؤمن ينطلق من قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتأوه شوقاً إلى مؤمني آخر الزمان ويصفهم بأنهم إخوانه، حتى قال أصحابه: ألسنا إخوانك؟

فيقول صلى الله عليه وآله: «لا، أنتم أصحابي»^(٢٥).

فيتجلى الفرق بين الأخ والصاحب، فكيف بمن هو ولده؟ أيقاس الصاحب به؟

فأي منزلة يتمتع بها أولئك الأنصار والموالون؟

إن حقيقة منزلتهم أنهم آمنوا بسوادٍ على بياض، أي إن غيبة الولي بالنسبة لهم هي شهود.

وحين ندقق بكلمة الرسول صلى الله عليه وآله: «أنتم أصحابي» فإن فيها أموراً كشفتها الأيام!

وقد يتبادر سؤال: لماذا تاريخنا يقدم الصاحب على الأخ ويجعل له منزلة

فوق أهل بيت الرجل؟

أليست تلك معادلة مقلوبة؟



ألا يجدر بنا أن نسمّي تاريخنا بالأعور الدجال؟

ولا أدري كيف يُترضى على معاوية مع الترضي على علي عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه؟

وحقيقة الأمر أن تاريخنا حكايات لمجموعة من الرواة قبضوا أثمان أكاذيبهم من حُكّام الجور.

وليس ذلك بغريب، فشخصية هؤلاء التي شكّلتها قساوة الصحراء ورواسبه الجاهلية والقبلية تجعله أعمى أمام الأنوار الإلهية، فلا يرى أمامه إلا أن بني هاشم سبقوه وعليه اللحاق بهم أو سبقهم لتوزيع المغانم - بتصوره - فحسبُ بني هاشم النبوة، أمّا الرئاسة والسلطنة فلقبائل قريش.

وهؤلاء الذين قاموا بالانقلاب ارتضوا أن يكونوا رأس الحربة بتلك المواجهة ولهم بوادق قبل ذلك، فكثيراً ما وضعوا أنفسهم بمقامات ليست لهم كما حصل أثناء وفد تميم حتى علّت أصواتهم في حضرة النبي صلى الله عليه وآله فنزلت بحقهم سورة الحجرات، وكما جذب أحدهم رداء رسول الله صلى الله عليه وآله بشدة وقال بكلّ صلافة: ألم يأمرك ربك ألا تصلي على المنافقين^(٢٦)؟

فماذا يقول المفتونون به إلا أن يقولوا إنّه من شدة حرصه على الإسلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ليس حريصاً على الإسلام.

وقد اتخذ الأمر القرشي وجوهاً عدّة:

منها المباشر كمحاولة اغتيال الرسول صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك، وكان أبرز المشاركين فيها أبطال السقيفة.

أمّا غير المباشر فهو بمنهج الاجتهاد مقابل النص وهو منهج مأخوذ من اليهود.

وهكذا اشتغلت ماكنة الدعاية القرشية فخلطت الباطل بالحق وضاعت معالم الطريق على الملايين من المسلمين منذ قرون، ولأجل أن ترجع الأمة إلى جادة

السواء فعلى المفكرين الانطلاق من قاعدة عظيمة وضعها الوصي الأول عليه السلام فحواها:

«اعرف الحق تعرف أهله» (٢٧).

هذه القاعدة العظيمة تتضمن أموراً خطيرة:
اعرف الحق أين هو وأين مصدره وآمن به.
اعرف أهل الحق وأهل الباطل وفرق بينهما.
تولّ أهل الحق وناصرهم.
تبرّأ من أهل الباطل وأبغضهم.

وقد يقول البعض: إنَّ من تصمهم هكذا قلة، فنقول: ولو، فإنَّ القلة ممدوحة عند الله إلا أنَّها غير مجدية في المواجهة الكبرى بين المؤمنين وقوى الاستكبار العالمي، وإنَّما يجب أن يسير بجنب النوعية الكمية، أي يجب أن تكون القاعدة المؤمنة ذات امتداد أفقي واسع، فلو توفّر للوريث الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله أربعون على شاكلة أبي ذر وعمار والمقداد وسلمان لقام بالأمر.

فكل معصوم في عصره صاحب السيف الذي لو توفّرت له قاعدته لخرج وأقام دولة العدل الإلهي، فالمعصومون عليهم السلام قبل الإمام المهدي عليه السلام هم مهديون لكن الظروف لم تكن لصالحهم لكي يملؤوا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد يسأل البعض: إذن لماذا نهض الإمام الحسين عليه السلام بذلك العدد القليل لمواجهة دولة مترامية الأطراف تمتلك إمكانيات مادية وإعلامية ضخمة؟
والجواب: أن حركة الإمام الحسين عليه السلام حالة خاصة لظرف خاص لأنَّه يجب القيام بذلك وتقديم ذلك القربان العظيم لإيقاظ الأمة التي نامت عقوداً.

وبالفعل فقد استيقظت الأمة وراحت ثوراتها تتوالى وما زالت تستلهم من



الإمام الحسين عليه السلام وثورته الخالدة معاني الصمود والجهاد.

وخلاصة القول: إنَّه لم تتوفَّر لكل إمام قبل الإمام المهدي عليه السلام قاعدته التي بواسطتها يتمكَّن من إقامة دولة العدل، ولذلك أصبح الإمام المهدي عليه السلام هو الذي يقوم بهذه المهمة الخطيرة وهو الوصي الثاني عشر لرسول الله صلى الله عليه وآله وخاتم الوصيين عليهم السلام، حيث لا يوجد معصوم بعده، ولذا فإنَّ من أهم أسباب عدم ظهوره منذ قرون هو عدم توفُّر الشرط الثالث. فالإمام المهدي عليه السلام يعلم منذ ولادته وحتى إعلان غيبته الكبرى أنَّ ذلك الزمان ليس زمان ظهوره، فالمجتمع ما زال منحرفاً وقاعدته الموالية ضعيفة وقليلة العدد، ولذا وضع نظام النيابة الخاصة لفترة الغيبة الصغرى حيث نوابه الأربعة، وبعد ذلك وضع نظام النيابة العامة بعد إعلان الغيبة الكبرى.

هذا النظام هو الذي حفظ الشيعة والتشيع خلال العصور المتعاقبة بالرغم مما عاناه الشيعة من أعدائهم وخصومهم وما زالوا هكذا. وقد يسأل بعض الجهلة والمغرضون:

كيف لم تتوفَّر القاعدة الإيمانية خلال أحد عشر قرناً مضت؟

وهو سؤال ينم عن جهل بحقيقة الأمور، فظهور الإمام عليه السلام ليس خاضعاً لأمزجة الناس، وإنَّما هو ضمن منظومة إلهية خطَّطت منذ الأزل حركة التاريخ والمجتمعات وجعلت عملية انطلاق الثورة العالمية مرهونة بحالة التغيير التي ستحصل بما يجعل من حالة وعي المجتمعات تصل إلى الحد المناسب الذي تكون فيه ساعة الصفر، فالزمن مكوَّن أساساً بتكوين الحدث، لكنه بالنسبة للحركات الإصلاحية يختفي نوعاً ما، فإدريس عليه السلام غاب عن قومه عشرات السنين بعدما عصوه ولم يتبعوا منهجه الإلهي، فكان أن سلَّط الله تعالى عليهم الجبابرة والجدب والمجاعة، وكان ذلك العصا التي أدَّبت قومه، فأخذوا يتضرَّعون إلى الله ليكشف عنهم البلاء وأظهروا الإنابة والتوبة فأعاد الله لهم

نبيهم، وغيبة الإمام المهدي عليه السلام لا تخرج عن هذا الإطار.

إنّ مخاض الأحداث في عصرنا يشير إلى أنّ الظهور المقدس يمكن أن يكون قريباً لتحقيق بعض العلامات ولأنّ ملامح القاعدة المؤمنة ذات الامتداد الأفقي بدأت بالوضوح في بعض البلدان مثل إيران والعراق ولبنان وهي البلدان التي ستنصر الإمام عليه السلام عند الظهور، وخصوصاً العراق فإنّه قاعدته التي يرتكز عليها حكمه للعالم، فإنّه - أي العراق - بدأ السير الحثيث للقاء قائده الحبيب من خلال ما قدّمه ويُقدّمه من دماء وتضحيات، فالشهادة في سبيل المبدأ والعقيدة أصبحت ممارسة يومية وتوقفاً وطريقاً، وأماننا أبطال فتوى الدفاع المقدس - الحشد الشعبي -.

إنّ المراقب للزحف المليوني من شتّى بقاع العراق وخصوصاً من أقصى جنوبه إلى كربلاء الشهادة في زيارة الأربعين، إن هذه الممارسة تبهر وتدهش العالم بأسره، فخلال عشرين يوماً ينقلب كل شيء.

الكل يسير على قدميه: المرأة، الشيخ الكبير، الطفل الصغير، الشاب الغرير، والجميع يأكل ويشرب وينام ويعالج إن مريض بدون مقابل، دعم لوجستي لا تُقدّر أكبر الدول على تقديمه، فبيوت العراقيين في كلّ مدينة أو ناحية أو قرية مفتوحة يدخل من يشاء فيها مع توّسل واستعطاء من صاحب المنزل لتشريفه بالحلول ضيفاً عليه، فالجميع من الزاحفين على الأقدام إلى القائمين تحوّل إلى مجتمع ملائكة.

حب.. تضحية.. إيثار.. الشعار واحد والهتاف واحد:

لييك يا حسين، لبيك يا حسين، لبيك يا حسين.

ولا يدرى هل بيد الإمام الحسين عليه السلام هراوة تسوق هؤلاء إلى قبره المنيّف؟

نعم بيد الإمام الحسين عليه السلام هراوة عظيمة هي هراوة الحب.



ما أحب شعب في العالم مثلما أحب شعب العراق الحسين عليه السلام، فقد ذابوا بالحسين عليه السلام كما يذوب السكر في الماء، عبّروا عن ذلك بأشعارهم، بخطبهم، بقصصهم، ببيكائهم، بحزنهم، حتّى إنّ الإمام الصادق عليه السلام يأمر أبا هارون المكفوف بأن يندب الحسين عليه السلام بطريقة أهل العراق^(٢٨)، ويلاحظ أنّ حتّى خطباء المنبر الحسيني من غير العراقيين لا يندبون الحسين عليه السلام إلاّ بأشعار أهل العراق.

وهنا تتجلّى بعض ملامح اختيار العراق عاصمة ومقرّاً ومسكناً للإمام المهدي عليه السلام فإنّ أهل العراق سيجعلون من أجسادهم وأجساد أطفالهم ونسائهم دروعاً للإمام عليه السلام.

وقد يقول البعض: أنت تبالغ بوصف أهل العراق لأنّهم أهلك.

فأقول: تعالوا أيّام الزحف المليونى إلى كربلاء وستجدون مصداق ما قلته وأقوله، بل لو شاهدتم أبطال فتوى الدفاع المقدس لقلتم: إنّك قصّرت كثيراً بوصفهم.

فالقضية ليست بسيطة أو تقليدية وإنّما هو الحب.

وهل الدين إلاّ الحب كما قال أحد المعصومين عليه السلام؟

نعم، إنّ العراق حجر الرحى في عصر الظهور وبأهله سيطحن الإمام عليه السلام المستكبرين.

الهوامش

١. في الكافي للكليني - بَابُ الْبَدَاءِ - ح ١: عَن زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَن أَحَدِهِمَا عليه السلام قَالَ قَالَ مَا عُمِدَ اللَّهُ بِسَيِّئٍ مِثْلَ الْبَدَاءِ.
 ٢. في الغيبة للنعماني: ص ٣١٥، باب ١٨، ح ١٠، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفينائي، وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم». قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم. فقال: «إن القائم من المعاد، والله لا يخلق المعاد».
 ٣. في كمال الدين للصدوق: ص ٢٨٠، ح ٢٧: «والذي بعثني بالحق نبيا لو لم يسبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنوره ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب».
 ٤. عقد الدرر في أخبار المنتظر: الفصل الرابع، ص ٨٥.
 ٥. عن الإمام الباقر عليه السلام: «خروج السفينائي واليساني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً...» [الغيبة للنعماني: ٢٦٤ / باب ١٤ / ح ١٣].
 ٦. عن أبي بصير: قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم»، ثم قال: إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد، ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام»، فقلت: يطول ذلك؟ قال: «لا». [الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٢٧١].
 ٧. انظر: الإرشاد للمفيد: ج ٢، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.
 ٨. ذكر المؤرخون أن عبد الله بن عمرو بن العاص عثر على (زاملتين) أي حقيبتين من كتب الروم
٩. أثناء الفتح الإسلامي للشام، فكان يحدث منها وينسب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي كان يدلّس.
 ١٠. صحيح أن الأشراف ليست علة للظهور، ولكن يمكن القول بضرورة وقوعها من باب إخبار أهل البيت بضرورة وقوعها.
 ١١. فصلنا تلك الأحداث في كتابنا المخطوط فاطمة الزهراء عليها السلام والغضب الأبدي الذي نأمل أن نؤتق لطبعه.
 ١٢. فقد رووا أنه قال حذيفة بن اليمان، قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع... [صحيح مسلم النيسابوري: ج ٦، ص ٢٠].
 ١٣. قال العلامة المجلسي: (وجدت رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض أحببت إيرادها لاشتغالها على ذكر من رآه، ولما فيه من الغرائب. وإنما أفردت لها باباً لأنني لم أظفر به في الأصول المعتمدة) [بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٥٩].
 ١٤. تخرّيج الأحاديث والآثار: ج ١، ص ١٨٣.
 ١٥. الاحتجاج: ج ١، ص ١١٢.
 ١٦. قدم محمد بن عبد الرحمن المدينة علي أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقية ليلاً، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سلمة، ودفع إليه كتابه، فقال له أبو عبد الله: وما أنا وأبو سلمة؟ وأبو

الهوامش

الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأباجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأستر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً» [الإرشاد للمفيد: ج ٢، ص ٣٨٦].

٢٥. سنن النسائي: ج ١، ص ٩٤.

٢٦. في صحيح البخاري: ج ٥، ص ٢٠٦، كتاب تفسير القرآن: عن ابن عمر... قال لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ [فقال] فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال: رسول الله ﷺ: [إنما خيرني الله، فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيده على السبعين)، قال: إنه منافق، قال: فصل عليه رسول الله ﷺ]، فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره. روضة الواعظين - للفتال النيسابوري: ص ٣١.

٢٧. روضة الواعظين - للفتال النيسابوري: ص ٣١.

٢٨. عن أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: «يا أبا هارون أنشدني في الحسين ﷺ»، فأنشدته قال: فقال لي: «أنشدني كما ينشدون» - يعني بالرقعة - قال: فأنشدته هذا الشعر: أمرر على جدت الحسين فقل لأعظمه الزكية قال: فيكي... [ثواب الأعمال - للشيخ الصدوق: ص ٨٤].

سلمة شيعة لغيري، قال: إني رسول، فتقرأ كتابه وتجيئه بما رأيت، فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: عرف صاحبك بما رأيت... [مروج الذهب للمسعودي: ج ٣، ص ٢٥٤].

١٦. البيتان للحميري كما في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٣٣٥.

١٧. ما اختلف المسلمون بجميع طوائفهم بأن المقصود بالشجرة الملعونة في القرآن الكريم هم بنو أمية، وقد أضاف رسول الله ﷺ إلى ذلك أحاديث تذمهم وتحذر أمته منهم، بل لعن البعض منهم كمروان بن الحكم وأباه وسماه الوزغ بن الوزغ، ولعن رسول الله ﷺ معاوية بأحاديث تصل إلى خمسة عشر حديثاً.

١٨. أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٥٦.

١٩. لم يرد هذا الحديث بهذا اللفظ، والوارد في كتب العامة هو: عن عبد الله بن عمر... إن رسول الله ﷺ قال: أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما [صحيح البخاري: ج ٧، ص ٩٧].

٢٠. أمالي الطوسي: ص ٥٣٧.

٢١. روي عن رسول الله ﷺ أنه خطب الناس يوم النحر بمنى فقال: «أيها الناس، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» [دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي: ج ٢، ص ٤٠٢، ح ١٤٠٩].

٢٢. الخصال للشيخ الصدوق: ص ١٧٨، ح ٢٣٩.

٢٣. الكافي للكليني: ج ٢، ص ٢٣٤، باب المؤمن وعلاماته وصفاته: ح ١٢.

٢٤. روى المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «يخرج القائم ﷺ من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى ﷺ



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

دراسة مقارنة للوضع الاقتصادي بين الغيبية والظهور

الشيخ ماهر الحجاج

المقدمة:

كثر الاهتمام عند الباحثين بشأن القضية المهدوية الكبرى، والتي يجب إليها المستقبل ولا يعلم كل من أين سيكون موقعه منها، وذلك أمها قضية معقدة شيئاً ما من جهة، ومتصلة بالواقع الذي يربطنا بها كشعبة إمامية من جهة أخرى، ويكون فيها الإنسان على صراط التمحيص الذي لا مفر منه من ثالثة. حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: «والله لتمحصن، والله لتميذن، والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلا الأندر»، قلت: وما الأندر؟ قال: «البيدر [الأبذر] وهو أن يدخل الرجل فيه الطعام يطين عليه، ثم يخرج قد أكل بعضه بعضاً، فلا يزال ينقيه ثم يكن عليه ثم يخرج حتى يفعل ذلك ثلث مرات، حتى يبقى ما لا يضره شيء»^(١).

وهي مشتملة على قضايا غيبية كثيرة من جهات متعددة، كالظهور المرتبط بالمشيئة الإلهية، والعلامات التي أخبر أهل البيت عليهم السلام عن وقوعها، وقبل وبعد الظهور المبارك، والرجعة التي تحدث، وكالأمور التي تظهر بصورة معاجز على يد الإمام عليه السلام من جهة رابعة، كما استفاد من الرواية التي تنص



على أن عصا موسى عليه السلام عند الإمام الحجة، يصنع بها عند ظهوره عليه السلام ما كان يصنع بها موسى بن عمران عليه السلام (٢).

فهذه الأمور وغيرها دعت الباحثين إلى أن يصبّوا جهودهم على جهات مختلفة منها، كلُّ على حسب سعته واستيعابه وغرضه في ذلك، فتعدّدت الكتب فصارت بالمئات، واختلفت المناهج والبحوث، بين روائي بحت وتحليلي بحت، وبين جامع بينهما، وبين مختصر على قضية ما، وبين من حاول الإمام بها، إلا أنني - بحسب اطلاعي المحدود - لم أقف إلى الآن على دراسة - لقضية معينة من القضايا المهدوية - مقارنة بين المرحلتين الغيبة والظهور، والبحث عن الأسباب والنتائج، والتكاليف التي لابد لنا من العمل بها؛ كي لا نقع في هوة البلاء المحتّم.

ونحن في هذه المقالة نحاول أن نبحث عن الحالة الاقتصادية التي تعدّ العصب الحساس لديمومة الحياة الاعتيادية على صعيد الدولة والمجتمع، فنأخذها كعينة نخضعها لعمليات مجهرية، ونلاحظ ما ورد فيها من الأخبار، ونقارن بين السقوط الاقتصادي، الذي يهدّد العالم مستقبلاً إلى فترة ما قبل الظهور الشريف، وبين الانتعاش الاقتصادي، الذي لا مثيل له في تاريخ الإنسانية بعده حتّى يكسّر الذهب بالفؤوس كما ورد في الموروث.

ونحاول أن نبحث عن الأسباب التي تؤدّي إلى القحط القاتل، والأسباب التي ترفعه بصورة قد تكون فوق الخيال، ثم نجيب عن إمكان تلافي ذلك وعلاجه، ثم نحاول أن نقارن بين الاثنين ونستنتج منها ما ينفعنا.

هذا ولا ندعي النبوغ في هذا المجال، فقد يكون هناك من نال قصب السبق في مثل هذه الأبحاث وأجاد فيها ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)، والله هو المسدد إلى الصواب.

المبحث الأول: الوضع الاقتصادي في الغيبة:

إنَّ من مقتضيات ديمومة الحياة البشرية هي توفُّر مستلزمات العيش، أهمها استقرار الحالة الاقتصادية - ونقصها بها أعمّ من السيولة المالية وانفتاح الأسواق وتوفُّر السلع فيها والتوازن بينها وبين الدخل اليومي وغير ذلك - على مستوى الدولة التي تدير مجتمعاً ما، وعلى مستوى الأفراد الذين بهم قوام المجتمع، فإذا تخلخل هذا العصب ترى الناس تعيش حياتها بصعوبة قد تكون مشاراً لكثير من الفتن الاجتماعية والسياسية، بينما إذا كانت الحالة بالعكس تجد الناس يعيشون حياة طبيعية من جهات مختلفة.

وعندما نرجع إلى تراث أهل البيت عليهم السلام نجد أنهم نصّوا على أنه سوف يتعرّض المجتمع البشري في آخر الزمان وقبل ظهور الإمام الحجة عليه السلام إلى (قحط شديد جداً) بحيث عدّتها الروايات من علامات الظهور، ومن تلك الروايات:

ما ورد عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لابد أن يكون قدام القائم سنة يجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف شديد من القتل ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، فإن ذلك في كتاب الله لبين، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]»^(٣).

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ قدام القائم علامات تكون من الله تعالى للمؤمنين»، قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال: «ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يعني المؤمنين قبل خروج القائم عليه السلام ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]»^(٤).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنْ قَدَّامَ الْقَائِمِ عليه السلام لِسَنَةِ غِيَادَةِ، يَفْسُدُ فِيهَا الشَّارُ وَالتَّمْرُ فِي النَّخْلِ، فَلَا تَشْكُوا فِي ذَلِكَ»^(٥).

وعن الضحاک بن مزاحم، عن النزال بن سبرة في خبر طويل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذكر فيه الدجال فقال: «... بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يري الناس أنه طعام، يخرج حين يخرج في قحط شديد»^(٦).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «إِنْ قَدَّامَ قِيَامِ الْقَائِمِ عِلَامَاتٌ: بِلَوَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ»، قلت: وما هي؟ قال: «ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يعنى المؤمنين ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، ﴿وَالْجُوعِ﴾ بغلاء أسعارهم، و﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ فساد التجارات وقلّة الفضل فيها، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ قال: موت ذريع، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ قلّة ريع ما يزرع وقلّة بركة الثمار، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ عند ذلك بخروج القائم عليه السلام...»^(٧).

فمن خلال هذه الروايات - والروايات التي سوف نتعرض لها إن شاء الله تعالى في مطاوي هذه المقالة - سوف يتّضح لنا جلياً: أن القحط هو سنة إلهية حتمية لا بد من وقوعها في زمن الغيبة ولا محيص عنها.

أسباب القحط المستقبلي:

والسؤال الجدير بالذكر هنا هو: ما هي الأسباب الكامنة خلف تلك المصيبة التي ستخيم بظلامها على البشرية؟ فهل هي أمر إلهي غيبي لا يمكن فهمه والتماس أسبابه والغوص في كنهه؟ أم هي أمر عادي له أسبابه الطبيعية كما هو شأن الكثير من الأشياء في هذا الكون؟



والجواب عن هذا السؤال بكلا شقيه هو: هناك أسباب وعوامل لهذا القحط يمكن استكشافها من خلال تتبع النصوص الشرعية القرآنية والروائية. وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين رئيسيين: أسباب داخلية وأسباب خارجية، ولكل منهما له عدّة عوامل سببها تبعاً إن شاء الله تعالى.

الأسباب الداخلية:

١ - نفسي المعصية:

مما لا شك فيه هو أن لكل فعل نتيجة، على مستوى عالم الدنيا وعالم الآخرة، فإن طاعة الله تعالى نتيجهها الدنيوية نزول الرزق والبركة وظهور كنوز الأرض بين يدي العباد، كما تشير إليه الآيات الشريفة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

هذا في الدنيا، وأمّا في الآخرة ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧)، ﴿وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾ (التوبة: ٧٢).

وإن نتيجة المعصية وعدم الطاعة لله تعالى في الدنيا هو شقاء العيش وظهور الفساد والخراب حتّى في البر والبحر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (طه: ١٢٤)، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ»^(٨)، ونتيجة المعصية، في الآخرة هي النار وبئس المصير.

إذن أهم عنصر فعّال يساعد على ظهور القحط في زمن الغيبة هي المعصية والانحراف عن جادة الشريعة، والذي يدلّك على هذا، هي الروايات الكثيرة

التي تعرّضت لبيان حال الناس في زمن الغيبة، ومنها ما بيّن حال المؤمنين والشدة التي هم فيها، روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال فيه: «... لأحدهم أشدّ بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصايح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»^(٩)، وعن يمان التمار قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوساً فقال لنا: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد»، ثم قال هكذا بيده «فأيكم يمسك شوك القتاد بيده»؟ ثم أطرق مليّاً، ثم قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسك بدينه»^(١٠).

وهذا العامل تندرج تحته كل العوامل الداخلية الأخرى التي ستتعرّض لها إن شاء الله تعالى.

٢ - منع الحقوق المالية:

الله تعالى عندما خلق الناس لحكمة اختبارهم وامتحانهم، جعل أبواباً كثيرة من الاختبار يدخلها البشر كل بحسبه، ومن تلك الأبواب أن فضل بعض خلقه على بعض في الرزق، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ (النحل: ٧١)، وبعد أن جعل هذا التفاضل بينهم، بسط تكاليفه عليهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، ثم بيّن لهم كيفية الإنفاق فقال عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، ثم بيّن لهم أنّ واحداً من أبواب الوصول إلى الخير هو إنفاق ما يجبه الإنسان، فقال لهم: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، ومن أبرز ما يجبه الإنسان هو المال، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠).

إذن من أهم الأبواب التي يمحص فيها المؤمن هي الأموال التي فرض الله تعالى فيها فرائض متعددة منها الحقوق الواجبة، فمن امتثل وأعطى زكاة ماله



وخمسه وبقية الحقوق المالية الواجبة نمت أمواله وزادت بركته، ومن امتنع من دفعها فقد عرّض نفسه للعقاب الإلهي وقد ساهم في حلول القحط والفقر والبلاء على الناس كما ورد في بعض الروايات:

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

«... وإذا طففت المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها، من الزرع والثمار والمعادن كلها»^(١١).

وعن صفوان بن يحيى قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «... إذا منعت الزكاة ظهرت الحاجة»^(١٢).

٣ - الشح والحرص على الدنيا:

والذي يتأمل جيداً في السبب الثاني يجد أن حب الدنيا والبخل والجشع هو الذي يسوق الإنسان إلى الامتناع من إعطاء حق الله تعالى من تلك الأموال التي تفضل الله تعالى بها عليه، لا حاجة من الله تعالى إليها، حاشاه وتعالى علواً كبيراً، إلا أنه كما قال: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۗ إِنَّ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجَ أَصْغَانَكُمْ﴾ (محمد صلى الله عليه وآله: ٣٦-٣٧)، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧)، فالإنسان لقصور إدراكاته وقلة فهمه يتصور أنه إذا لم ينفق في سبيل الله تعالى فقد حفظ أمواله من التلف والسرف، والحال أنه بالعكس، فكلما أنفق الإنسان لوجه الله تعالى وتقرّباً إليه، كلما فتح عليه أبواب رزقه وبارك له فيما يكتسبه، فلذا وردت الروايات في هذا الشأن، وإليك نزر منها:

عن النزال بن سبرة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه آخر الزمان قال: «... وباعوا الدين بالدنيا»^(١٣).

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة، وإذا طففت المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص...»^(١٤).

ولا يخفى أن الداعي لتطيف المكيال هو الطمع والشح وحب الدنيا، الذي يحدوا بالإنسان إلى الهاوية.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فيقتل الناس عليه، فيقتل من كل عشرة تسعة»^(١٥).

إن الطمع الذي يدفع بالذين يريدون الاستيلاء على جبل الذهب، هو الذي يدفعهم للقتال.

الأسباب الخارجة:

١ - تردّي الوضع السياسي:

لا يخفى ما للوضع السياسي من انعكاسات إيجابية وسلبية على اقتصاد العالم، أو على الأقل تردّي اقتصاد الدولة التي تضطرب سياسياً، وهذا أمر لا غبار عليه.

وقد نصّت الروايات على ما يحدث من الفتن في آخر الزمان وعلى ما يقع من الحروب والقتل الذريع بين صفوف الناس كما أشارت إليه الروايات التي تناولت قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)، بالبيان والتفسير، وتقدمت الإشارة إليها، وروايات اليماني والحراساني وغيرها كثير جداً.

والذي يؤكد هذه الحقيقة جملة من الروايات: منها ما ورد عن سفيان بن إبراهيم الجريري، عن أبيه، عن أبي صادق، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... ويسلّط الله عليهم عِلْجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم، لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا هدّها، ولا نعمة إلا أزلها»^(١٦).

وما ورد عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «لقائم آل محمد غيبتان أحدهما أطول من الأخرى»؟ فقال: «نعم، ولا يكون ذلك حتّى يختلف سيف بني فلان وتضيق الحلقة، ويظهر السفيناني



ويشتدّ البلاء، ويشمل الناس موت وقتل يلجؤون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله ﷺ»^(١٧).

ولا يخفى أن لهذا السبب ارتباطاً وثيقاً بالسبب الأول من الأسباب الداخلية، حيث إنّه يؤكد أن كل ما يقع علينا من البلاء هو من نتائج أفعالنا ومصداقه قوله ﷺ: «**كما تكونوا يؤولي عليكم**»^(١٨)، وهذا يؤكد كون هذه الفتنة المقبلة حتمية وأنها سنة إلهية لا يمكن الفرار منها، وأنها غير مختصة بقوم دون آخرين كما قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ (الأنفال: ٢٥).

وهذا الاضطراب السياسي هو بدوره يولد عوامل أخرى خارجية بل يساعد ويشجع على نموها، فهو يكون بمنزلة البيئة الموبوءة التي تنشر الأمراض الخبيثة والكارثية مثل الأسباب التي سنذكرها في البند الثاني وما بعده.

٢ - شيوع السلب والنهب:

من الأمور الطبيعية أنّه إذا حصل انفلات أمني واضطربت الأوضاع، تنشط مافيات السلب والقتل، وفي الروايات إشارة إلى هذا المعنى ولكنه بنحو أشدّ، وهو سلب حتى الثياب بحيث يرجع إلى داره وهو يفقد ثيابه في مكان صلاته كما ورد عن حمّان عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه ما يحدث في آخر الزمان فقال: «... ورأيت الرجل يخرج إلى مصلاه ويرجع، وليس عليه شيء من ثيابه»^(١٩).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه في خطبة له قال: «... ويظهرون اللصوص»^(٢٠)، ويقتطفون [النفوس]، ويفتحون العراق، ويحجّون الشقاق بدم يراق، فعند ذلك توقعوا خروج صاحب الزمان عليه السلام»^(٢١).

٣ - سيطرة الإقطاع على رؤوس الأموال:

ومن أهم الأسباب المؤثرة في تفاقم الفقر وتفشي الحاجة والحرمان بين أفراد المجتمع هو: سيطرة بعض الرؤوس على المال العام، بحيث تصير هي التي تدير المشاريع، ومن خلالها تمر أموال الدولة، فهي تأخذ قسطاً وافراً منه من دون عناء، بل يأتيها رزقها رغداً على حساب الفقراء، ونتيجة ذلك تولد طبقة ثرية جداً تتنعم بأرشفه وسائل الراحة، في حين هناك طبقة قد تحلم أنها تأكل ما تشتهي أو تلبس ثوباً جديداً.

كما وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال فيه: «... ويملك المال من لا يكون أهله، لكع من أولاد اللكوع» (٢٢).

وفي بعض الروايات عزي سبب ظهور مثل هذه الطبقات إلى انعدام صلة الأرحام، فقد ورد عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال: «... وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار» (٢٣).

٤ - كثرة الخيانة:

ومن أهم العوامل المؤثرة في تفاقم الفقر وانتشار القحط هو: رواج الخيانة وعدم الأمانة بين أفراد المجتمع، وكم لهذه الخيانة من صور وأشكال سارية في كثير من مفاصل المجتمع، من قبيل الرشاوى في المعاملات على المحسوبيات والعلاقات وأخذ المال الباطل.

وقد ورد في الرواية عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بأن الخيانة ترفع البركة وإذا ارتفعت البركة حلّ الفقر والخراب بلا شك، فقد ورد عن الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهن إلا أخرجت ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقه، وشرب الخمر، والزنا» (٢٤).



وروي مثله عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أربعة لا تدخل واحدة منهم بيتاً إلا خرب ولم يعمر: الخيانة، والسرقعة، وشرب الخمر، والزنا»^(٢٥).

٥ - جور القادة والحكام:

فقد ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا فشى الزنا ظهر موت الفجاءة، وإذا جار الحاكم قحط المطر»^(٢٦).

٦ - فقد الإمام عليه السلام وغيته:

إنَّ أهم عنصر للبركة بين الخلق هو الإمام عليه السلام، فإذا فقد وغاب عنهم ارتفع عنهم مصدر الخير، وحلَّ بهم البلاء؛ إذ أوكلهم إلى أنفسهم لا يأتون بخير أين ما يتجهون، وإن كان فيما يأتون ظاهره الخير إلا أنه لا بركة فيه، كما ورد في رواية الأصبغ بن نباتة، عن علي عليه السلام أنه قال: «... فتكثر التجار وتقل الأرباح، ويفشو الربا»^(٢٧)، والسبب هو أفعال الناس، ومطاردة الظالم له، كما ورد في عدة من الروايات، منها:

ما رواه أبان وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بد للغلام من غيبة، ف قيل له: ولم يارسول الله؟ قال: يخاف القتل»^(٢٨).

عن مروان الأنباري قال: خرج من أبي جعفر عليه السلام: «إنَّ الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم»^(٢٩).

فعن الفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة يقول فيها: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]»^(٣٠).

سبيل النجاة:

اتَّضح لنا من البحث المتقدِّم أنَّ المجتمع متَّجه نحو قحط مستقبلي لا شك في حصوله، كما نصَّت عليه الروايات المتقدِّمة الذكر وغيرها، وعليه فلقائل أن يقول: هل يمكننا أن نساهم في تغيير المستقبل، بحيث نمنع من وقوع ذلك

القحط، من خلال معالجة الأسباب الأساسية لنشوء الفقر والقحط، كي لا
نقع في دوامة القحط القاتلة، أم لا؟

والجواب: من جهة: نعم، ممكن، ومن جهة أخرى: لا، غير ممكن، ولكل
سببه كما سيّضح من خلال بيانها:

أمّا (نعم) فلأن العقل قاضٍ - وكما هو الواقع - بجريان الأمور بأسبابها،
فما لم يحصل السبب والعلة لم يحصل المسبب والمعلول، أي إننا إذا استطعنا أن
نرفع العلة التي ينجم عنها ذلك البلاء بأي شكل من الأشكال ولو بنحو
الإعجاز - فرضاً -، فقد استطعنا أن نمنع من وقوع تلك الأزمة المالية الخانقة
التي تهدد مستقبل البشرية عامة، والعقل لا يرى في ذلك آية استحالة، بل
يراه أمراً ممكناً جداً.

وأمّا (لا) فوجهه: على ما يظهر من تتبّع الروايات، أنّي صرّحت بأن ذلك
حتماً مقضياً، وسنة إلهية لا ريب فيها، ولا في قوعها، وهذا يعني أن التغيير
محال وقوعاً لا ذاتاً.

وهذا ليس يأساً ولا قنوطاً من السعي في ذلك، ولكنه واقع يجده من
أراد أن يتسلّق سلّم النهوض بالأمة، وانتشالها من براثن البلاء المبرم، حيث
يجد أول حجر لبناء المستقبل الزاهر هو: إيجاد انقلاب ذاتي فردي عام
في كل مفاصل المجتمع، كما تقول الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، وأنّي لنا هذا التغيير الجذري
والتوبة النصوح؟ والحال أن ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨)، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ١٠٣)، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل: ٨٣)، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ
لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠)، وهذه الآيات وغيرها قاضية بأنّ تغيير
الجميع مستحيل وقوعاً، وأمّا القليل من المؤمنين المنتزهين عن الباطل، فهم
في معرض البلاء والغربة التي نصّت عليها الروايات، وأنّه سوف يسقط



الكثير في هذه الغرلة ولا يبقى إلا الأندر وهم كالكبريت الأحمر كما ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي بعثني بالحق بشيراً إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر»^(٣١).

التكليف إزاء المصير المحتوم:

إذا كان تغيير مجرى الأمور إزاء هذه القضية غير ممكن وقوعاً، فما هو موقفنا أمام هذه الفاجعة التي تنتظر البشرية ونحن من ضمنها؟

وللجواب عن ذلك نطرح عدّة احتمالات:

الأول: أن نساهم في تنشيط وتعصيد البلاء القحطي، بحيث نعمل على تقوية

العوامل المساعدة على انتشاره! بذريعتين:

الأولى: (إن لم تكن ذنباً أكلتك الذئاب)، فنحن نعيش في مجتمع سادت فيه

الفوضى الاقتصادية إن صحّ التعبير، فإن لم نقف كموقف الأكثرية فإن السيل سوف يجرفنا والنتيجة هي الهلاك.

والثانية: إن القحط من العلامات القطعية، فلا بد أن يحصل حتى يقترب

ظهور الإمام الحجة عليه السلام، فنحن نفعل كل ما يقترب لنا ظهور الإمام عليه السلام ولو كان بنحو سلبي، كما يتبناه البعض من المنحرفين.

الثاني: أن نقف موقف المتفرّج، بأن لا نحرك ساكناً، نعيش وكأننا على

كوكب آخر غير الكوكب الذي وعدّ بوقوع هذه الفتنة، حتى يجرفنا السيل ونحترق بنار الفتنة!

الثالث: يجب أن نعدّ العدة لاستقبال القحط، بحيث نواجهه مواجهة

واعية، كما فعله نبي الله يوسف عليه السلام.

أمّا الاحتمال الأول فجوابه: إن السبب الكامن وراء ذلك ما هو إلا حب

الدنيا، الذي هو رأس كل خطيئة، ومنهي عنه شرعاً، ومن جبال الشيطان، وشعار أهل الباطل، قال الله تعالى: ﴿رُبَّنَّ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ

وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١٤﴾ (آل عمران: ١٤)، وإن فاعل التزيين هو إبليس (لعنه الله) كما ورد في قوله: ﴿زَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ﴾ (الأنفال: ٤٨)، وظهور الإمام عليه السلام وتعجيله من الصراط المستقيم، ومن نهج الحق القويم، وهذه العلامات هي من حرب الشيطان لجنود الرحمن، فلا يطاع الله من حيث يعصى أبداً، فحقيقة أمر هذا العمل وجوهه الدنيا واتباع الهوى كما تقدم أنفاً، وهي بعيدة عن تعجيل الفرج، وإن كان مصبوغاً بقشر الانتظار والتعجيل، فحالهم حال من يقتل مؤمناً صالحاً بذريعة أن حياته قاسية معه، وأن قلب هذا القاتل يتحرَّق له لما يقاسي من المتاعب، فيقتله ليرسله إلى الجنة لئلا يبقى في مثل هذا الوضع المزري.

وأما ما يتوسَّل به من تبرير هذه البدعة من قولهم (إن لم تكن ذنباً أكلتك الذئاب)، والانخراط في سلك الأكثرية والعموم، فإنه منطوق باطل، حيث إنَّه ينبئ عن جعل الدين في خانة الإهمال، والعمل وفق منطق الغابة المتكالفة، التي تنص على لزوم افتراس المقابل قبل أن يخطر في ذهنه افتراسي، وهذا هو بعينه حبّ الدنيا الذي قدَّمناه، فلذا ورد النهي عن هذا المنطق في كلام الإمام أبي جعفر عليه السلام حيث قال لأبي الربيع الشامي: «ويحك يا أبا الربيع، لا تطلبنَّ الرئاسة، ولا تكن ذنباً، ولا تأكل بنا الناس فيفكر الله...» (٣٢).

وكذلك ما ورد في الذريعة الثانية بأنَّه يحقق علامات الظهور ليتعجَّل، فإن من يتقول بذلك فهو بين أحد أمرين: إمَّا أن يكون من أصحاب الأموال، وإمَّا لا يكون كذلك؟

فإن كان الأول فهو بلا شك يريد أن ينمِّي رأس ماله ويزيده بحيث تصبح له السطوة على الأسواق يتلاعب بها كيف يشاء، ويجمع الأموال من كل طريق استطاع، سلب أو خيانة أو ربا وغير ذلك، وهذا باطل، لأنَّ فيه أكلاً لأموال



الناس بالباطل، وفيه إضرار - وإيذاء على أقل تقدير - بالفقراء من المؤمنين وهو منهي عنه، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، وهذا بلا ريب إشاعة للفتنة وقد جعلت أشد من القتل، قال الله ﷻ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ١٩١).

وإن كان الثاني: أي أنه ليس من أصحاب الأموال، حيث يؤثر اعتقاده بالباطل وترويج المعاصي - من السلب والنهب والخيانة وقطيعة الأرحام، التي مر ذكرها - على انتشار الفقر والقحط وحلول البلاء، إلا أنّها كلّها معاصي وحرام، لا يمكن التقرب بها إلى الله تعالى، ليخلص الناس من الظلم بظهور الإمام ﷺ، فإن هذا من حبائل الشيطان الرجيم أجازنا الله تعالى منها.

وأما الاحتمال الثاني فجوابه: أنه ليس من الصواب في شيء، إذ إننا أحياء نعيش في إطار هذا الواقع بكلا جانبيه الإيجابي والسلبي، فشتنا أم أبيننا نحن نتفاعل مع الخارج، نؤثر فيه من جهة ويؤثر فينا من أخرى، فليس لنا طريق نفرّبه عنه، فكيف نستطيع التغافل عن نار الفتنة التي لا ترحم برّاً ولا فاجراً، ولا مسبباً لها ولا هارباً منها، فإنّ العقل قاض بلزوم دفع الضرر المحتمل فضلاً عن المتيقن.

هذا من جانب، ومن جانب آخر نحن معبدون بشريعة إلهية وليس من شأنها الخمول وترك كل شيء حتى ننجو بأنفسنا، بل هناك أحكام متعددة ملقاة على عاتق المكلفين، فما من واقعة إلا ولها حكم.

وأما الاحتمال الثالث: فهو أصح الاحتمالات وأتقنها من جهتين: عقلية وشرعية:

أمّا من جهة عقلية: فإنّ العقل قاض بلزوم تقدير الأمور بقدرها، بمعنى أنّ العقل بعد أن أيقن بلزوم تحقّق القحط والاضطراب الاقتصادي، وأنّه لا مفرّ منه، يحكم بلزوم البحث عن مخرج من تلك الفتنة التي تهدد العالم، ولو

بنحو الموجبة الجزئية، أي ولو على مستوى بعض أفراد المجتمع أو شخص
الإنسان ذاته، وهذا هو مؤدّى دفع الضرر الذي يحكم به العقل البشري،
وعليه فلا بد لنا من البحث عن مخرج من تلك الأزمة، والاستفادة وبنحو
الدراسة التحقيقية الدقيقة من قصة نبي الله يوسف عليه السلام وكيف تعامل مع
البلاء الحتمي الذي حلّ بمصر وأنجى الناس من سطوة الفقر والفاقة.

وأما الجهة الشرعية: وذلك لأننا مكلفون بشريعة إلهية، فعلينا أن نلتزم
بها ونعمل بما أراد الله تعالى منّا ولا نحيد عنها، فإن ذلك باعث مهم على
نزول البركة والرزق وارتفاع القحط، كما نصّ عليه الكتاب العزيز: ﴿وَأَنْ لَّوِ
اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦)، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى
آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

ولعلّ هذا هو ما يشير إليه الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «... إذا كان
ذلك فتمسكوا بالأمر الأول حتّى يبين لكم الآخر»^(٣٣).

وهناك تكليف آخر ذكرته الروايات وهو الهروب والابتعاد عن محلّ الخطر
أعم من القتل أو الفقر كما سئل أمير المؤمنين عليه السلام: وكيف نصنع في ذلك
الزمان؟ فقال عليه السلام: «الهرب الهرب»^(٣٤).

بل الروايات التي تذكر أسباب القحط هي بحدّ ذاتها تشير إلى تكليف
المؤمن في مثل ذلك الزمان وأن يتعد عمّا يشيع الفقر.

الخلاصة:

إنّ العالم متّجه نحو مصير لا بد منه ولا يمكن الفرار منه، وهو حلول بلاء
عظيم وقحط قاتل على الناس في آخر الزمان، قبل ظهور الإمام الحجة عليه السلام،
وهو إنّما سيحلّ بنا لسوء أفعالنا وقبح سرائرنا، ونحن لا بد لنا - بحسب عدّة
من المحفزات العقلية والشرعية - من مقاومة هذا البلاء وعدم الاستسلام له،
بما يمكننا كأفراد أو جماعات أو مجتمعات أو دول، ولا بد لنا من إيجاد مخرج



من هذه الأزمة، وأهم طريق للتخلص من تلك الفتنة هو التمسك بالشرعية الغراء وعدم الانحراف عنها.

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي بعد ظهور الإمام الحجة عليه السلام:

اتَّضح لنا ممَّا سبق أنَّ المؤمنين سوف يكونون في شدَّة وبلاء منقطع النظير من الجهة الاقتصادية والحالة المادية، إلَّا أنَّ الحال سوف يتغيَّر إن شاء الله تعالى بعد ظهور الإمام الحجة عليه السلام، فإنَّ الخير والسلام سوف يعم العالم بأسره، وسوف ينعم المؤمنون بألطف وبركات لا مثيل لها، وستُكسَّر شوكة الشيطان، ويهزم جنده ﴿وَيُؤَلِّونَ الدُّبْرَ﴾ (القمر: ٤٥).

وهذا الأمر هو وعد إلهي غير قابل للمحو والإثبات ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (الرعد: ٣١)، لأنَّ الله تعالى غنيٌّ مطلق وعدلٌ لا يخيِّف، وقد اختلفت ألسن التعبير عن هذا الوعد المبارك وتعدَّدت في القرآن الكريم: فتارةً نجده بصورة الأخذ من الخواطر وتطبييها، فكأنه تعالى يقول: إنَّ الشدة التي تمرون بها سوف لن تستمر إلى يوم القيامة، بل لها حدٌ وأمدٌ تنتهي إليه، فقال عليه السلام: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٦-٥).

وأخرى بصورة الأمر بالصبر وأنَّ من بعد البلاء والصبر فرجاً يسرُّ به المؤمن، إلَّا أنَّ بعض من ليس له بصيرة يتصوَّر أنَّ ذلك الفرج بعيد جداً حتَّى قد ييأس منه، ولكن الفرج ليس بعيداً عن المؤمنين بل هو قريب، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۖ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (المعارج: ٥-٧)، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢-٣).

وثالثة نجده (جلَّ شأنه) يعد المؤمنين بالنصر بعد أن تعرَّضوا للظلم من

كل جهة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، وقال: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد ﷺ: ٧).
ورابعة وهي الأعم لساناً والأوسع شمولاً، وعده تعالى لهم بأن الأرض سوف تكون لهم وأنهم يرثونها ويتمتعون بنعمها، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).
أسباب تفجّر البركة:

كما قدّمنا الكلام في المبحث الأول: أن هذا العالم هو عالم الأسباب والمسببات، ما من شيء فيه إلا وله سببٌ ظاهر أو خفي، وعليه فكما أن للفقر والقحط أسباباً متنوعة، فلارتفاعه أسباب أخرى متعددة أيضاً، وعند التبع للنصوص الواردة في هذا الشأن وجدناها تذكر مجموعة من الأسباب المختلفة وهي أيضاً على نحوين: داخلية وخارجية، وإليك تفصيل ذلك:
الأسباب الداخلية:

إن أصحاب عصر الظهور هم من المؤمنين قلباً وقالباً، ومن الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان، وهم الذين عبّر عنهم الرسول ﷺ بقوله: «لأعز من الكبريت الأحمر»^(٣٥)، وهم النادرون الذين يقون في الغربال كما ورد في الرواية عن مالك بن زمرة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... وحتى لا يبقى منكم - أو قال: من شيعتي - إلا كالكحل في العين، والملح في الطعام، وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام فنقاه وطيبه، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابه السوس فأخرجه ونقاه وطيبه، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس فأخرجه ونقاه وطيبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً»^(٣٦).



وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «والله لتمحصن والله لتطيرن يميناً وشمالاً حتى لا يبقى منكم إلا كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه وأيده بروح منه»^(٣٧).

وهؤلاء المؤمنون ليس فيهم خيانة ولا سرقة ولا أكل أموال الناس بالباطل ولا يقارفون المعاصي، بل هم ملتزمون بالشرعية عابدون لله تعالى ليس لهم هم إلا الطاعة، نفوسهم أئبىة، أوداء علماء حلما رحماء، هذا وغيره من الصفات يمكنك استفادتها من روايات التمهيص التي ذكرنا بعضها ورواية الكبريت المتقدمة، بل وجميع الروايات التي ذكرت صفات شيعة آل محمد عليهم السلام، إذ إن هؤلاء هم المصدق الأبرز لذلك.

فإذا كان المؤمنون بهذه المرتبة من الإيمان والقرب الإلهي تفجرت السموات والأرض بالبركة وتناثر عليهم لؤلؤها وشربوا من رحيقها المصفى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

فتسود القناعة ويعم سكون الأنفس عن شحها وحرصها على المال، بعد أن تبصر حقيقة الحياة وزوالها وأنها زينة ومتاع، واطمئنانها بضمان رزقها بواسطة صاحب الزمان عليه السلام كما سيوضح لاحقاً، فلذا يُعرض المال عليهم فيأبون أن يأخذوا منه كما استفاد من قول أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «تواصلوا وتباروا وتراحموا، فالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليأتين عليكم وقت لا يجد أحدكم لديناره ودرهمه موضعاً، يعني لا يجد عند ظهور القائم عليه السلام موضعاً يصرفه فيه لاستغناء الناس جميعاً بفضل الله وفضل وليه...»^(٣٨).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»^(٣٩).

الأسباب الخارجية:

١ - وجود الإمام عليه السلام:

لا شك ولا ريب أن البركة تحل أينما حلَّ النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام، والتاريخ مليء بالحوادث التي بُنيت فيها بركة محمد صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، وهذا أمر لا نقاش فيه بالنسبة إلى نفس المحل والمجتمع الخاص الذي يكونون عليهم السلام فيه، وأكثر من ذلك ورد في عدّة من الروايات تعميم الخير والرحمة التي تنزل بواسطتهم على المؤمنين، وهذا ما يعبر عنه بواسطة الفيض، ومن تلك الروايات:

ما ورد عن الحسين بن ثوير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه زيارة للإمام الحسين عليه السلام قال فيها: «... وبكم يواعد الله الزمان الكلب، وبكم فتح الله وبكم يختم [الله]، وبكم يمحو ما يشاء وبكم يثبت، وبكم يفك الذل من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن يطلب بها، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها»^(٤٠).

وما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة التي يرويها موسى بن عبد الله النخعي عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام^(٤١)، وفيها عدّة مقاطع تدلّ على المطلوب نذكر بعضها:

قال عليه السلام: «وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَخُزَانَ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى الْجِلْمِ وَأُصُولَ الْكِرَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ».

وقال عليه السلام: «أَنْتُمْ الصَّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ، وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَالآيَةُ الْمَخْزُونَةُ وَالْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ، وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ، مَنْ أَنْتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ».

وقال عليه السلام: «بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنْفِثُ السُّهُمَ وَيَكْشِفُ الضَّرَّ».



وورد أيضاً في زيارة الإمام الحجة عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَفِينَةَ النَّجَاةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ الْحَيَاةِ»^(٤٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال فيه: ... ما أنزلت السماء من قطرة من ماء منذ حبسه الله تعالى، ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهب الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زيتها»^(٤٤)، لا يبيجها سبع ولا تخافه»^(٤٥).

هذه النصوص وغيرها تؤكد لنا أن الإمام عليه السلام هو مصدر الرحمة والبركة، ونزول الغيث والرزق من السماء والأرض، وهو مطابق لكثير من الروايات التي تشير إلى أن الأرض سوف تظهر كنوزها في زمان الظهور المقدس، وما هذا إلا مصداق لتلك.

وقد ورد في جملة من الروايات أن الإمام عليه السلام عندما يظهر ويباشر مهام الإمامة يهتم برفع المستوى المعيشي للناس وبخاصة المؤمنين منهم، وذلك بطرق متعددة يمكن تناول بعضها من خلال قراءة بعض الروايات، ومن تلك الطرق:

أ - بسط العدل على أرجاء المعمورة:

أهم خطوة تقوم بها حكومة الإمام عليه السلام هي بسط العدل ونشره في أرجاء المعمورة، وهو ما نصّت عليه روايات كثيرة عند الخاصة والعامة، منها:
عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل

كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٤٦).

وعن عبد الرحمن بن سمرة عن رسول الله ﷺ في حديث طويل قال فيه:
«... وتسعة من أولد الحسين، تاسعهم قائم أمّتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً
كما ملئت جوراً وظلماً»^(٤٧).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال بالكوفة على المنبر: «لو لم يبق من الدنيا إلا
يوم، لطوّ الله ذلك اليوم، حتّى يبعث الله رجلاً منّي، يملأها قسطاً وعدلاً
كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٤٨).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يكون من أمّتي المهدي، فإن
طال عمره أو قصر عمره عاش سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين يملأ
الأرض قسطاً وعدلاً، وتخرج الأرض نباتها وتمطر السماء قطرها»^(٤٩).

وعن أبى سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «المهدي منّي أجلى
الجهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً،
يملك سبع سنين»^(٥٠).

فإذا استقام العدل بين الخلق وأخذ كل ذي حقّ حقه، لم ترَ شخصاً يتضوّر
من الجوع وآخر يموت من التخمة، ولا ترى من يحلم بأن يعمل يوماً كاملاً
ويقبض أجور عمله ليأخذ لأهله رغيف خبز، بل في دولة الإمام عليه السلام الكل
يأكل ويلبس ويترفّه ويعمل، بل أكثر من ذلك يفهم من بعض الروايات أنّه
لا يوجد فقير آنذاك، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في الروايات المتقدمة أنّه قال:
«... ليأتين عليكم وقتٌ لا يجد أحدكم لديناره ودرهمه موضعاً»^(٥١).

ب - تقسيم الحقوق الشرعية على المستحقين:

الله تعالى عندما خلق الخلق وعلم أنّ فيهم غنياً وفقيراً، جعل للفقراء حقّاً
في أموال الأغنياء، من خمس أو زكاة، أو هبة أو صلة أو غير ذلك، لئلا يبقى
الفقراء يقاسون فقرهم ولا يقدرّون على شيء، وهذا نوع من العدل الإلهي



بين عباده، فالفقر إنما حلَّ قبل الظهور هو باستئثار البعض بفيء الله تعالى، وعلى حساب عباد الله تعالى، فاتخذوه ﴿دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ (الحشر: ٧)، ولكن هذا لا يحصل بعد الظهور المبارك؛ لأنَّ الإمام يسطر عدله على الجميع، ويكسر شوكة السراق وقرصنة الحقوق الشرعية، بل في بعض الروايات أنه يقطع أيدي البعض ويعلّقها على الكعبة^(٥٢)، وبذلك يقضي الإمام ﷺ على جذور الفساد، فتبقى الموارد الشرعية بلا مزاحم فيقسمها بين المستحقين بالسوية، كما ورد في رواية عن جابر قال: أقبل رجل إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر، فقال: رحمك الله اقبض هذه الخمس مائة درهم فضعها في موضعها، فإنها زكاة مالي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «بل خذها أنت فضعها في جيرانك والأيتام والمساكين، وفي إخوانك من المسلمين، إنما يكون هذا إذا قام قائمنا فإنه يقسم بالسوية ويعدل في خلق الرحمن، البر منهم والفاجر، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، فإنما سُمِّي المهدي لأنه يهدي لأمر خفي، يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان، وتجمع إليه أموال الدنيا كلها ما في بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم الله، فيعطي شيئاً لم يعط أحداً كان قبله»^(٥٣).

ج - إرجاع ما سلب من الناس:

المؤمنون قد سُلبت حقوقهم واضطُهدوا كما تقدّم في الروايات السابقة، فهو الذي يسطر العدل ويرفع الظلم، فإن جاع الحقوق المسلوبة والأقوات، ما هو إلا مصداق لنشر العدل بلا إشكال.

هـ - عطاء منقطع النظير:

لم يسجل التاريخ في أرقام الكرم رقماً أبرز من أهل البيت عليه السلام، ولو أن



حاتماً الطائي كان في زمانهم عليه السلام لمات خجلاً من عطائه عندما يرى عطاء أهل البيت عليهم السلام، فقد شهد الكتاب بصدقة أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم، وبتصدقفه بغذائه مع غداء عياله على اليتيم والمسكين والأسير، وما جاد به الأئمة الهداة عليهم السلام أكثر من أن يحصى، ولكن الإمام الحجة عليه السلام سوف يكون عطاؤه فوق تصور وإدراك الأذهان، بحيث عندما يعطي لشخص مالا لا يجده بحد ولا يعده عدداً أبداً، يعطيه ما استطاع أن يحمل من المال، بحيث لا يفكر مرة أخرى بالفقر والحاجة، وهذا معناه أن الفقير الذي يأتي إلى الإمام عليه السلام لا يرجع إلا وهو غني ملي، وإليك جملة من تلك الروايات:

عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعدنا حدثٌ فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يخرج المهدي في أمتي...»، ثم قال: «يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئاً، ويكون المال كدوساً، قال: يجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، قال فيحشي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل» (٥٤).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون في آخر أمّتي خليفة يحشي المال حشياً لا يعده عدداً» (٥٥).

عن عبد الرحمان ابن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليبعثن الله من عترتي رجلاً أفرق الشايبا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلاً ويفيض المال فيضاً» (٥٦).

٢ - الإكثار من الزراعة:

من أهم الموارد التي تقفز بالاقتصاد الفردي والمجتمعي هي الزراعة، بحيث إنها عندما يكون لها رواج بين أفراد المجتمع سوف تسد حاجاتهم اليومية شيئاً فشيئاً، حتى يصلوا إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من جهة الزراعة، كما فعله النبي يوسف عليه السلام، إذ ورد في رواية سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل فقال له: جعلتُ فداك، أسمع قوماً يقولون: إنَّ الزراعة مكروهة،

فقال له: «ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحلّ ولا أطيب منه، والله ليزرعنّ الزرع وليغرسنّ النخل...»^(٥٧).

٣ - نزول الأمطار:

لا يختلف اثنان في أنّ الأمطار هي منبع الخير والبركة؛ حيث إنّ فيه إحياءً للأرض وإنباتاً للثمرات، كما ورد في عدّة من الآيات، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ١٦٤)، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ (الأنعام: ٩٩).

فإذا ظهر الإمام عليه السلام أنزلت السماء قطرها وأنبتت الأرض شجرها، كما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال فيه: ... ما أنزلت السماء من قطرة من ماء منذ حبسه الله تعالى، ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها»^(٥٨).

وورد عن الإمام المهدي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة أنه قال: «بكم فتح الله وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث...»^(٥٩).

عن سعيد بن جبیر قال: إن السنّة التي يقوم فيها المهدي عليه السلام تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة، ترى آثارها وبركاتها»^(٦٠).

٤ - تخرج الأرض بركاتهما:

وهذه الفقرة الأخيرة تكون بمنزلة نتيجة لكل الأسباب المتقدمة الداخلية والخارجية المؤيدة بالكتاب والسنة، فتكون النتيجة هي: بعد أن تجتمع تلك الأسباب تظهر الأرض بركاتهما وكنوزها، وإذا أظهرت كنوزها انعكست بصورة إيجابية على الوضع الاقتصادي للمؤمنين فيتبوؤون منها حيث يشاءون.

وقد وردت الروايات في بيان حال الأرض زمان الظهور المبارك، منها ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال فيه: ... ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها»^(٦١)، بل في الآيات التي سبقت الإشارة إليها في الأسباب الداخلية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)، وما ورد في السبب الثالث في نزول الأمطار وكيف تظهر الأرض بركتها من كل جهة، حتى عبّر عنها الله تعالى بالحياة لها بعد أن ماتت.

اختصاص النعيم بالمؤمنين:

إلى هنا اتضح لنا مما سبق أن الأزمة الاقتصادية الخانقة سوف تزول من خلال توفر بعض الشرائط والأسباب، وبعدها سوف ينعم الناس بالخير والبركة، إلا أن السؤال الجدير بالذكر هو: هل إن هذا النعيم يشمل الكل - البر والفاجر على حد سواء -، أم هو مختص بالمؤمنين فحسب؟ والجواب عن هذا السؤال من وجهين:

الأول: ما ورد في بداية المبحث الثاني من الآيات^(٦٢)، التي تقدم بيانها مفصلاً، الدالة على الوعد الإلهي بإزالة الظلم عن المؤمنين، ونصرهم واستخلافهم في الأرض، وجعلهم الوريث الشرعي لها، فإن تلك النصوص تقتضي أن يكون النعيم في مرحلة الظهور المبارك هو خاص بالمؤمنين فقط دون غيرهم، وقد لا نبالغ إذا ادّعينا دلالتها على ذلك بصراحة لمن تأملها جيداً.

والثاني: النصوص الخاصة الواردة في هذا المقام الدالة على الاختصاص بالمؤمنين دون غيرهم، الموافقة في دلالتها لتلك الآيات المشار إليها في الوجه الأول، وهي عدة روايات، منها:

ما ورد عن الحسن بن محبوب عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «يكون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على الكافرين»^(٦٣).



وما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام قال: «... ويملك في دولتكم ويشرف في عافيتكم، ويمكّن في أيامكم... وفاز الفائزون بولايتكم... وبموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من ديانا».

وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «... يكون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على المنافقين»^(٦٤).

وما ورد عن أبي الصباح الكناني، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه شيخ وقال: قد عقني ولدي وجفاني إخواني، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أَوَ مَا علمت أن للحق دولة، وللباطل دولة، كلاهما ذليل في دولة صاحبه، فمن أصابته رفاهية الباطل اقتص منه في دولة الحق»^(٦٥).

وقد يقال في مقام الاعتراض على الاختصاص: بأنه لا دليل على أن الناس بصورة عامة سوف يكونون مؤمنين من الدرجة الأولى، بل يفهم من بعض السنة الروايات، أن بعض الكفار يبقون على قيد الحياة في دولة الإمام عليه السلام ويمارسون حياتهم الطبيعية، وهذا يقتضي أن النعيم يشملهم، والذي يدل على ذلك قول الإمام الباقر عليه السلام في رواية جابر: «... إذا قام قائمنا فإنه يقسم بالسوية ويعدل في خلق الرحمن، البر منهم والفاجر»^(٦٦)، وعليه فلا اختصاص.

إلا أنه يقال في جواب ذلك: نعم هذا الكلام وجيه في الجملة، إلا أنه غير تام من حيث وجود الفرق الواضح بين الإنسان المرفّه وله اليد العليا في حكومة الإمام عليه السلام، الذي يحظى بكافة الإمكانيات، وبين الإنسان الذي يقاسي المرارة ولو الغربة النفسية فضلاً عن غيرها، مع أن كلاهما يعيش في ظل حكومة الإمام عليه السلام، إلا أن التفضيل موجود، وهو معنى الاختصاص فلا إشكال.

وأما الرواية فهي أجنبية عما نحن فيه من التعم والحرمات واختصاص النعيم بالمؤمنين دون غيرهم، حيث إنها تتكلم عن عدل الإمام عليه السلام وأنه يشمل



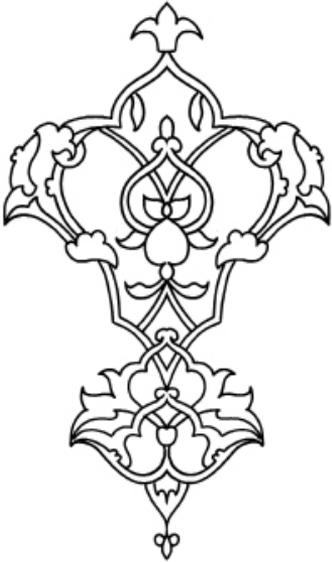
البر والفاجر، ومعنى ذلك هو ما تقدّم بيانه في الأسباب الخارجية في المبحث الثاني، حيث إنّ الإمام عليه السلام يرد على المؤمن ما سلب منه من الأموال، وهذا يعني أنه يأخذ من الظالم وهو (الفاجر) في الرواية ويعطيه للمؤمن الذي هو (البر) فيها، وهذا معناه أن العدل جرى على الجميع، والذي يوضح الجواب بصورة أجلى هو ما ورد في رواية أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال: «... أن للحق دولة، وللباطل دولة، كلاهما ذليل في دولة صاحبه، فمن أصابته رفاهية الباطل اقتص منه في دولة الحق»^(٦٧).

الهوامش

١. تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٩، ح ١٤٦؛ البحار: ج ٥، ص ٢١٦، ح ١.
٢. كمال الدين: ص ٦١١، ح ٢٧؛ الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٩١٢.
٣. الغيبة للنعماني: ص ٢٥٩، ح ٦.
٤. الإمامة والتبصرة: ص ١٢٩، ح ١٣٢.
٥. الإرشاد للمفيد: ج ٢، ص ٣٧٧.
٦. كمال الدين: ص ٥٢٥-٥٢٧، ح ١.
٧. الغيبة للنعماني: ص ٢٥٠، ح ٥.
٨. كتاب التمهيص: ص ٤.
٩. بصائر الدرجات: ص ١٠٤، ح ٤.
١٠. الكافي: ج ١، ص ٣٣٥، ح ١؛ الغيبة للنعماني: ص ١٦٩، ح ١١؛ الغيبة للطوسي: ص ٤٥٥، ح ٤٦٥.
١١. الكافي: ج ٢، ص ٣٧٤، ح ٢؛ علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٦.
١٢. الكافي: ج ٢، ص ٤٤٨، ح ٣.
١٣. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٥٢٥، ح ١.
١٤. الكافي: ج ٢، ص ٣٧٤، ح ٢.
١٥. مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٢٦١؛ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ١، ص ٤٢٩، ح ٢٩٥.
١٦. الغيبة للنعماني: ص ٢٤٩، ح ٤.
١٧. الغيبة للنعماني: ص ١٧٢، ح ٧.
١٨. كنز العمال: ج ٦، ص ٨٩، ح ١٤٩٧٢؛ كشف الخفاء: ج ٢، ص ١٢٦، ح ١٩٩٧.
١٩. الكافي: ج ٨، ص ٣٦-٤٠، ح ٧؛ هذا ما وعد الرحمن: ج ١، ص ٢١٨.
٢٠. وفي بعض الروايات (المصون) كما في ينابيع المودة: ج ٣، ص ٢٠٦؛ وفي بشارة الإسلام: ص ١٠٥.
٢١. مجمع النورين: ص ٣١٠-٣١١؛ هذا ما وعد الرحمن: ج ١، ص ٣٦٨.
٢٢. إلزام الناصب: ج ٢، ص ١٦٢؛ هذا ما وعد الرحمن: ج ١، ص ٣١٥.
٢٣. الكافي: ج ٢، ص ٣٧٤، ح ٢؛ علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٦.
٢٤. أمالي الصدوق: ص ٤٨٢، ح ١٢/٦٥٢.
٢٥. الخصال: ص ٢٣٠، ح ٧٣.
٢٦. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٥٣١، ح ١٨٨٨.
٢٧. الغيبة للنعماني: ص ٢٤٨، ح ٣.
٢٨. علل الشرائع: ج ١، ص ٢٤٣، ح ١.
٢٩. علل الشرائع: ج ١، ص ٢٤٤، ح ٢.
٣٠. الغيبة للنعماني: ص ١٧٤، ح ١٠.
٣١. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٨٧-٢٨٨، ح ٧؛ هذا ما وعد الرحمن: ج ١، ص ٣٩٥.
٣٢. الكافي: ج ٢، ص ٢٩٨، ح ٦.
٣٣. الغيبة للنعماني: ص ١٥٨، ح ٢.
٣٤. الغيبة للنعماني: ص ٢٤٨-٢٤٩، ح ٣.
٣٥. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٨٧-٢٨٨، ح ٧؛ هذا ما وعد الرحمن: ج ١، ص ٣٩٥.
٣٦. الغيبة للنعماني: ب ١٢، ح ١٧، ص ٢١٨.
٣٧. الغيبة للنعماني: ص ٢٦.
٣٨. الغيبة للنعماني: ص ١٥٠، ح ٨.
٣٩. صحيح البخاري: ج ٣، ص ٤٠؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٢٤٠.

الهوامش

٤٠. الكافي: ج ٤، ص ٥٧٥ - ٥٧٦، ح ٢؛ كامل الزيارات: ص ٣٦٢ - ٣٦٥، ح ٦١٨ / ٢.
٤١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٠٩ - ٦١٧، ح ٣٢١٦ / ٢.
٤٢. البحار: ج ٩٩، ص ٢١٥.
٤٣. وفي تحف العقول: ص ١١٥ [والشام].
٤٤. ن.خ (زنيبها).
٤٥. الخصال: ص ٦٢٦.
٤٦. الإمامة والتبصرة: ص ١١٩، ح ١١٤.
٤٧. أمالي الصدوق: ص ٧٨، ح ٣/٤٥.
٤٨. الغيبة للطوسي: ص ٤٦، ح ٣٠.
٤٩. مسند أحمد بن حنبل: ج ٣، ص ٢٧.
٥٠. سنن أبي داود: ج ٢، ص ٣١٠، ح ٤٢٨٥.
٥١. الغيبة للنعماني: ص ١٥٠، ح ٨.
٥٢. الإرشاد: ج ٢، ص ٣٨٣؛ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٣٣٣، ح ١٠٤٤ / ١١٢.
٥٣. علل الشرائع: ج ١، ص ١٦١، ح ٣.
٥٤. شرح أصول الكافي: ج ٦، ص ٢٥٦؛ البحار: ج ٥١، ص ٨٧؛ المهدي: ص ٩٣؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٣، ص ٢١؛ سنن الترمذي: ج ٣، ص ٣٤٣، ح ٢٣٣٣؛ كنز العمال: ج ١٤، ص ٢٧٣، ح ٣٨٧٠١.
٥٥. شرح أصول الكافي: ج ٦، ص ٢٥٦؛ المهدي: ص ٩٣؛ صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٨٥؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٣، ص ٤٨؛ الدر المنثور: ج ٦، ص ٥٦.
٥٦. البحار: ج ٥١، ص ٩٦.
٥٧. الكافي: ج ٥، ص ٢٦٠، ح ٣.
٥٨. الخصال: ص ٦٢٦.
٥٩. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٠٩ - ٦١٧، ح ٣٢١٦ / ٢.
٦٠. الإرشاد: ج ٢، ص ٣٧٣؛ الغيبة للطوسي: ص ٤٤٣، ح ٤٣٥.
٦١. الخصال: ص ٦٢٦.
٦٢. الشرح: ص ٥ - ٦؛ المعارج: ص ٥ - ٧؛ غافر: ص ٥١؛ الأنبياء: ص ١٠٥.
٦٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٩، ح ١٤؛ كمال الدين: ص ٣٧٠، ح ٣؛ الغيبة للنعماني: ص ١٨٠، ح ٢٨.
٦٤. كفاية الأثر: ص ١٥٩.
٦٥. الغيبة للنعماني: ص ٣١٩، ح ٧.
٦٦. علل الشرائع: ج ١، ص ١٦١، ح ٣.
٦٧. الغيبة للنعماني: ص ٣١٩، ح ٧.



المصادر

- ١- القرآن الكريم. المكتبة العلمية الإسلامية.
- ٢- الإمامة والتبصرة من الحيرة، للشيخ علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة.
- ٣- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، للشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، طبع ونشر دار المفيد.
- ٤- إلزام الناصب، للشيخ علي اليزدي الحائري، تحقيق السيد علي عاشور.
- ٥- الأمالي، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، تحقيق وطبع ونشر مؤسسة البعثة في قم.
- ٦- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق ميزا محسن كوجه باغي، طبعة عام ١٤٠٤، مطبعة الأحمدي طهران، نشر مؤسسة الأعلمي - طهران.
- ٧- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، الطبعة الثانية ١٤٠٣، طبع ونشر مؤسسة الوفاء - بيروت.
- ٨- بشارة الإسلام في علامات المهدي عليه السلام، السيد مصطفى ال سيد حيدر الكاظمي، تحقيق شيخ نزار الحسن، مطبعة علمية، من إصدارات هيئة محمد الأمين عليه السلام.
- ٩- تفسير العياشي، النضر بن محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، تحقيق الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، طبع ونشر
- ١٠- تهذيب الأحكام، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق السيد حسن الخراسان، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ ش، مطبعة خورشيد، نشر دار الكتب الإسلامية في طهران إيران.
- ١١- التمهيص، محمد بن همام الإسكافي، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.
- ١١- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة.
- ١٢- الخصال، للشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر جامعة المدرسين في قم.
- ١٣- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، للقاضي نعمان بن منصور المغربي، تحقيق أصف بن علي أصغر فيضي، نشر دار المعارف ١٩٦٣.
- ١٤- الدر المشور، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٣٦٥، مطبعة الفتح في جدة، نشر دار المعرفة.
- ١٥- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤١٠، طبع ونشر دار الفكر، بيروت لبنان.
- ١٦- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، طبع ونشر دار الفكر، بيروت ١٤٠٣.
- ١٧- شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني، المتوفى ١٠٨١.

المصادر

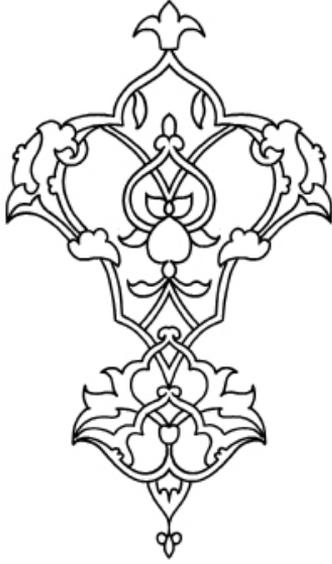
- ١٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، نشر دار الفكر بيروت.
- ١٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، طبع ونشر دار الفكر في بيروت.
- ٢٠- علل الشرائع، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، طبعة عام ١٣٨٦، طبعة المطبعة الحيدرية في النجف، نشر المكتبة الحيدرية.
- ٢١- عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، طبع ونشر مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤.
- ٢٣- الغيبة، للشيخ محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق علي أكبر الغفاري، طبع ونشر مكتبة الصدوق - طهران.
- ٢٤- كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، طبع ونشر مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان.
- ٢٥- الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة ١٣٨٨، مطبعة حيدري، نشر دار الكتب الإسلامية - آخوندي.
- ٢٦- كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، طبعة قم، طبعة جامعة المدرسين ١٤٠٥.
- ٢٧- كتاب الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد
- ناصح، مطبعة بهمن، الطبعة الأولى ١٤١١، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.
- ٢٨- كشف الخفاء ومزيل الالباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨، نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٢٩- كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، تحقيق السيد عبد اللطيف الكوه كمري، مطبعة الخيام ١٤٠١، نشر انتشارات بيدار.
- ٣٠- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق جواد القيومي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى ١٤١٧.
- ٣١- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، طبع ونشر دار صادر - بيروت.
- ٣٢- من لا يحضره الفقيه، للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٤٠٤، نشر جامعة المدرسين.
- ٣٣- معجم أحاديث المهدي ﷺ، للشيخ علي الكوراني، طبعة قم، مطبعة بهمن، الطبعة الأولى ١٤١١.
- ٣٤- ميزان الحكمة، محمد الري شهري، تحقيق دار الحديث، مطبعة دار الحديث، الطبعة الأولى.
- ٣٥- مجمع النورين وملتقى البحرين، الشيخ أبو الحسن المرندي.
- ٣٦- المهدي، السيد صدر الدين الصدر، باهتمام

المصادر

السيد باقر خسرو شاهي، طبع ونشر مؤسسة
بستان كتاب سنة ١٤٢٨، الطبعة الثالثة، قم
المقدسة.

٣٧- هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، سيد
فاروق البياتي، الطبعة الأولى ١٤٢٩، منشورات
الاجتهاد قم المقدسة.

٣٨- ينابيع المودة لذوي القربى، للشيخ سليمان بن
إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق سيد علي
جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ،
نشر دار الأسوة.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

المستقبل وعلاقته بالإمام المهدي عليه السلام

أ.د. عامر عبد زيد الوائلي^(١)

مقدمة:

سوف نحاول في هذا البحث استعراض موضوع بحثنا الموسوم بـ(المستقبل وعلاقته بالإمام المهدي عليه السلام) بوصفه جهداً فكرياً في بناء رؤية استراتيجية للمستقبل من زاوية فكرية عقائدية، وبالتالي نجد أن الأمر يدخل في زاوية تفسير المستقبل من خلال تأمل فكري عقائدي، ونجد أن أطروحة البحث هي تحليل الرؤية المهدوية من زاوية فلسفة التاريخ؛ ولهذا السبب حاولنا الربط بين المستقبل والتأمل في فلسفة التاريخ التي تحاول تقديم رؤية تأملية للمستقبل، وبالتالي تحاول الربط بين الحاضر وعلاقته بالماضي من ناحية، وانفتاحه من ناحية ثانية على المستقبل.

ونجد أن الأمر يدخل في خانة التفسير الديني للتاريخ من خلال تقديم تصور مستقبلي من خلال الربط بالماضي كنصوص شرعية وروايات عن النبي صلى الله عليه وآله، وآل بيته الأطهار عليهم السلام، وكيف حددوا الرؤية الإسلامية للمنقذ والمجدد.

فالتفسير الديني كرؤية ومنهج حاضر ومرتب بالتأمل المعرفي والتاريخي إذ كان العامل الديني حاضراً في الفكر الإنساني القديم من العبادات القديمة القائمة على تقديس الكبار، وإلى تقسيمات التاريخ وعلاقة الحاضر بالماضي



وانفتاحه على المستقبل من خلال رؤية تنظر إلى التاريخ بوصفه عصوراً وأياماً، وهو جهد نجده في الفكر اليوناني تمثل في ما جاء به هزيود (Hesiod) (٨٤٨-٧٧٧ ق.م) في القرن الثامن قبل الميلاد في قصيدته (الأعمال والأيام)^(٢) يقول هزيود: (لأننا الآن نعيش في الأيام المتأخرة زمن الجنس الحديدي، ولن يكف البشر عن العمل قط ولن تفارقهم الهموم بالنهار ولا من قبضة المهلك بالليل، وما أقسى الهجوم الذي سوف تبلوهم به الآلهة)^(٣)، فهذا التأمل بالتاريخ قد أخذ شكلاً دورياً.

وقد جاء بعد هذا، التأويل اليهودي للتاريخ إذ جاء في نبوءة دانيال في تفسير لحلم (نبوخذ نصر) كما ورد في العهد القديم إلى مملكات متتابعة من: (الذهب والفضة والنحاس والحديد والصلصال أو الطين)^(٤).

أمّا في المسيحية كما جاء في سفر الرؤية، فإن قيام القيامة ونهاية الحياة سوف يسبقه نذر على الأرض بالغة الرعب والفظاعة^(٥)؛ فالإنسان جاء من الله، وبنعمته سوف يعود إليه، التاريخ كله يندرج بين هذين القطبين، وكل شيء يجب أن يوصل إلى هذا الهدف الوحيد^(٦).

أمّا الرؤية الإسلامية:

فتعمل على إشاعة روح التفاؤل في النظر إلى المستقبل من خلال التأكيد على فكرة العناية الإلهية في التاريخ، وقد استدلت عليها بعشرات الآيات ومئات الروايات، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

المبحث الأول: المستقبل كما يتجلى في أطروحة فلسفة التاريخ والإستراتيجية^(٧):

الأولى: فلسفة التاريخ (التأويل العقلي للتاريخ):

فلسفة التاريخ (Philosophy of History) هي التأمل الذي يتطرق إلى



سير الأحداث البشرية، أو هو البحث في مسيرة التاريخ البشري، وإن كان هذا التاريخ يسير على وفق خطة معدة سلفاً.

وقد تبلور هذا البحث في القرن الثامن عشر الميلادي، وقطع شوطاً مهماً. فقد رأى المؤرخون أنه يمكن أن يستخلص من مجموع الوقائع التاريخية قانون عام للتطور البشري. وقد اجتهد بوسي (Bossuet) (مؤرخ فلسفة التاريخ وواضعها)، في كتابه الصادر عام (١٦٨٨ م) بعنوان (مقالة في التاريخ العالمي)، ليبين أن تاريخ البشرية بأكمله توجهه يد القدرة الإلهية.

وعلى العكس من ذلك اجتهد فولتير، في كتابه (محاولة في درس العادات) سنة (١٧٥٦ م)، في إثبات أن التاريخ يصدر عن أسباب إنسانية خالصة، إذ قال في تعريف التاريخ (هو البحث عن الحكمة في وقائع التاريخ وأحداثه أو هو دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف دراسة عقلانية ناقدة)^(٨).

وأوضح تلك الفكرة الرئيسة التي أشار مونتسكيو إليها من قبل، والتي تتلخص في أن كل مظاهر النشاط البشري، من (سياسية ودينية وعقلية وفنية)، مرتبط بعضها ببعض، ويؤثر بعضها في بعض.

أمّا فيكو (Vucò)، وهو فيلسوف إيطالي (١٦٦٨-١٧٤٤ م)، فقد قام بتمهيد الطريق إلى ذلك بإدخاله بعض طرق العمل وباقتراح بعض المبادئ العامة، فهو إذن يبرز أكثر كونه أحد مؤسسي علم التاريخ^(٩)، ويعدُّ من أشهر من توسّع في فلسفة التاريخ، في كتابه (مبادئ علم جديد)، إذ يستند على نتائج من فقه اللغة، ليثبت وحدة النمو البشري ووحدة القانون، الذي يسير بمقتضاه هذا النمو عند مختلف الشعوب التي يتحتم عليها أن تمرّ بالأطوار المتعاقبة في تطورها. وهذا التأويل يتضمن أيضاً التأثير والتأثر مثلما (يولد الحاضر من الماضي كذلك يولد المستقبل من الحاضر، في سلسلة من الحلقات المتلاحقة

والمراحل المتصلة والعصور المتعاقبة) وكان فيكو متأثراً بفرنسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦م) في دراسة علم الطبيعة، ويبدو ذلك واضحاً عند حديثه عن أخطاء المؤرخين الخمسة (التي يحذّر المؤرخين دائماً وأبداً من الوقوع فيها، وهي أخطاء شبيهة بالأوهام) التي يتحدث عنها بيكون في (الأورجانون) الجديد: يقول بوجود خمسة من هذه (الأوهام) التي هي مصدر الأخطاء^(١٠). ثم جاء من بعده هرردر (Johan G. Herder) الكاتب الألماني (١٧٤٤-١٨٠٣م)، إذ كان للدين أثره في منهجه فقد كان (يزيد من وعي الفرد بفردانيته واستقلاله عن الجماعة الإنسانية، وقد ظهر ذلك في نظريته إلى التاريخ، فأصبح المنهج التاريخي لديه قائماً على فكرة (فردانية التاريخ)، إذ لا تتساوى في التاريخ لحظتان تماماً)^(١١). فضلاً عن اهتمامات هيردر: (اللاهوتية والفلسفية والتاريخية) كما تجلّت في مؤلفاته: فلسفة أخرى في التاريخ عام (١٧٧٤م) وكتاب آراء في فلسفة الجنس البشري (١٧٨٤-١٧٩١م) الذي يقع في أربعة أجزاء، فحاول أن يرسم خطوطها في كتابه (لوحة تاريخية). وقد كتب عنه جوته: (أنّه لم يجد في كتابته التاريخية قشوراً وأصداف الكائنات البشرية، وأنه ليس فحسب قد استخلص التبر من التراب، بل أنبت من التراب نباتاً حياً)^(١٢).

وقد أكّد هيغل (١٧٧٠-١٨٣١م) على أنّ التاريخ هو في عملية تطور ذاتي (للروح) أو (للفكرة)، وهذه العملية تحكمها قوانين، وفي القرن العشرين، كان لنظريات أرنولد توينبي (١٨٨٩-١٩٧٤م) ولأوزفالد شبنغلر (١٨٨٠-١٩٣٦م) الأثر الكبير في تقدم هذا الموضوع من مواضيع الفلسفة^(١٣).

الثاني: الدراسات الاستراتيجية الغربية:

البحث عن المستقبل يمكن النظر له بوصفه استراتيجية، وهي علم التخطيط بصفة عامة، وهي مصطلح يعنى بالأساس بوضع الخطط المستقبلية، سواء



أكانت تلك الخطط عسكرية تعني الخطة الحربية، أو هي خطة أو رؤية لبناء فكر أو دولة أو سياسة ترسم لأبعاد مستقبلية. على مستوى الأهداف والغايات سواء كانت (سياسية أو عقائدية أو اقتصادية)، وهي رؤية للمستقبل يتم وضعها انطلاقاً من إمكانات الحاضر؛ لكن تأخذ بنظر الاعتبار أيضاً إمكانات المستقبل. مثلما من الممكن أن تكون جزءاً من الماضي تأخذه بالحسبان على مستوى التأصيل والمرجعية إلا أنها تنطلق من رسم رؤية شاملة وجدناها في فلسفة التاريخ، والآن نستعرضها على مستوى الفكر الاستراتيجي المعاصر لعلا نتوصل من خلالها إلى توطيد مفاهيم تمكننا من فهم الخطاب السياسي المستقبلي للفكر المهدوي في الإسلام واستيعابه عامة والفكر الإمامي بخاصة بوصفه جزءاً من التحديات المعاصرة.

وهذا قد أدى بدوره إلى أن يجرّنا إلى ضرب الأمثلة من أجل توضيح فكرتنا. إذ تعكس الإستراتيجية الخطط المحددة مسبقاً لتحقيق هدف معين على المدى البعيد في ضوء الإمكانيات المتاحة أو التي يمكن الحصول عليها. فهي خطط أو طرق توضع لتحقيق هدف معين على المدى البعيد اعتماداً على التخطيطات والإجراءات الأمنية في استعمال المصادر المتوافرة في المدى القصير. وإذا ما بحثنا عن تحديد مفهومي، نجد أن مفهوم الاستراتيجية عموماً: يعد من المصطلحات القديمة المأخوذ من الكلمة الإغريقية (Strato)، وتعني الجيش أو الحشود العسكرية، ومن تلك الكلمة اشتقت اليونانية القديمة مصطلح (Strategos)، وهي تعني فن إدارة الحروب وقيادتها، وهي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن وبأقل جهد مبذول.

وعلى وفق هذا التوصيف فإن مصطلح الاستراتيجية يعني أصول القيادة الذي

لا اعوجاج فيه، فهي تخطيط عالي المستوى، فمن ذلك الاستراتيجية العسكرية أو السياسية التي تضمن للإنسان تحقيق الأهداف من خلال استعماله وسائل معينة، ويمكن جمع تعريف شامل لكتابات قادة القرن التاسع عشر الميلادي من العسكريين من أمثال: (فينتر، هارت، مولنكة، وبوفر) بأنها: (فن توزيع واستعمال المعارك بالوسائل والقوى العسكرية؛ لتحقيق أهداف الحرب التي حددتها السياسة)^(١٤).

أمّا على صعيد قطاع الأعمال فيمكن تعريفها على أنها: (خطة عمل طويلة الأجل ترمي إلى تحقيق هدف المنشأة، في معظم الأحيان يكون الفوز الذي تشمل جميع قطاعات وإدارات المنشأة، واختيار الأسواق المستهدفة وتطوير مزيج من سياسات التسويق المناسبة لكل منها، وتخصيص الموارد اللازمة لتحقيق الأهداف)^(١٥).

ويمكن القول: إنها عبارة عن مجموعة من الأساسيات المتعلقة في مجال معين، والتي يتم على وفقها اختيار القرارات الفعالة تبعاً للتخطيط المحكّمة التي تعتمد في جوهرها على وجود استراتيجية ناجحة من أجل تحقيق الأهداف المنشودة؛ لأنها (عبارة عن مجموعة من الطرق، والأساليب والمناهج المنظمة التي يتم السير وفقاً لها من أجل الوصول لما هو مطلوب في الوقت المحدد، وفي ضوء الإمكانيات والجهود المالية والمادية المتوفرة)^(١٦).

وقد ظهرت دراسات ومراكز بحوث تهتم بوضع الاستراتيجيات المستقبلية للدول، وهذه الدراسات أيضاً ترتبط بالواقع السياسي وما يثيره من تحديات تغير الواقع، وهو يعني بالضرورة تغير أساليب المواجهة وآليات التخطيط، فالتخطيط الاستراتيجي الغربي اليوم عاش التحولات، إذ بعد (انتهاء الحرب الباردة انتهت معها النماذج التي كانوا يفسرون بها الأحداث، وتطلب الأمر من الباحثين إيجاد أنموذج يفسرون من خلاله السياسة العالمية أو النظام العالمي الجديد)^(١٧)، ولهذا ظهرت دراسات استراتيجية لها آليات وأهداف مختلفة.

أولاً: الخطاب الاستراتيجي كما يظهر لدى فوكوياما:

إنَّ الأحداث في هذا العالم لا تتوقف؛ إلا أن الذي يتوقف هو الفكر الأيديولوجي عندما يتصلَّب ويتوقَّف عن التطور^(١٨)، ومن ملامح هذا الفكر أن تجد البشرية الشكل الاجتماعي الذي يشبع حاجاتها الأكثر عمقاً والأكثر أساسية)، لكنه يتنوع بتنوع الثقافة وموجهاتها: (الأخلاقية والعقائدية والمعرفية). وهذا ما تجلَّى له في كتابه التصدع العظيم (The Great Disruption) وأكد على ضرورة وجود جانب من الفطرة البشرية وهو الحاجة إلى إقامة الروابط الاجتماعية مع بعضنا البعض؛ لخلق نسيج اجتماعي بإطار جديد يتناسب مع المتغيرات الحاصلة في العالم ليس في جيراننا فقط، بل في مؤسسات العمل وفي داخل الأسرة^(١٩). في الوقت الذي استشعر فيه الخدر الذي حدث من خلال التحولات الأيديولوجية، وهذا ما تجلَّى في كتابه (كتاب نهاية الإنسان) (عواقب الثورة البيوتكنولوجية بقوله: (إن أخطر ما تهددنا به البيوتكنولوجيا المعاصرة هو احتمال أن تُغيِّر الطبيعة البشرية)^(٢٠).

ففي هذين الكتابين كانت هناك مقارنة استراتيجية قائمة على تفهّم الواقع المعاش والتحويلات العلمية وأثرها في المجتمع والسياسة؛ وقد جعل في كتابه (بناء الدولة) أن للدول وظيفة حماية المجتمع من تلك الأخطار إذ رسم لها أهدافاً استراتيجية تتمثل في أن تقوم الدولة بتقوية المؤسسات القائمة وبناء أخرى جديدة؛ لأن الدولة من أهدافها هو توفير الأمن والخدمات والدفاع والتعلم (ووضع السياسات الصناعية والاجتماعية وإعادة توزيع الثروة، من الجهة المقابلة قوة الدولة قوة قدرتها المؤسساتية والإدارية على تصميم السياسات وسن الأنظمة والقوانين ووضعها موضع التنفيذ)^(٢١).



ثانياً: الخطاب الاستراتيجي كما يظهر صموئيل هنتنغتون:

يمكن أن نجد تحققاً للفكر الاستراتيجي في مؤلفات صموئيل إذ انشغل في تقديم مقاربات استراتيجية في أغلب أبحاثه، ففي سنة (١٩٥٧م)، قدّم مقاربة فكرية عالج بها جدلية تلك العلاقات بين المدنيين والعسكريين ووضعتها في مركز صدارة التحليل السياسي حتى من قبل أن تنتشر ظاهرة الانقلابات العسكرية بشكل كبير في دول العالم الثالث، إذ يخلص إلى تقديم إطار نظرية فيه توصيف لدراسة العلاقة بين المدنيين والعسكريين. وقد ظهر له في المسار نفسه كتابه (النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة (١٩٦٨م)، في هذا الكتاب قدّم مقاربة تتجاوز الجانب العقائدي - وهو الجانب المهيمن في أغلب الدراسات في وقتها - إلا أنه ركّز في استبعاد الخلاف العقائدي على أمر آخر (هو أن هناك مجتمعات تستمتع بنوع من الاستقرار وتتميز بالفوضى السياسية، وغياب الأحزاب واضطراب قواعد اللعبة السياسية). بمعنى أنه ركّز على دور التنمية في إحداث الاستقرار في الدول التي كانت مستعمرة، مثل: المكسيك والبرازيل، ودعا إلى عدم استعجال تطبيق الديمقراطية، وإلى البدء بحزب واحد قوي، وأشاد بتجربة المكسيك إذ سيطر على الحكم حزب واحد (حزب بي أر أي) منذ أكثر من ستين سنة. إلا أنه بعد التحولات العاصفة المطالبة بالديمقراطية كتّب مقاربة أخرى استراتيجية كما ظهرت في كتابه (الموجة الثالثة للديمقراطية (١٩٩١م) وكان لهذا الكتاب تأثير واضح في الدراسات (التالية التي واكبت التحول الديمقراطي بعد الثورات الشعبية في دول أوروبا الشرقية وفشل الشيوعية أمام الرأسمالية)^(٢٢).

إلا أنه في مقاربة أخرى جاء بها كتابه (صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي (١٩٩٦م)^(٢٣). في هذه المقاربة جاءت هذه المرة في فكرة نجدها مهمة؛



لأنها تقارب أهمية التحول في ظل الخصوصية الثقافية التي يشغل عامل الثقافة أهمية كبيرة في تماسك الهوية وهي الفكرة المركزية في هذا الكتاب^(٢٤). وإن الفكر الاستراتيجي المهم به أنه يقارب مفهوماً مركزياً هو البعد الاستراتيجي الذي تعد الهوية الحضارية رأسماً رمزياً مؤثراً في رسم التحول والتحريض عليه.

المبحث الثاني: المستقبل وتجلياته في أطروحة الإمام المهدي عليه السلام:

في هذا المبحث نحاول أن نقارب الأمرين من زاويتين: الأولى: وهي فلسفة التاريخ، والثانية: هي الرؤية الإسلامية.

أولاً: فلسفة التاريخ والإمام المهدي عليه السلام:

للبعد الديني أثره العميق في الثقافة وفي التاريخ، وفي تفسير التاريخ كما تحدثنا في السابق على موقف هردر (Johan G.Herder) إذ منح الدين حضوراً كبيراً في فكره، وكان للدين أثره في منهجه^(٢٥)، فضلاً عن اتهاماته اللاهوتية^(٢٦) والفلسفية والتاريخية، فحاول أن يرسم خطوطها في كتابه (لوحة تاريخية). وهذا الحضور الديني أيضاً كان حاضراً في فلسفة (هيجل) المثالية، فقد أكد على أنّ التاريخ هو في عملية تطور ذاتي (لروح) أو (لفكرة)، وهذه العملية تحكمها قوانين^(٢٧).

إذ هناك عتبة مهمة من الممكن النفاذ منها، وأول سماتها التفسير الديني للتاريخ وهذا ما عرضنا له آنفاً.

والأمر الثاني: هناك مفهوم فلسفة التاريخ الإسلامية وهي التي سبق الحديث عنها من كون النظرة الإسلامية متفائلة من خلال التأكيد على فكرة العناية الإلهية في التاريخ، ومن سماتها:

١ - الشمولية: تمتاز النظرة الإسلامية بالشمولية وتغطية التاريخ البشري

كله، فالقرآن الكريم في حديثه عن الإنسان ورسالته في الحياة يبدأ من قصة خلق آدم عليه السلام التي يوليها أهمية خاصة، فهي تمثل منطلق التاريخ الإنساني ومؤشر بدء حركته في الزمان والمكان. ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٠)

٢ - الواقعية: حينما نتحدث الرؤية القرآنية عن التاريخ: (سننه، مراحلها، غاياته، بداياته، نهاياته)، فهي تتحدث عن صورة للواقع كما هو، لا كما يتراءى لنا، فالواقعية هي السمة البارزة لهذه المدرسة الإسلامية.

٣ - التعالي: الوحي المتعالي هو المصدر الأساسي للنظرية الإسلامية في تفسير التاريخ، وهو يعد المرتكز المعرفي لهذه النظرية. فالتعالي: هو ضمان الواقعية، ومن دونه تحتجب عنا الرؤية الكاملة، وتطغى علينا الرؤية الموضوعية الناقصة الجزئية.

٤ - الموضوعية^(٢٨): إشكالية الموضوعية مسألة منهجية تطرح في كل البحوث؛ وخاصة في مجال العلوم الإنسانية التي يكون فيها الإنسان موضوع العلم. وهنا أيضاً يمتحن الآتي حلاً للإشكالية الموضوعية إذ الالتزام بالوعي والتقييد بالإطار المرجعي للنصوص الدينية.

٥ - الإنسانية: تنحاز المدرسة الإسلامية للإنسان؛ فالإنسان هو محور حركة التاريخ، وحاجاته الروحية المعنوية هي مركز الثقل في هذه الحركة^(٢٩). والحديث عن فلسفة إسلامية في التاريخ له مصاعب لدى الباحثين المعاصرين ممن يرصد أنه ثمة صعوبات يجدها متمثلة في وجود (نقص الباحث بصفته ممثلاً لمرحلة معينة من تطور الفكر الإسلامي). وتعليل هذا النقص بالقول:

أولاً: إن (الفكر الإسلامي بصفته مجموعة من الحقائق والتشريعات كما

يعرفها الله ورسوله وأوليائه عليهم السلام... وهو الفكر الإسلامي الأعلى. والأطروحة العادلة الكاملة للحياة).

وثانياً: إنَّ (الفكر الإسلامي الموجود عند علماء المسلمين والمفكرين الإسلاميين على مر العصور، هو في واقعنا ناقل للمستوى الأول وحاكٍ عنه ومنشق عنه إلى حد كبير، نتيجة للتبليغات والبيانات التي قيلت من قبل المشرّع الإسلامي المقدّس في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة. والمقصود الأساسي هو تربية الأمة على فهم المستوى الأول والامتنال له عن طريق ممارستها ونقلها للمستوى الثاني، بصفته ممثلاً للمستوى الأول، وهي بأجيالها المتعاقبة كقيلة بأن تقوم بذلك تدريجياً. وينبغي الاعتراف بعدم وصوله إلى الكمال. وهنا إشارة إلى أنّ كل باحث ومفكّر، هو بطبيعة تكوينه ابن الفترة التي يعاصرها والزمن الذي يمر فيه. ويتعذر عليه بالمرّة، مهما أوتي من عبقرية وطول باع، أن يسبق الزمن، فيدعي الوصول إلى المستوى الأول للفكر الإسلامي، أو أنه محتوٍ على وعي الأجيال الإسلامية القادمة وثقافتها. تلك الثقافة القائمة على انكشاف ما في سوابقها من الأخطاء، وملء ما فيها من فجوات)^(٣٠).

على الرغم من هذه الصعوبة؛ إلا أننا يمكن أن ننظر إلى موضوع الإمام المهدي عليه السلام من خلال فلسفة التاريخ الإسلامية.

فهي في موقفها من المستقبل تبقى لها خصوصية في تحديد نهاية التاريخ (بنهاية سعيدة للمسيرة البشرية، وهي نهاية حتمية لا بدّ أن يصل إليها الناس بحسب ما تمليه العوامل المؤثرة في حركة التاريخ، يصلون إليها بإرادتهم واختيارهم أيضاً، نهاية التاريخ في النظرية الإسلامية ليست إلغاءً للآخر واستغراقاً في النمط الحضاري الذي ينتمي إليه)^(٣١).



ولكن تبقى التجربة الإسلامية لها سماتها التاريخية والواقعية؛ فإذا كانت العلوم التجريبية معيارها التجربة فإنّ المقارنة هي المعيار في العلوم الإنسانية، ومن هنا يمكن الاستدلال على الفلسفة الإسلامية من خلال موضوعية التفسير فإنّ (موضوعية التفسير تكتسب أفقاً أوسع وعطاءً أرحب وأكثر من خلال انطلاقه من التجربة البشرية، يزداد غنى بما تقدمه تلك التجربة من مواد. من هنا فإنّ السبيل الوحيد للحصول على النظرية الأساسية للإسلام تجاه مواضيع الحياة المختلفة)^(٣٢).

لذا نجد أنّ القرآن الكريم قد قاوم النظرة العفوية أو النظرة الغيبية المجردة لتفسير الأحداث، إذ قاوم تفسير الإنسان للأحداث على أساس الصدفة والاستسلام خارج دائرة الأسباب والمسببات، ولذلك نبّه العقل البشري إلى أنّ الساحة لها سنن وقوانين. ومنها مفهوم الإنسانية فتظهر لنا ثنائية الحرية والسنن التاريخية؛ في ضوء هذه الثنائية (الحرية / السنن التاريخية) إذ أنّ السنن تنقسم إلى قسمين: سُنّة إجبارية: تجري على الكائنات بما فيها الإنسان وذلك كالولادة والحياة والأوصاف الخلقية وكل ما في عالم الغيب مما اختصت به القدرة والمشية الإلهية من الأمور التي لا طاقة للإنسان بها. والسُنّة الاختيارية: وهي القائمة على مستوى إرادة الإنسان وما يمكن أن يناله الإنسان أو يسخره في الحياة باستعمال القدرات المختلفة التي زود بها لغرض تحقيق غاية خلقه وسبب وجوده في استعمار الأرض والاستخلاف فيها؛ فإنّ السنن التاريخية لا تجري من فوق رأس الإنسان؛ بل تجري من تحت يده^(٣٣)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

كما يلاحظ هنا نجد أنّ رؤية فلسفة التاريخ الإسلامية تبدو واضحة المعالم في توصيف المستقبل وتحليله وتوقعه من خلال مجسّات فلسفة التاريخ التأملية

التي تعتمد على فهم الروايات الدينية وتدبرها وإخضاعها إلى التأمل والتفسير من أجل رسم صورة عقلانية.

ثانياً: الرؤية الإسلامية للمستقبل والإمام المهدي عليه السلام:

وجدنا من قبل أن البحث عن المستقبل يمكن النظر له بوصفه استراتيجية وهي علم التخطيط بصفة عامة، مثلما وجدنا رؤية إسلامية في فلسفة التاريخ من الممكن أن تنظر إلى المستقبل من زاوية عقائدية شاملة تعتمد على الجمع بين التعالي والواقعي؛ إذ يقوم على الجمع بين المقومات الشرعية العقائدية والأخبار التي حاولت رسم ملامح لما سوف يحدث في المستقبل، وتأتي التفسيرات والتحليلات في استنتاج طبيعة هذا المستقبل بالاعتماد على تلك التوقعات، لكن هذا التوقع لا يخلو من صعوبات ويمكن أن نعرض إلى الصعوبات فيما يأتي:

١ - قيام الأخبار الناقلة لحوادث المستقبل، على الرمزية في بعض أساليبها ونقاط عرضها، وبخاصة فيما يعود إلى شخص المهدي عليه السلام كقوله في بعض الروايات التالية: «إذا هز رأسه أضاء له ما بين المشرق والمغرب» وأنه «يضع يده على رؤوس الأنعام فيجمع أحلامها» وإن «رايته ليست من قطن ولا كتان وإنما هي ورقة من أوراق الجنة»، وغير ذلك من التعبيرات. ويراد بها حقائق إسلامية واعية لكنها لم تستعمل المداليل الاعتيادية للألفاظ. وإنما استعملت الرمزية^(٣٤).

٢ - تعمد الإجمال في بعض من الروايات والسكوت عن بعض ما سيحدث من الأعمال والأقوال بشكل يبدو بوضوح إرادة المتكلم حذف بعض الحقائق التي لا يجد مصلحة في التصريح بها. كسكوت بعض الروايات عن ذكر تفاصيل خطبة الإمام المهدي عليه السلام في المسجد الحرام أول ظهوره، وسكوت الروايات عن تفاصيل خطبته في مسجد الكوفة عند وروده العراق، وسكوتها

عن كثير من نصائحه وأساليب امتحانه لأصحابه. بل يقتصر على القول: وأنا أعلم بما يقوله لهم. وأمّا ماذا يقول لهم، فهذا مما لا سبيل إليه. ومثله ما ورد في عدد من الروايات عن أصحاب الإمام المهدي عليه السلام: وأنا أعرف أسماءهم وأسماء آبائهم... (٣٥).

٣ - أنه في هذا التاريخ أشد تركيزاً ووضوحاً. فالحفاظ على التسلسل الزمني للعديد من الحوادث، يكاد يكون متعذراً. كما أن كثيراً من مهمات الأعمال التي سيقوم بها بعد الظهور محذوفة بالمرّة. ومن الملاحظ أنه كلما تقدّم الزمن مبتعداً قلّت الحوادث المنقولة، وازدادت الفجوات، فضلاً عن ازدياد الرمزية والإجمال أيضاً (٣٦).

الرؤية المهدوية للمستقبل:

نجد أن ما هو مشترك بين التصورات الاستراتيجية المعاصرة والرؤية المهدوية للمستقبل أن لكل منهما بُعداً فكرياً أيديولوجياً أو عقائدياً، فالفكر الاستراتيجي الغربي كما مرّ بنا هو مصطلح (أي الاستراتيجية) يُعنى بالأساس بوضع الخطط المستقبلية سواء كانت تلك الخطط عسكرية تعني الخطّة الحربية، أو هي خطّة أو رؤية لبناء فكر أو دولة أو سياسة ترسم أبعاداً مستقبلية. على مستوى الأهداف والغايات سواء كانت سياسية أم عقائدية أو اقتصادية وهي رؤية للمستقبل يتم وضعها انطلاقاً من إمكانات الحاضر؛ لكنّها تأخذ بنظر الاعتبار أيضاً إمكانات المستقبل.

وهذا الأمر أيضاً متضمن في الرؤية العقائدية المهدوية؛ فهي رؤية عقائدية واقعية تراعي إمكانات الواقع كما وجدناها في جانبها الفلسفي؛ كونها شمولية وواقعية أي تراعي الواقع وإمكاناته وهي مستقبلية عسكرية وسياسية.

ومثلما مرّ بنا أن الاستراتيجية تكون جزءاً من الماضي تأخذه بالحسبان على



مستوى التأصيل والمرجعية إلا أنّها تنطلق من رسم رؤية شاملة وجدناها في فلسفة التاريخ من الطرق، والأساليب والمناهج المنظّمة التي يتم السير على وفقها، وفي ضوء الإمكانيات والجهود المالية والمادية المتوفرة.

وسوف نجد هذا الأمر يشار إليه كون الفكرة المهدوية وإن كانت ترتفع على الخطاب المادي وتعتمد على خطاب متعالٍ سماوي؛ إلا أنّها تأخذ بالإعداد خلال مرحلة الانتظار مثلما هي رؤية تهدف إلى إحداث تحولٍ شاملٍ مستقبلي كما ترسمه العديد من النصوص والروايات والتفسيرات والدراسات الإسلامية؛ فهي بالنتيجة رؤية عقائدية تقوم على أسس وترسم استراتيجيات التحول في المستقبل؛ كونه سقفاً لأهدافها الموضوعية على مقدمات شرعية. تجاوز الجمود والتصلب في الفكر الأيديولوجي عند الحركات السياسية والمعتمدة على رؤية مادية.

وبالآتي تنشأ البشرية تحقيق تحولات تعيدها إلى حالة من العدالة والإنصاف وتتجاوز ملامح الجاهلية التي ترافق هيمنة التقنية. لكن يبقى هناك حاجة إلى فكر يستجيب إلى الحاجات المادية والروحية، وهذا يتطلب فكراً مجتهداً منفتحاً على الرهانات التي يعيشها الإنسان المعاصر وما يعانيه من مشاكل سياسية وروحية تتطلب فكراً أكثر قدرة على التجديد.

فكثير من الدراسات الإسلامية أكدت على ضرورة وجود مقاربة استراتيجية قائمة على تفهم الواقع المعاش والتحويلات العلمية وأثرها في المجتمع والسياسة. وإنّ الفكر الاستراتيجي المهم به أنّه يقارب مفهوماً مركزياً هو البعد الاستراتيجي الذي تعدّ فيه الهوية الحضارية رأساً رمزياً مؤثراً في رسم التحول والتحرير عليه. وقد جاءت الرؤية المهدوية منفتحة على المستقبل وتشكل مراحل المجتمع العالمي العادل، كما تظهر في بعض الدراسات



الإسلامية المعاصرة التي ترى: (أن الفكرة المهدوية عند كل قائل بها ومؤمن بصدقها، تقوم على أساس كون المهدي هو مصلحة العالم في المستقبل، وهو الذي يقرب الظلم إلى العدل، ويحوّل الظلام إلى نور ويحقق الرفاه والسعادة لكل فرد على وجه الأرض، فمن الحق أن يطمع الفرد إلى التعرف على تصرفات هذا المصلح العظيم في يومه الموعود، وعلى أسلوبه وسياسته وطريقته في التدبير والقيادة)^(٣٧).

ونجد أن توصيف هذا الأمر من الضرورة بمكان كونه يشكّل متناً عقائدياً مشتركاً بين عموم المسلمين الذين يمتلكون تراثاً مهدوياً مشتركاً على الرغم من الاختلافات؛ إلا أنّ الفكرة موجودة في العمق وتمتلك مصداقية عند الطرفين فالرويات متواترة عند الطرفين.

فقد جاءت عند الطرف السني، إذ قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي: (اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتي بالمهدي في صلاته^(٣٨). وأيضاً هناك تكرار لهذا التوصيف للأحداث المستقبلية لدى القاضي الشوكاني في (فتح الرباني)، إذ قال: (الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثاً وثمانية وعشرون أثراً)، ثم قال: (وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى من له فضل اطلاع).

وقال الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين الأبري في كتاب (مناقب الشافعي):

(وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه)^(٣٩).

إلى جانب الروايات الشيعية التي تتحدث عن العصور فإنها ترسم رؤية استراتيجية في تحديد النظام السياسي والاقتصادي والثقافي، في ظل هذه الصورة ذات الطابع العالمي كما جاء بتلك الدراسة (تاريخ الظهور)، فيها ثلاث عصور: (عصر الظهور، وعصر الأولياء الصالحين، وعصر المجتمع المعصوم). وهذه المراحل من توصيف هذا المجتمع تقوم على التأمل في المرويات التي تشكل سردية عقائدية ترسم رؤية عقائدية لما سوف يحدث بتوجيه متعالٍ سماوي تؤكد على تلك السمات التي يتسم بها عصر الظهور.

فهذه الرؤية تقدم توصيفاً سردياً لما سوف يحدث في المستقبل من متن عقائدي كبير يحاول أن يرسم صورته النهائية في هذه الملامح التي يتحقق بها اليوم الموعود في الدنيا، وهو أيضاً ما هو حاضر في قلوب المؤمنين.

هنا نلمس أن هناك مشروعاً عقائدياً يقدم رؤية مستقبلية تستهدف إحداث تغيير على صعيد الفكر كونه مشروعاً حضارياً في مجتمع إيماني عالمي، يهدف إلى تحقيق فكرة التغيير وهي فكرة محرّكة للتاريخ وليست طموحات بحتة، فالتغيير كطموح من البديهيات الإنسانية وبخاصة في الرؤية المهدوية التي تقوم سرديتها في التراث الإسلامي على إحداث مغايرة جذرية في المجتمع والعقيدة بتوجيه غيبي ومشروع بناء أمة صالحة، فالتغيير كسبيل إلى النجاة من الانحراف والظلم والتحرر منه صوب العدالة والمساواة، يقوم بهذا الفعل الإمام والأمة الصالحة التي تؤازر الإمام.

إذ لا يمكن لأي مشروع سياسي أو ثقافي الاستغناء عن الفكر العقائدي

ذي طابع مهدوي. فكل تحول جدي ينبع من فكرة عقائدية مهدوية ورؤية مستقبلية، وهذا ما تدعمه الروايات:

«إنَّ أهلَ الحقِّ لم يزلوا منذ كانوا في شدَّة، أما إنَّ ذلك إلى مدَّة قليلة وعافية طويلة» (٤٠).

وفي الحديث القدسي عن الأوصياء عليهم السلام: «وعزتي وجلالي لأظهرنَّ بهم ديني، ولأعلننَّ بهم كلمتي وأظهرنَّ الأرضَ بأخرهم من أعدائي، ولأمكنه مشارقَ الأرضِ ومغارها، ولأسخرنَّ له الرياح، ولأذللنَّ له السحاب الصعاب، ولأقننَّه، في الأسباب، ولأنصُرَّه بجندي، ولأمدنَّه بملائكتي حتَّى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدني، ثم لأدمننَّ ملكه، ولأداولنَّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة» (٤١).

فهذه الرؤية القائمة على فكر مستقبلي فيها توصيف من خلال الحديث عن (تاريخ ما بعد الظهور): (يعني التعرف على يوم الإصلاح العام على يد القائد المنتظر عليه السلام)، وهو يعني - بكل صراحة - التعرض إلى النتائج النهائية التي تتبناها الفكرة المهدوية ككل، ووصف البشرية المثلى في مستقبله السعيد) (٤٢).

فهذا الفكر القائم على فكرة التغيير بوصفها عبئةً أساسية؛ إلا أنه أيضاً يأخذ بنظر الاعتبار الجانب التاريخي وممكنات الواقع وما يجترحه من رهانات وتحديات تفترض قدرة على الاجتهاد والتجديد إذ يستجيب إلى روح العصر المستقبلي إذ ثمة ارتباط عضوي وثيق بين (يوم العدل الموعود، وبين الأساس العام الذي يقوم عليه الكون وأهدافه الكبرى التي خلق من أجلها. تلك الأهداف التي كانت تطبيقات من مفهوم العدل العام، والتي سار عليها التكوين والتشريع، واضطلع بالسير على طبقه موكب الأنبياء والشهداء والأولياء والمصلحين على مدى التاريخ، وسيظهر بجلاء، أن يوم الظهور ليس



تاريخاً طارئاً أو قدراً مرتجلاً، وإنما هو في واقعه النتيجة الطبيعية الكبرى التي أرادها الخالق الحكيم في تخطيطه العام، والتي شارك في إعدادها الأنبياء وبذلت في سبيلها التضحيات على مدى التاريخ^(٤٣).

يبدو في هذا النص الذي يتأمل بعمق في إمكانات هذه العقيدة التي تجلّت في القرآن والسنة، إذ هناك أهداف وغايات من خلق الكون كما كان يريدتها الخالق العظيم، هذه الغايات تكتمل بوجود اليوم الموعود كعلاقة ضرورية من أجل تحقيق تلك الأهداف الربانية المتمثلة بالعدل والإنصاف وهي غاية جاء بها كل الأنبياء والمصلحين وهي غاية كل الخطاب العقائدي بطابعه الغيبي ورغبته المهدوية في احتمال الغاية الكلية للمشروع الإلهي، وبالآتي فهذه العقيدة ترسم ملامح خطاب نقدي للواقع الموجود وتقدم محاولة جديدة من أجل إيجاد الحلول الضرورية من خلال الأفكار المهدوية التي تهدف إلى إعادة ولادة الإنسان وتجعل منه سيداً لا عبداً، تسيطر عليه الشهوات وأئمة الجور والضلالة والاستبداد. وتظهر هذه الرؤية المهدوية في (طائفة مهمة من الأخبار، وهي الأخبار المثبتة لوجود المهدي ﷺ أساساً، وأنه من ولد فاطمة مع التعرض إلى اسمه وأوصاف جسمه، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. وهي بمجموعها تزيد على التواتر بكثير، وثبت وجود المهدي بالضرورة...)^(٤٤).

لكن التغيير على أساس الخطاب المهدي يقوم على بعدين:

الأول: مواجهة خارجية مع الاستبداد والانحراف العقائدي والأخلاقي والجمود.

والثاني: مواجهة مع الذات من خلال تعميق الإيمان وإعادة فحص الإيمان للذات، وإعادة فحص حراسة الذات ضد كل من يريد اقتحامها بالقيم والمبادئ المنحرفة والأوهام والتهاويل.

فالتحرر في ظل الخطاب المهدي سيولد تحولاً جوهرياً في حياة الناس أفراداً وجماعات، لهذا جاءت الروايات ومنها تلك التي تتحدث عن التحول السياسي: تؤكد الأحاديث على السمة البارزة للنظام السياسي والاجتماعي «لو لم يبق من الدهر، إلا يوم واحد...» وعن رسول الله ﷺ: «فإذا خرج أشرفت الأرض بنور ربها، ووضع الميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد»^(٤٥).

وعن الإمام علي عليه السلام: «لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة من العراق إلى الشام لا تضع قدمها؛ إلا على النبات وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه»^(٤٦).

أمّا على الصعيد الاقتصادي: من (الأخبار المتطفلة لبيان المصالح وبعض النتائج الكبرى التي تترتب على ظهور المهدي عليه السلام بنفسه وعنوانه. وأوضح مثال على ذلك: ما ورد في هذه المصادر عن النبي ﷺ. في مضمونه: تتنعم الأمة في عهده نعمة لم تتنعم مثلها قط، يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء)^(٤٧).

ومن بين هذه الروايات: يخرج فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يأتيه الرجل والمال كدوس، فيقول يا مهدي أعطني، فيقول: خذ^(٤٨) و«إن في أممي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً فيجيء إليه رجل فيقول: يا مهدي أعطني، قال: فيحشى له في ثوبه ما استطاع أن يجمله»^(٤٩)، وجاء أيضاً «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاته فلا يجد أحداً يقبلها منه، حتى تعود أرض العرب مروجها وأنهاراً»^(٥٠).

الخاتمة:

إنّ الخطاب المستقبلي كما يظهر في الرؤية المهدوية بوصفه خطاباً عقائدياً يحاول التغيير ويصارع ضد الفقر والموت والعلم بكل هيمنته المادية، عبر طرح تغيير بديل للواقع ويعمل على تجاوزه وإعادة التفكير في كل المباني السائدة.



الهوامش

١. أستاذ الفلسفة الوسيطة في جامعة الكوفة قسم الفلسفة.
٢. انظر: أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ: ص ١٩٣-١٩٦.
٣. هزيبود، الإعمال والأيام، نقلاً عن ارنولد توينبي، الفكر التاريخي عند اليونان، ترجمة، لمعي المطبعي، مكتبة الانجلو - مصرية، القاهرة ١٩٦٦م، ص ١٦١.
٤. نفس المصدر: ص ١٩٤.
٥. بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية: ج ١، ص ٢٤٢.
٦. هنري فريد صعب، قراءة في كتاب مدينة الله، موقع النهار، الإلكتروني.
٧. الدراسات الفلسفية في فلسفة التاريخ والتأمل في التحولات التاريخية والربط بين (الماضي والحاضر والمستقبل) ما يعرف بـ(فلسفة التاريخ الغربية) ومثلها الدراسات الاستراتيجية التي تتأمل في المستقبل.
٨. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، الإسكندرية، ١٩٧٥م، ص ١٤٣-١٥٦.
٩. هاشم مجيى الملاح، الفصل في فلسفة التاريخ: منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٥م، ص ٣١٨.
١٠. المصدر السابق: ص ٣١٩؛ وانظر: كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة، محمد بكير خليل: مصر ١٩٦١م، ص ١٥٦.
١١. المصدر السابق: ص ٣٤٩؛ وانظر: محمود صبحي، في فلسفة التاريخ: ص ٣٤٩.
١٢. هاري المر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية: ج ١، ترجمة، محمد عبد الرحمن، مصر ١٩٨٧م، ص ٢٦٦.
١٣. كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ناشرون: ط ١، بيروت ٢٠٠٠م، ص ٤١٢.
١٤. حسين يونس، ماهي الاستراتيجية. ١٥. حسين يونس، مصدر سابق.
١٦. مفهوم الاستراتيجية وأهدافها.
١٧. أحمد، سيد أبو ضيف، الهيمنة الأمريكية: نموذج القطب الواحد وسيناريوهات النظام العالمي الجديد، مجلة عالم الفكر، الكويت، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، عدد ٣، مجلد ٣١ يناير-مارس ٢٠٠٣م، ص ٧.
١٨. موصللي، أحمد، حقيقة الصراع، مؤسسة عالم ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٣م، ص ١٠٧.
١٩. المصدر نفسه: ص ٥-٦.
٢٠. فوكوياما فرنسيس، نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية: ترجمة أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣١.
٢١. فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة: ترجمة مجاب الإمام، العبيكان، السعودية، ط أولى، ٢٠٠٧م، ص ١١.
٢٢. ينظر: القرني، بهجت، صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية: ص ١٧٦.
٢٣. المصدر السابق.
٢٤. ينظر: هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي: ص ٧١.
٢٥. المصدر السابق: ص ٣٤٩؛ وانظر: محمود

الهوامش

- صباحي، في فلسفة التاريخ: ص ٣٤٩. ٣٨. عون المعبود، شرح سنن أبي داود: ج ١١، ٣٦١ - ٣٦٢.
٢٦. هاري المر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية: ج ١، ترجمة، محمد عبد الرحمن، مصر ١٩٨٧م، ص ٢٦٦.
٢٧. كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي: ناشرون ط ١، بيروت ٢٠٠٠م، ص ٤١٢.
٢٨. الموضوعية: هي أن تصدر أحكامك حول الواقع منزهة عن الرغبة والهوى، وبالتالي الموضوعية هي صفة للأحكام وليس صفة للواقع، لأن الواقع موضوع مستقل عن الذات.
٢٩. الأسعد بن علي قيادرة، نظرية المهديوية في فلسفة التاريخ: (دون مكان وتاريخ وطبعة) ص ٧١ - ٧٣.
٣٠. تاريخ ما بعد الظهور، محمد محمد صادق الصدر: ص ١٦.
٣١. الأسعد بن علي قيادرة، نظرية المهديوية في فلسفة التاريخ: ص ١٠٣.
٣٢. من مقدمة المحقق لكتاب السيد محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن: دار التعارف للمطبوعات، إعداد، الشيخ محمد جعفر شمس الدين، بيروت ١٩٨٩م، ص ١٥.
٣٣. محمد باقر الصدر، التفسير الموضوعي للتاريخ: ص ٨٤.
٣٤. محمد محمد صادق الصدر: ص ٢١.
٣٥. محمد محمد صادق الصدر: ص ٢١.
٣٦. محمد محمد صادق الصدر: ص ٢١.
٣٧. محمد محمد الصدر، تاريخ الظهور: ص ٥.
٣٩. انظر: الموسوعة العقدية: الفرع الخامس: في نقل كلام أهل العلم في إثبات حقيقة المهدي. ٤٠. المجلسي، بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٢١٣.
٤١. المجلسي، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣١٢.
٤٢. محمد محمد صادق الصدر، تاريخ الظهور: ص ٥.
٤٣. محمد محمد صادق الصدر، تاريخ الظهور: ص ٥.
٤٤. محمد محمد صادق الصدر، تاريخ الظهور: ص ١٤.
٤٥. المجلسي، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٢٢.
٤٦. المجلسي، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣١٦.
٤٧. محمد محمد صادق الصدر، تاريخ الظهور: ص ١٤.
٤٨. المصدر نفسه: ج ٥٢، ص ٣٢٢.
٤٩. مهدي الفقيه الإيمان، الإمام المهدي ﷺ عند أهل السنة: ص ١٤٤.
٥٠. المصدر نفسه: ص ٨٣.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الحركات المهدوية في التاريخ الإسلامي عرضٌ وتحليلٌ

الحركات المهدوية من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري^(١)
(١٠٠٩هـ/١٠٠٩م) - (٦٢٢هـ/٦٢٢م)

الشيخ أسامة العتاي

يُعد موضوع الحركات المهدوية من المواضيع المطروحة في الساحة الإسلامية قديماً وحديثاً، وتختلف أصولها الفكرية والنظرية حسب التوجهات الدينية والسياسية والاجتماعية، كما أنّها تبنت نظريات واتجاهات فكرية اختلفت عن الرؤية العامة للفكر الإسلامي، ولها جذور تمتد من بداية القرن الأول الهجري إلى الوقت المعاصر، حيث تختلف بين فترة وفترة بشخصها، وأفكارها، وطبيعتها أجوائها، وغاياتها، وأسماؤها، وقد تكلمت كتب الملل والنحل حول هذه الحركات والجماعات بشكل مفصّل^(٢).

إضافة لذلك أنّ المشاكل السياسية والتشدد المفرط من قبل خلفاء بني أمية وبني العباس في التعامل مع أئمة الشيعة عليهم السلام جعلهم يتبعون منهج التقية آنذاك، ممّا أسفر عن حدوث شكوك لدى بعض أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام حول الإمام اللاحق، وبالتالي اختلف مسار البعض لدرجة ظهور هذه الفرق والجماعات^(٣)، وقد تفاقمت هذه المشكلة إلى حدّ كبير بعد شهادة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام مع عدم علم عامة الناس بولادة نجله المهدي عليه السلام، فإنّهم لم يكونوا على علم بمكانه، وأنّ غيبته زادت من حيرة الناس، فلم يعد إمام الشيعة ظاهراً بين مواليه كما كان الأمر معهوداً في تاريخ الأئمة السابقين عليهم السلام^(٤).





لذلك تجد بعد - بل قبله - غياب الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام أطلق العديد من المدّعين على أنفسهم لقب (المهدي) وبين فترة وأخرى يظهر شخصٌ يوظف هذا اللقب لصالح حركته أو جماعته (المهدوية) فيجتمع الناس حوله، ويبدأ بنشر أفكاره ومعتقداته، وجرى هذا الأمر على طول مراحل التاريخ الإسلامي^(٥).

كما زاد ظهورها في غرب البلاد الإسلامية، حينما أسسوا حكوماتٍ على أساس هذه العقيدة^(٦). كذلك في شرق البلاد حينما تحوّلت إلى بؤرة أزماتٍ قام بها الخلفاء العباسيون بقمعها فور ظهورها، وأنّ تأسيس الحكومة العباسية مدينٌ لفكرة المنتقد الموعود حيث أيّدوها وخصّصوها بمهديهم أيضاً، فوضّعت الأحاديث للتبشير به، وهو محمد بن عبد الله بن المنصور، لما لهذا الاسم من مطابقة مع الأحاديث النبوية التي ادّعوا ورودها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ليكون مقابل المهديين الآخرين. أمّا في القرون الماضية - لا سيما في القرن التاسع عشر الميلادي - فقد شهدت هذه الفكرة إقبالاً واسعاً، فوظّفت بشكل سياسي كبير، ونجح بعضهم بنشرها وتطويرها في المجتمع. حتّى تزايدت في قرن بعد قرن، فشهدت الأمة الإسلامية شداً وجذباً لها على المستويات كافة، مع توظيفها دينياً وسياسياً في المجتمعات المضطربة.

ويأتي هذا البحث ضمن سياق العرض التاريخي لظاهرة الحركات المهدوية التي يشهدها المجتمع المسلم، باعتبار أنّ المعرفة التاريخية في الدراسات التحليلية لها أهمية كبيرة، بوصفها (علماً مُساعداً للتشريع الإسلامي والمعرفة الدينية)^(٧). وقد احتلت (موقعاً متميزاً في الثقافة العربية والإسلامية، سواء لدى السياسي أو الأديب أو الفقيه أو الفيلسوف أو الإنسان العادي)^(٨). وأنّ الجُهد التاريخي، قد أنتج منهجاً نقدياً تحليلياً في المجال الفكري والمعرفي، إضافة لذلك بيان أن مثل هذه الحركات ليست وليدة العصر، أو وليدة



الظروف البيئية والسياسية والثقافية والفكرية، أو أنها من الإفرازات السلبية لغيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، أو كونها فكرة خلقتها جهة من أجل بيان أحقيتها على جميع الجهات، بل أن موضوعها بارزٌ وظاهرٌ في كل زمانٍ من أزمنة التاريخ الإسلامي، (القديم والحديث والمعاصر)، وتشمل:

١ - كل من تبني فكرة المهديوية لنفسه.

٢ - كل من تبني فكرة المهديوية لغيره: وهو على قسمين:

أ - من تبناها قبل موت صاحبها.

ب - من تبناها بعد موت صاحبها.

٣ - كل من تبني فكرة المهديوية بصفتهما الثانوية: ك(ابن المهدي، وصي المهدي، باب المهدي، نائب المهدي، سفير المهدي).

٤ - كل من تبني فكرة المهديوية بصفتهما الفرعية الخاصة بعلامات الظهور: وتشمل (اليمني، السفيني، الحسني) وغيرها من العلامات.

وهذا ما سوف يتناوله الباحث في محورين:

المحور الأول: الحركات المهديوية قبل عهد الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام:

أولاً: مهديوية القرن الأول الهجري، وأهمها:

١ - مهديوية الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله (١١ هـ / ٦٣٢ م):

حيث اعتُبر أول مهدي في الإسلام بمعنى المهديوية التي نحن في صدددها، فقد رفض عمر بن الخطاب التسليم بموت الرسول صلى الله عليه وآله، وادّعى أنه حيٌّ لم يمت^(٩)، وسوف يعود إلى الحياة^(١٠)، وأن من لم يقل بذلك يقتله بسيفه^(١١).

٢ - السبائية^(١٢) ومهديوية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (٤٠ هـ / ٦٦٠ م):

وهي أول فرقة من الغلاة، قالت بالوقف^(١٣) وادّعت أن الإمام هو الله عز وجل -

تعالى عن ذلك -، وأنه يُحيي الموتى، وقد غاب بعد موته، وهو القائم الذي يخرج في آخر الزمان، ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً^(١٤).

٣ - الكيسانية ومهدوية محمد بن الحنفية (٨١هـ/ ٧٠٠م):

حيث قالت بإمامته، وغيبته، وظهوره في آخر الزمان^(١٥)، وهو المهدي الذي جاءت به الروايات، ووصي أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن أخاه الحسين عليه السلام قد خرج بإذنه إلى كربلاء^(١٦).

أمّا القول بإمامة نفسه ومهدويتها فهو موضع خلافٍ عند المؤرّخين^(١٧)، كما لم يكن موضع اتّفاقهم في أنّ المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٧هـ/ ٦٨٦م) هو من ألصق لفظ المهدي به على أن يكون وزيره^(١٨). وانقسم الناس حوله إلى خمس فرق رئيسية:

١ - فرقة زعمت أنّه وصي أبيه، وهو مهديّ آخر الزمان، ولا يحق لأحد أن يشهر سيفه إلا بإذنه.

٢ - وفرقة زعمت أن أباه سمّاه المهدي، ولا يجوز أن يكون مهديان في الأرض، فقد غاب وسيرجع ويملك الأرض.

٣ - وفرقة زعمت أنّه لم يمت وهو مقيم بجبل رضوى بين مكة والمدينة.

٤ - وفرقة قالت إنّّه مات والإمامة لابنه عبد الله، وهو المهدي^(١٩).

٥ - وفرقة قالت بمهدوية ابنه الأكبر (٩٩هـ/ ٧١٧م) الذي سيرجع إلى الحياة ويقوم بأمر الناس ويملك الأرض^(٢٠).

٤ - مهدوية سليمان بن عبد الملك (٩٩هـ/ ٧١٧م):

وهو الخليفة الأموي الذي تولّى الحكم بعد أخيه الوليد بن عبد الملك (٩٦هـ/ ٧١٤م)، قال عنه الناس إنّّه مفتاح الخير^(٢١)، وحسن السياسة^(٢٢)، وكان خطيباً جميلاً صاحب سلامة ودعه، سُمّي المهدي، وقيلت عنه الأشعار^(٢٣)، وأول من وصفه بالمهدي الشاعر الفرزدق (١١٤هـ/ ٧٣٢م)^(٢٤)، وقيل: إنّّه لُقّب بالمهدي لما أحدث من قطع ما كان على المنبر من لعن علي بن أبي طالب عليه السلام وعهده إلى عمر بن عبد العزيز في ذلك^(٢٥)، إلا أن نسبة المهدوية له غير تامّة، فلا علاقة له بها، وأن اللقب بمعنى المهدي أي: المعنى اللغوي للمهدي^(٢٦).

ثانياً: مهدوية القرن الثاني الهجري، وأهمها:

١ - مهدوية عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ/ ٧١٩م):

حيث روي أن عمر بن الخطاب وهو جدّه لأُمّه قال فيه: (يكون رجلٌ من ولدي بوجهه شين، يملؤ الأرض عدلاً)^(٢٧)، يُعرف بأشجّ بني أمية^(٢٨)، (وأن الدنيا لا تنقضي حتّى يلي رجل من آل عمر يملأ الأرض عدلاً)^(٢٩)، وإن كان مهديّ فهو بن عبد العزيز، وإلا فلا مهدي إلا عيسى بن مريم^(٣٠)، وقد وقع موضع اختلاف بين المؤرخين؛ لأنّه لم يستكمل العدل كلّهُ^(٣١)، ولم يدعِ آية دعوة مهدوية، كما لم تقم عليه حركة تدعو له في حياته أو بعد مماته، إنما كان ذلك الأمر وجهاً من وجوه الصّراع بين بني أمية وبني هاشم في حظّ من يكون (مهدي الإصلاح) الذي جاء ذكره في الروايات^(٣٢).

٢ - مهدوية موسى بن طلحة (١٠٣هـ/ ٧٢١م):

حيث روي أنّه كان شيخاً طويل السُّكوت، قليل الكلام، طويل الحُزن والكآبة، يُحبّ الاعتزال، يخاف دوماً من الوقوع في الفتنة^(٣٣)، كان الناس يرونه المهدي^(٣٤)، إلا أنّه لم يُصرّح أو ينسب إلى نفسه ذلك، ولم تنشأ عنه فرقة أو حركة تدعو إلى مهدويته بل تلاشت بموته^(٣٥)، إلا أن المُستشرقين تلقّفوها وحاولوا نشرها وإضافة شيء إليها^(٣٦)، ولعلّ تسمية الناس له بالمهدي لما كان يرون عليه من فضلٍ ومنزلة بينهم^(٣٧).

٣ - مهدوية الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١١٤هـ/ ٧٣٢م):

فقد ذهبت فرقة إلى القول بمهدويته، لما ورد عن النبي ﷺ من قوله لجابر الأنصاري: «إنك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي، وشأئله شأئلي، يقر العلم بقرّاً»، فلما لقاه قال له: جدك يقرئك السلام^(٣٨)، وكانت هذه العبارة سبباً في الاعتقاد بمهدويته عند البعض^(٣٩)، وأنه سوف يرجع وجبرائيل وميكائيل يُبايعانه بين الركن والمقام^(٤٠)، إلا أن المؤرّخين أجمعوا بأنّه لم يدعِ شيئاً من ذلك، وكذب كل من قال بها^(٤١).

٤ - مهدوية المغيرة بن سعيد (١٢٠ هـ / ٧٣٧ م):

دعا إلى القول بإمامة مُحَمَّد ذي النفس الزكية (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) ومَهديته، ثم دعاها لنفسه^(٤٢)، وكان يعتقد أن الإمامة بعده هي لمحمد بن علي الباقر عليه السلام، وادّعى النبوة وغلا في الإمام علي عليه السلام، وقال بالتشبيه^(٤٣)، وقيل: هو من سمى الشيعة بالرافضة، لأنهم رفضوا القول بمقالته^(٤٤)، وبعد مقتله اختلف أصحابه، منهم من قال: بانتظاره ورجعته، وهؤلاء هم المغيرية، ومنهم من قال: بانتظار النفس الزكية كما كان يقول هو بانتظاره^(٤٥)، وقد ذمّه الإمام الصادق عليه السلام وتبرأ منه علي رؤوس الأشهاد^(٤٦).

٥ - مهدوية أبي منصور العجلي (١٢١ هـ / ٧٣٨ م)^(٤٧):

مَن ادّعى النبوة لنفسه، وأنَّ الله تعالى عرج إليه ومسح على رأسه^(٤٨)، وأن الأئمة علي بن أبي طالب، والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام أنبياءُ مُرسلون^(٤٩)، ثم تكون الرسالة في ستة من ولده آخرهم المهدي^(٥٠)، وقد طلبه والي العراق فقتله وصلبه^(٥١)، إلا أن العجلي لم يدع المهدوية لنفسه، بل ادّعاها لغيره، وهي لابنه السادس من صُلبه، إلا أنها انتهت بمقتل صاحبها ولم يظهر لها شأنٌ بعده^(٥٢).

٦ - مهدوية زيد بن علي عليه السلام (١٢٢ هـ / ٧٣٩ م):

حيث قالت جماعة من الشيعة بإمامته، ولم يكن يُريدها معرفته باستحقاقها لأخيه الباقر عليه السلام^(٥٣)، وذهبت فرقة أخرى إلى القول بمهدويته، و(أن الأئمة أربعة: ثلاثة مضوا والرابع هو القائم، وهو من ألقاب المهدي)^(٥٤)، فهو قائم هذه الأمة^(٥٥)، وقد تسرّب هذا القول في الشعر والأدب أيضاً^(٥٦). لكن هناك فرقاً بين زيد ومهدويته من جهة، وبين عقيدة فرقة الزيدية التي نسبت إليه من جهة أخرى^(٥٧)، فإنها لا تؤمن بالمهدي المنتظر، بل الإمام عندهم كلُّ فاطميٍّ خرج بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٥٨). وأمّا اعتناق



زيد عقيدة المعتزلة أو أنه ادّعى المهدوية لنفسه، فهو ممّا وقع الخلاف فيه عند المؤرّخين^(٥٩)؛ لضعف رواية هذه الأخبار ومجهولية بعضهم^(٦٠)، بينما وردت روايات في مدحه والثناء عليه من قبل الإمام الصادق عليه السلام يستدل البعض بها على سلامة فكره وعقيدته^(٦١).

٧ - مهديّة الحارث بن سريج (١٢٨ هـ / ٧٤٥ م):

عُرف بثأره ضد الأمويين ومنازعتهم في سلطانهم أو آخر دولتهم، تحالف مع الأتراك وبعض الشخصيات ضدهم، وعُرف بصاحب الرايات السود التي جاء ذكرها في الروايات، وأن رايته حق لا تُرد، وجيشه لا يُهزم، حتّى يزيل ملك بني أمية^(٦٢). ويلاحظ من ذلك: أن الفكرة المهدوية لم تشهد تصعيداً وتفعيلاً عنده إنما اقتصر على بعض الملامح الفرعية، وهي الاعتماد على العلامات، مثل الرايات السود، أو صاحب الرايات، وقد عُرف الحارث بذلك تاريخياً^(٦٣).

٨ - مهديّة عبد الله بن معاوية الطالب (١٣١ هـ / ٧٤٨ م):

عرف بنهضته ضد الأمويين، ودعا الناس إلى نفسه واللحوق بحركته^(٦٤)، اختلف فيه بعد موته:

فرقة قالت: إنّه حيّ لم يمُت وهو الوصي وإليه يرجع الأمر وأنه مقيم في جبل أصبهان لا يموت أبداً^(٦٥).

وفرقة قالت: هو المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وأنه يملك الأرض ويملاها قسطاً وعدلاً^(٦٦).

وفرقة آمنت بفكرة التناسخ واعتقدت أن روح الله تعالى كانت في آدم ثم تناسخت حتّى وصلت فيه^(٦٧). وقد يُلاحظ على هذه الدعوى أن القائلين بها

من الغلاة، وأنها انتهت بنهايتهم ولم يظهر لها ذكر^(٦٨).



٩ - مهدوية أبي مسلم الخراساني (١٣٧هـ / ٧٥٤م):

عُرف أيضاً بنهضته ضد الأمويين وإزالة حكمهم سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م)^(٦٩)، وكان فصيحاً بالعربية والفارسية، مات وليس له دارٌ ولا عقارٌ ولا عبدٌ ولا أمةٌ ولا دينارٌ^(٧٠)، ولما قُتِل اضطربت خراسان وتفرّق أتباعه: منهم مَنْ قال بإمامته وأنه مات^(٧١).

ومنهم مَنْ قال: لم يمت ولم يقتل حتى يظهر العدل ويقيم الدين^(٧٢).

ومنهم مَنْ اعتبره صاحب الرايات السود التي تأتي من خراسان، والتي يجب اتباعها^(٧٣).

وكل هذه الدعاوى نُسبت إلى سيرته بعد وفاته، ولم يدّع شيئاً من ذلك، بل كان قائداً عسكرياً كبيراً في ميدان الحرب^(٧٤).

١٠ - مهدوية إسماعيل بن جعفر بن محمد (١٤٣هـ / ٧٦٠م):

آمنت الفرقة الإسماعيلية المنتسبة له بأنه الإمام بعد أبيه الصادق عليه السلام، لكن بعد وفاته انصرف البعض عن القول بها^(٧٥)، رغم أن أباه كشف عن جنازته قبل دفنها لمرات عديدة ليربهم حقيقة أمره، إلا أن هناك من أنكر موته وقال: أن أباه قد غيبه عن الأنظار^(٧٦) كما قالت به المباركية^(٧٧) التي تؤمن بمهدويته، وأنه سوف يرجع ويملك الأرض، ويُحقّق العدل، وهو قائم آل محمد^(٧٨)، ومنهم من وقف عليه وقال برجعته^(٧٩). ويبدو من ذلك أن القول بمهدويته ثابت عند فرقة صغيرة فقط لم يكتب لها الدوام، رغم أنه لم يدّع ولم يحدث نفسه بذلك^(٨٠).

١١ - مهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن ذي النفس الزكية (١٤٥هـ / ٧٦٢م)^(٨١):

كان يُعرف بزهده ونسكه^(٨٢)، دعا إلى نفسه وبايعه رجال من بني هاشم، ومن آل أبي طالب، وآل العباس، وآل الزبير، وآل عمر بن الخطاب^(٨٣)، خرج معه كثيرٌ من الفقهاء والعلماء بما فيهم الزيدية^(٨٤)، حتى أفتوا بوجوب



ذلك^(٨٥)، وبايعه أبو جعفر المنصور أيضاً^(٨٦). أمّا مهدويته فقد مهّد لها والده، حيث غيّب عن الناس منذ طفولته، ويقول لهم: لم يأن الوقت الذي يظهر فيه محمد بعد^(٨٧)، حتّى بويع في الأبواء على أنّه (المهدي المنتظر) ويأملون فيه الانتقام من الأمويين بعد عهود من القهر والنكبات^(٨٨)، حاول المنصور أن يقف حائلاً في انتشار (مهدوية ذي النفس الزكية) إلا أنّه لم ينجح، حتّى شاعت وانتشرت بين الناس، وسارت في الآفاق، وتغنّى بها الشعراء^(٨٩)، وغاب عن الناس وظهر مع أخيه إبراهيم وبايعه الناس سنة (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م)^(٩٠)، وقيل: إن المعتزلة بايعوه أيضاً وسمّو ثورتهم بالثورة المعتزلية^(٩١)، ودامت حركة ذي النفس الزكية من يوم خروجه إلى يوم مقتله سبعة وسبعين يوماً^(٩٢).

أمّا بعد مقتله فقد اختلفوا فيه: فأصحاب المغيرة بن سعيد قالوا: (إنّه حيّ لم يمت وأن الخارج إلينا والمقتول بيننا ليس محمد بن عبد الله إنما شيطان تمثّل في صورته، وأنّ محمداً سيخرج ويملك الأرض ويحكم فيها بالعدل)^(٩٣)، وفرقة أخرى قالت: (إنّه حيّ ومقيم في جبل يقال له الطمية)^(٩٤) يخرج منه في آخر الزمان^(٩٥).

أمّا الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقد وقف موقف المعارض الشديد لهذه الدعوى، وأوضح ما سوف تؤول إليه جماعة ذي النفس الزكية، وما يحلّ به شخصياً من قتل وخيانة، وأنّه ليس المهدي الموعود من قبل رسول الله ﷺ^(٩٦). والذي يتّضح من كتب التاريخ أن دعوى مهدوية محمّد ذي النفس الزكية كانت من قبل والده، فهو من مهّد لها، وبايعه البعض وهو غير موجود بينهم^(٩٧)، أمّا هل ادّعى ذلك أم لا؟ فهذا لم يثبته التاريخ^(٩٨)، نعم قد دعا الناس إلى إمامته وسافر إلى البصرة لهذا الغرض^(٩٩)، وانضمام المعتزلة والزيدية له بصفته إماماً لا بصفته مهدياً، وعلى هذا الأساس أفتى فقهاء المذاهب بوجوب الوقوف مع ثورته والخروج معه^(١٠٠)، ولم يرد في خطباته وكتبه شيء عن المهدي^(١٠١).



نعم البعض اعتبر مقتله علامة من علامات الظهور لما ورد من أخبار مقتل (النفس الزكية) (١٠٢).

١٢ - الناوسية (١٠٣) ومهدوية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م):

حيث قالت: (بأنه حيٌّ لم يمِت حتّى يظهر ويلى الأمر، فهو القائم المهدي) (١٠٤)، وأن الذي كان بين الناس عند موته ليس جعفرًا إنما صورته التي تلبّست في أحدهم (١٠٥)، لكن لم تستمر هذه الفرقة لمُدّة طويلة، لذمّهم من قبل الأئمة عليهم السلام وإبطال قولهم (١٠٦)، مع عدم وجود صلة مباشرة به بالرغم من معاصرتهم له، وأن نصّ الإمامة لابنه موسى هو الدليل على بطلان قولهم بالإمامة أو المهدوية (١٠٧).

١٣ - مهدوية عبد الله بن جعفر الأفتح:

والذي تُنسب إليه الفرقة الفطحية (١٠٨) القائلة بإمامة الولد الأكبر للإمام جعفر الصادق عليه السلام، وبعد وفاته انقطعت الإمامة عندهم (١٠٩)، فذهبت فرقة إلى القول بمهدوية ابنه محمد الذي تحوّل بعد موت أبيه إلى خراسان وأقام فيها، وأنه حيٌّ لم يمِت، وهو المهدي المنتظر (١١٠)، إلا أنّها قليلة لم يظهر لها أثرٌ في التاريخ (١١١).

١٤ - مهدوية محمد بن عبد الله العباسي (١٦٩ هـ / ٧٨٥ م):

وهي حركة غير مرتبطة بفكر أو عقيدة، إنما ورقة سياسية استعملها المنصور العباسي في ذلك الوقت (١١٢)، فوضعت الأحاديث الكاذبة في أن (المهدي من ولد العباس) (١١٣)، مع أنّ والده المنصور كان يقرّ أن ابنه ليس المهدي الموعود (١١٤)، فضلاً عن عدم قناعة بني العباس بذلك (١١٥). وعليه لم يكتب لها البقاء، إنما طُويت بوفاته ولا أثر لها، كما لم يكن هو نفسه مقتنعاً بما يُقال له (١١٦).

١٥ - مهدوية الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م):

فقد تعدّدت الأقوال فيها، ولم تذكر كتب التاريخ أسماء تلك الفرق إلا أنه يُجمَعها مُصطلح (الواقفة)، فمنهم: (من قال إنه المهدي، وهو حيٌّ لم يمِت



وقد دخل دار هارون الرشيد ولم يخرج منها)، ومنهم من قال: (إنه القائم، وأتته مات فعلاً، وحيث إن الإمامة لا تكون لغيره، حتّى يرجع فيقوم بالأمر، لهذا سمّي بالقائم لأنه يقوم بعد الموت ليأمر وينهى)، ومنهم من قال: (إنه لم يمت وهو حيٌّ وقد خرج من الحبس ولم يره أحد، وسوف يظهر في آخر الزمان)، ومنهم من قال: (إنه مات وفيه شبه من عيسى بن مريم، فيرجع في وقت القيامة ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً)، ومنهم من قال: (إن الله قد رفعه إليه، وسوف يرده عند القيامة)، ومنهم من وقف ولم يقرّ بموته ولا بحياته، وتتفرع عن هذه الأقوال غيرها، إلا أنها لا تخرج عن نطاق الواقعة^(١١٧). لذلك شغلت حيزاً كبيراً في أذهان الناس، وصدعاً كبيراً أحدثته في المسيرة الإمامية، ورغم ذلك كان لها أثر وقتي وانتهى بعد مُدّة يسيرة. كما أنّ دعوى المهديّة استُخدمت استخداماً سيئاً ومُغالياً في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام^(١١٨)، لكن لم يعد لها وجود إلا في كتب الفرق^(١١٩). وأنّ الشيخ الطوسي عقد فصلاً في كتابه الغيبة لمناقشة معتقداتهم وإبطالها^(١٢٠).

وكان السبب الرئيسي وراء الانهيار والتلاشي السريع لهذه الفرقة، هو موقف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نفسه، وموقف ولده الإمام علي الرضا عليه السلام اللذين عملا على ثلاثة محاور رئيسية:

- ١ - تأصيل العقيدة المهديّة نهجاً ومصدّقاً.
 - ٢ - التصديّ لهذه الدعاوى التي انتشرت في زمانها.
 - ٣ - العمل بدقّة متناهية في إبطالها^(١٢١).
- ١٦ - مهديّة محمد بن إسماعيل بن جعفر (١٩٣ هـ / ٨٠٨ م):

وهو الذي ترجع إليه فرقة (المباركية) القائلة بإمامته، فقد رأوا أنّه المهدي، وذهبوا إلى القول: (بأنّه حيٌّ لم يمت، وقد غاب في بلاد الروم)، وهو القائم الذي سوف يبعثه الله تعالى برسالة جديدة ينسخ بها كل الشرائع حتّى شريعة



النبى محمد ﷺ)، واعتبروه من أولي العزم، فهم يعتقدون أنهم سبعة بإضافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومحمد بن إسماعيل، (وأن الله تعالى جعل له جنّة آدم، ومعناها الإباحة للمحارم وجميع ما خلق في الدنيا) (١٢٢)، وأفتوا بقتل كل من يقول بإمامة موسى بن جعفر وولده الرضا (١٢٣).

أمّا ادّعاء المهدوية لنفسه فهو موضع خلاف بين المؤرّخين (١٢٤)، إلا أن سيرته لا تتلاءم مع هذه الحركة والأفكار والادّعاءات، فلو تمّ حساب عمره، نجده عند وفاة والده كان بعمر أحد عشر عاماً أو اثني عشر عاماً، وكان في حضانة جدّه الإمام الصادق عليه السلام الذي اعتنى به لحين وفاته، فأين ادّعاؤه للمهدوية؟ وما هي المقومات؟ وأين هم الأنصار؟ كل هذا يظهر أنّه لم يدع المهدوية يوماً لكنها نسبت إليه (١٢٥). وأن وشايته بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام عند هارون الرشيد ليست محلّ إجماع عند المؤرّخين فقد ذهب المفيد والطوسي إلى ضعفها وأن أخاه علي بن إسماعيل هو الذي وشى به (١٢٦).

ثالثاً: مهدوية القرن الثالث الهجري: وأهمها:

١ - مهدوية محمد بن جعفر (الديباج) (٢٠٣هـ/ ٨١٨م):

الذي يرى رأي الزيدية في ضرورة الخروج بالسيف، خرج على المأمون العباسي (١٩٩هـ/ ٨١٤م) واتبعته الزيدية الجارودية (١٢٧)، وبايعوه بالخلافة وإمارة المؤمنين سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥م) (١٢٨)، خاض معارك في مكّة والمدينة (١٢٩)، ولم تكن علاقته بالإمام علي بن موسى الرضا (٢٠٣هـ/ ٨١٨م) مرضية، لكثرة الأقاويل عنه (١٣٠)، فقد روي أنّه أبطأ بحضور جنازة عمّه محمد بن جعفر (١٣١)، وكان يكره مناظراته لأهل الكلام في مجلس المأمون (١٣٢). وعندما فُكّت عينه في إحدى المعارك سُرّ بذلك وقال: (أرجو أن أكون المهدي القائم، وقد بلغني أن في إحدى عينيه شيئاً، وأنه يدخل في هذا الأمر وهو كاره له) (١٣٣).

أمّا نسبة المهدوية إليه فقد انفرد الأصفهاني (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) من بين



مُعاصريه بالقول بها^(١٣٤)، ولم يظهر لها أثر على مُستوى الفِرَق، إلّا في الشميّطية^(١٣٥) التي سَاقَت نص الإمامة إليه، فزعموا أن المهدي من ولده^(١٣٦)، فقالوا بمهدوية أحد أولاده لا بمهدويته الشخصية^(١٣٧).

٢ - مهدوية محمد بن القاسم (٢١٩هـ / ٨٣٤م):

المعتقد برأي الزيدية الجارودية^(١٣٨)، دعا إلى الرضا من آل محمد في طالقان، وألقي القبض عليه ونقل إلى سجن سرّ من رأى، في زمن المعتصم العباسي، هرب منه إلى واسط وأقام فيها^(١٣٩)، ولما ظهر بايعه جمعٌ من الناس، وزعموا أنه المهدي^(١٤٠)، وأكثرهم في الكوفة وجبال طبرستان والديلم^(١٤١)، حيث ذهبوا إلى القول بإمامته^(١٤٢). أمّا (ما نُقل في التاريخ من ادّعاءات نُسبت له، فهي لا تتفق مع سيرته التي عرف بها من الزهد والتقوى والصلاح، ولم ينسب إليه أحدٌ ادّعاء المهديّة لنفسه، إنّما نُسبت بعد وفاته، كما نقلها الأصفهاني^(١٤٣)، إلّا أن أتباع هذه الفكرة لم يعد لهم أيّ ذكر في مَسرح التاريخ)^(١٤٤).

٣ - مهدوية يحيى بن عمر الطالبي (٢٥٠هـ / ٨٦٤م):

عُرِف بشجاعته وبسالته، دعا في الكوفة إلى الرضا من آل محمد، واجتمع الناس إليه وأحبّوه وتولّاه العامة من أهل بغداد^(١٤٥)، بايعه جماعة من الزيدية أيضاً^(١٤٦)، وثار في الكوفة وقُتل فيها سنة (٢٥٠هـ / ٨٦٤م)، وقد رثاه الشعراء في قصائدهم^(١٤٧)، وظهرت فرقة تسمّى (الجارودية)، تقول (بأن يحيى بن عمر لم يمت، وأنّه حي، وسيملك الأرض ويملأها عدلاً)^(١٤٨).

٤ - مهدوية محمد بن علي (٢٥٢هـ / ٨٦٦م):

وهو من الرجال الموثوقين الفاضلين، برز بعد وفاة أبيه الهادي عليه السلام (٢٥٤هـ / ٨٦٨م)، ذهب جماعة إلى القول بإمامته، وأن أباه قد نصّ عليه في حياته، وحيث إنّهُ توفي قبل وفاة أبيه فقد زعموا عدم موته؛ لأنّه منصوصٌ من قبل الإمام، والإمام لا يكذب بأيّ حالٍ من الأحوال، فهو لا زال حياً لم



يمت، وأن أباه قد غيَّبه عن الأنظار، وهو القائم المهدي الذي يَمَلأ الأرض عدلاً^(١٤٩)، إلا أن هذه الحركة، انقرضت سريعاً بوجود الإمام الحسن العسكري عليه السلام، كما أن صاحبها لم يدع شيئاً من ذلك إطلاقاً، نعم تُعتبر ذات خطورة لقبها عهداً من وفاة العسكري (٢٦٠هـ / ٨٧٣م) وبدء الغيبة الصغرى للإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام^(١٥٠).

٥ - مهدوية الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام (٢٦٠هـ / ٧٨٣م):

وهو من اجتمع الناس والدولة وكل من عاصره على نُبله وعفافه وسكونه وهديه^(١٥١)، نسبت له المهدوية أيضاً، فرقةٌ قالت: (إنه لم يمت إنما هو غائبٌ مستتر، وهو المهدي المنتظر الذي نصت عليه الروايات؛ لأنه لا ذرية له، وأن الأرض لا تخلو من إمام، وقد ثبتت إمامته بنص أبيه الهادي عليه السلام، وأن للقائم غيبتين، فقد غاب الغيبة الأولى وسيظهر بعد ذلك بإذن الله تعالى)، وفرقة قالت: (إنه مات وهو القائم المهدي الذي سيقوم بعد الموت ولا ولد له، ولو كان له ولد لصحَّ موته ولا رجوع، لأن الإمامة تثبت لخلفه، وحيث إنه لم يوص إلى أحدٍ فلا شك أنه المهدي)^(١٥٢)؛ (لأن الأرض لا تخلو من حجة ظاهرة أو مستترة، فهو غائب مستتر)^(١٥٣).

إلا أن: شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٢٦٠هـ / ٨٧٣م)، كانت علنية ومشهورة ومعروفة عند الجميع، حتى إن قاضي القضاة وجمعاً غفيراً من بني هاشم والعباسيين والكتّاب والفقهاء كشفوا عن وجهه قبل دفنه^(١٥٤)، فضلاً عن صلاة نجله محمد المهدي عليه السلام على جنازته، تلك الحادثة التي فاجأت الجميع، ونقلتها كتب التاريخ، ولم يكتب لهذه الدعوى النجاح^(١٥٥).

٦ - مهدوية جعفر بن علي (٢٧١هـ / ٨٨٤م):

وهو ابن الإمام الهادي عليه السلام وشقيق الإمام العسكري عليه السلام، لم يُسر به أبوه لما ولد، وأخبر أنه سيُضللُّ به خلقٌ كثير^(١٥٦)، لُقّب بجعفر الكذاب لادّعاءه



الإمامة بعد أخيه الحسن عليه السلام وتوسّله للدولة بجعله إماماً على الشيعة، وأنكر وجود الوريث الشرعي وادّعى استحقاقه التركة^(١٥٧)، حاول استغلال عقيدة البداء كي تُجبي الأموال إليه فلم يفلح^(١٥٨)، وحاول إقامة الصلاة على جنازة أخيه العسكري ولم يفلح لخروج صبيٍّ أمامه فاجأ الموجودين في الدار، فجذب رداءه وقال له: «تأخّريا عم، أنا أولى بالصّلاة عليه»^(١٥٩). وأن ادّعاء الإمامة من قبله هي ذاتها ادّعاؤه للمهدوية على اعتبار أن المذهب الإمامي قد انتشر في أوساطه أن الإمام الثاني عشر هو المهدي المنتظر^(١٦٠).

اختلفت الناس فيه:

فرقةٌ قالت: (بإمامته بعد أخيه الحسن وأنه الإمام الثاني عشر، وأن أخاه قد أوصى إليه).

وأخرى قالت: (إن الإمامة جاءت إليه من قبل أبيه الهادي عليه السلام، واستدلوا بأن أخويه محمد بن علي، والحسن بن علي لم يكونا إمامين لأن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين، وبما أن محمد بن علي قد مات في حياة أبيه، وأن الحسن بن علي مات ولا ولد له حتّى يوصي إليه بعده، فكان جعفر هو الإمام الثاني عشر بوصية أبيه).

وفرقةٌ ثالثة اعتقدت: (أن الإمام الهادي أوصى إلى ابنه محمد بن علي، وأن محمداً أوصى إلى غلامٍ صغير كان يعمل في خدمة أبيه اسمه (نفيس) أمره إذا حدث بأبيه الموت أن يؤدّي الوصية إلى جعفر، لتقلّ التهمة ولا يعلم به أحد، فلمّا أحس نفيس بالخطر من حوله دفع الوصية إلى جعفر، وهؤلاء يُسمّون (بالنفسية)، الذين غالوا فيه وادّعوا أنه القائم المهدي)^(١٦١).

٧ - مهديوية الحسين بن زكروية بن مهروية القرمطي (صاحب الخال) (٢٩١هـ / ٩٠٣م):

تنسب له فرقة القرامطة^(١٦٢) وهي من فرق الإسماعيلية، يؤمنون أن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين عليهم السلام، بل تسري في الأعقاب فلا



تنتقل من إسماعيل إلى موسى بن جعفر، بل إلى محمد بن إسماعيل، وهذا الانتقال يكون بطريق (الخلول)^(١٦٣)، وتتبع القرامطة رجلاً يظهر العبادة والزهد والتشّف، ويدعو الناس إلى إمامة أهل البيت عليهم السلام وهو الحسين بن زكروية بن مهروية القرمطي^(١٦٤)، سيطر في حركته (٢٧٨هـ / ٧٨١م) على الكوفة والبصرة والبحرين والإحساء وبلاد الشام ومصر، وأحدث فيها الفتن والقتل والنهب، دخل على تلك المناطق عنوة، ونهب ما فيها من الأموال والسلاح، وأفسد بالشام وعاث في بلادها، ثم آل أمره إلى قتل الخليفة العباسي المكتفي بالله^(١٦٥). ثم قالوا بمهدوية محمد بن إسماعيل وأنه حيّ لم يمّت حتّى يملك الأرض، متأولين حديثاً رَوَوْهُ (أن سابع الأئمة قائمهم)^(١٦٦)، وأنه (من أولي العزم السبعة)^(١٦٧)، وأنه (القائم الذي سوف يبعث برسالة جديدة)^(١٦٨). والإمامة عندهم لا يمكن تحديد صلاحياتها، لأنّه المثل الأعلى والأرفع مقاماً، وهو مصدر كلّ قانون وتنظيم وتشريع، ولأنها تجري في الأعقاب عن طريق الخلول، فإن المهدي محمد بن إسماعيل غاب عن الأنظار، لذا أوجبوا تشكيل مجلس استشاري يتولّى الأمور خلال غيبته^(١٦٩). ويلاحظ على مهدوية القرامطة، (أنها غير واضحة؛ فهي بين مبدأ الغيبة ومبدأ الرجعة، وكلا الأمرين غير واضح في عقيدتهم، فهم مضطربون بين مهدي حيّ ومهدي ميّت، وأن حُكّام القرامطة جميعهم، لم يصرّح أحد منهم أنه يحكم باسم المهدي أو يُمهدّ له، فضلاً عن إباحة المحرّمات وانتهاك المقدّسات التي اتّسمت بها حركة القرامطة وهي خلاف التمهيد لدولة العدل)^(١٧٠).

رابعاً: مهدوية القرن الرابع الهجري. وأهمها:

١ - مهدوية ابن الضبعي (٣٠٢هـ / ٩١٤م)^(١٧١):

رجل مجهول الحال، ظهر بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، زعم أنّه محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن موسى، والناس في وقتها مختلفون في أن الحسن

له عقب أم لا^(١٧٢)، إلا أنه قد حُبس واعترف أبوه الذي كان أحد عمّال وزير المقتدر العباسي أنه ولده، وأودعه في الحبس، ولم يعرف مصيره بعد ذلك^(١٧٣)، وهذه الدعوى فردية لم تترك أثراً اجتماعياً أو فكرياً، وليس لها أنصار يُذكرون.

٢ - مهدوية مُدّعٍ لشخصية محمد بن إسماعيل (٣١٢هـ / ٩٢٤م)^(١٧٤):

ادّعى رجل شخصية محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وجمع جمعاً عظيماً من الأعراب، قاد معركة بين الكوفة وبغداد^(١٧٥)، وأن أتباعه هم أنصار الفرقة التي قالت بأن محمد بن إسماعيل حيٌّ ولم يمت ويظهر لنا بين الحين والآخر، وأنه هو المهدي المنتظر^(١٧٦)، وقد سهل تجمّع الناس والالتفاف حوله؛ لأن هذه الحركة (كانت في عصر الغيبة الصغرى، وكانت الكوفة وسواها موطناً للقرامطة والإسماعيليين، إلا أنه لم يظهر لها آثار وانتهت من حيث بدأت)^(١٧٧).

٣ - مهدوية عبد الله بن محمد الفاطمي (٣٢٢هـ / ٩٣٣م):

وهو والد الخلفاء الفاطميين بمصر وأول من ظهر منهم بالمغرب^(١٧٨)، تقوم نظرية الحكم عندهم على نفس المبدأ الإسماعيلي (من أن الإمامة تنتقل إلى الألقاب وليس إلى الإخوان، حيث انتقلت الإمامة بالنص من إسماعيل بن الإمام الصادق إلى ابنه محمد المكتوم ثم إلى جعفر الصادق، ثم إلى ابنه محمد الحبيب، ثم إلى ابنه عبد الله المهدي، أول الخلفاء الفاطميين في المغرب)^(١٧٩).

حيث بايعه جملة من الفاطميين، ثم حبس هناك^(١٨٠) ودعا إلى مهدوية ولده^(١٨١)، وأول من بشر بهذه الفكرة في المغرب وجعل الناس يؤمنون بها هو أبو عبد الله الشيعي المسمّى بـ(أبي عبد الله المشرقي)، حيث كان يُبشّر بشخص عبد الله المهدي، (وعندما أرسل إليه واختلف معه أصابه الإحباط وأعلن أن عبد الله ليس المهدي)^(١٨٢)، فكان رواج هذه الفكرة مما رسم هالة في النفوس، باعتبار (أن الداعية الكبير والمؤسس الحقيقي للدولة هو أبو عبد الله المشرقي، فقد



ورد من اليمن وبشّر بالمهدي^(١٨٣). وما يُلاحظ على هذه الفرقة، أن عبد الله المهدي وخلفاءه من بعده كانوا يؤمنون بالعقيدة الإسماعيلية التي لا تؤمن بالمهدي المنتظر، بل يؤمنون بالأئمة المستورين أو المغمورين في حال الستر، والأئمة الظاهرين في حال البسط والقيام، لكن مع ذلك نجد أن عبد الله تلقّب بالمهدي وسمّى عاصمته التي بناها بالمهدية^(١٨٤)، ولم يكن هذا اللقب يحمل المعنى الخاص للمهدوية، إنما كان بالمعنى العام^(١٨٥). وذكرناها هنا لأنها ضمن حوادث القرن الرابع الهجري التي رفعت شعار المهدوية.

٤ - مهدوية محمد بن المستكفي (٣٥٧هـ / ٩٦٧م)^(١٨٦):

ظهرت دعوته في مصر، وكانت تقوم على مهدوية محمد بن عبد الله القائم، الذي دعا لنفسه، وبايعه خلقٌ كثيرٌ من الدّيلم والأتراك والعرب^(١٨٧)، قام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومُجاهدة أعداء الإسلام، فتطلّعت إليه النفوس، وجعل دُعاه يأخذون البيعة له، فمن كان من أهل السنة قيل له: عباسي، ومن كان من أهل الشيعة قيل له: علوي، حتى أُلقي القبض عليه، وعُدّب، وحبس، ولم يذكر التاريخ عنه شيئاً بعد ذلك^(١٨٨). وأتمها دعوى فردية قائمة على استغلال عقيدة المهدي بين الناس للمآرب الخاصّة^(١٨٩).

٥ - مهدوية محمد بن الحسن ابن الداعي (٣٥٩هـ / ٩٧٠م):

نقيب الطالبين في دولة بني بويه، والمدافع عن العلويين، اختفى عن الناس وظهر في نصّيين، اجتمع عليه عشرة آلاف لنصرته، واشتهر بلقب المهدي. ويظهر من ذلك أن لقبه كان بالمعنى العام، وليس بمعنى المهدوية الخاصّة، لذا لم تنشأ أي فرقة أو جماعة بعد موته^(١٩٠).

٦ - مهدوية المعز لدين الله الفاطمي (٣٦٥هـ / ٩٧٥م):

ظهر في مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام والحجاز، وأقيمت له خطبة في مكة والمدينة، خاض حروباً شرسة ضد القرامطة الذين وصلوا إلى مصر،



فاستطاع أن يهزمهم^(١٩١). ونسبت إليه نصوص فيها إشارة إلى المهديّة منها:
(أن المعز الفاطمي، احتجب عن الناس مدّة لم تُذكر، ثم ظهر، وأوهم
الناس بأنه كان غائباً، وأن الله رفعه، وأطلعه على علم الغيب)^(١٩٢).

ومنها: (أن المعز كان مغرماً بالنجوم، ويعمل بما يمليه عليه المنجمون، فذكر
له أحدهم بأنّه سيصيبه نحسٌ قويٌّ، وعليه أن يعمل سرداباً ويختفي فيه إلى أن
يجوز هذا الطالع النحس، فامثل لأمر المنجم، وأخبر قواده بأنّ بينه وبين الله
عهداً سيغيب عنهم، وأن خليفته بعده ابنه نزار وأمرهم بالسمع والطاعة له،
ثم نزل السرداب وغاب عن الأنظار، حتّى ظهر لهم)^(١٩٣).

ومنها: (أن المعز قام بالخلافة سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م) وبث الدعوة في أرجاء
البلاد، بالتبشير له بأنّه المهدي الذي يملك الأرض، وهو الشمس التي تطلع
من مغربها، ويُنسب إليه أنّه كان يسر بما ينزل بالمسلمين من المصائب على يد
الروم، وقد احتجب عن الناس، حتّى ظهر وأوهمهم أن الله تعالى رفعه إليه
وأخبره بأشياء ستقع على الناس، حيث كان ينقلها جواسيس له)^(١٩٤).

وهذه الروايات لا تُشير إلى المهديّة صراحةً:

لأن الأولى: ورد فيها عبارة (وأوهم الناس أنه كان غائباً) ولم تذكر آية دعوة
للمهديّة، كما لم يرد فيها التصريح على أنّه المهدي.

أمّا الرواية الثانية فدلالتها غير ظاهرة في ذلك.

أمّا الرواية الثالثة: فلم تكن معتمدة على مصادر تاريخية موثوقة^(١٩٥).

المحور الثاني: الحركات المهديّة في عهد السفراء الأربعة للإمام محمد بن

الحسن المهدي ﷺ:

ظهرت في عهد السفارة الخاصّة عن الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام
حركات مهديّة سُمّيت بـ(السفارات الكاذبة) أو (السفارات المزوّرة)^(١٩٦)، وهي

تقع ضمن حوادث القرن الرابع الهجري، وأهمها:

١ - مهدوية الحسن بن موسى الشريعي^(١٩٧):

كان رجلاً صالحاً من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام^(١٩٨)، ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له^(١٩٩)، ظهر في قوله الكفر والإلحاد^(٢٠٠)، وسُمي أصحابه بـ(الشريعية)، وهم يزعمون أن الله تعالى حلّ في خمسة أشخاص، النبي صلى الله عليه وآله، وعلي والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام^(٢٠١)، وهؤلاء الخمسة لهم أصداد منها محمودة ومنها مذمومة، والشريعي من الأصداد المحمودة عندهم^(٢٠٢)، وادّعى السفارة عن الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام ولم يصدق سفيره الثاني الذي تم تعيينه بالخصوص^(٢٠٣).

٢ - مهدوية محمد بن نصير النميري:

شخصية عُرفت باستقامتها في عصر الإمام الجواد عليه السلام من (٢٠٣-٢٢٠هـ/ ٨١٨-٨٣٥م) وعُدَّ من أصحابه^(٢٠٤)، إلا أنه أنكر إمامة الهادي عليه السلام من بعده، وقال بألوهيته، وادّعى أنه نبي مرسل من قبل الإمام الهادي^(٢٠٥)، وكان يقول بالتناسخ^(٢٠٦)، عُرفت فرقته باسم (النميرية)، وكانوا يعتقدون بأن روح الله حلّت في محمد بن نصير^(٢٠٧) التي تُنسب إليه فرقة (النصيرية) المعروفة اليوم بهذا الاسم^(٢٠٨)، وصدر بحقه لعنٌ وبراءة من قبل الإمام الهادي عليه السلام^(٢٠٩)، واختفى بعد صدوره، إلى تولّي السفارة لمحمد بن عثمان العمري (٣٠٥هـ/ ٩١٧م)، حيث ظهر مرة ثانية مدّعياً السفارة عن المهدي بدلاً من السفير الثاني، وزعم أصحابه أنه المهدي بعد غيابه الأول وظهوره الثاني^(٢١٠)، إلا أن موقف السفير الثاني كان حازماً، فصدرت عن طريقه تواعيع تأمر بتكذيبه ولعنه والبراءة منه^(٢١١). ومن عقائدهم: القول بالتناسخ والحلول، وإباحة بعض المحرّمات^(٢١٢)، وقد أوصى قبل موته بأن الأمر من بعده لأحمد، واختلف أصحابه فيه إلى ثلاث فرق، الأولى قالت: (إن أحمد ابنه والوصي من بعده)^(٢١٣)، والثانية قالت: (إنه أحمد بن محمد بن موسى بن فرات)، والثالثة قالت: (إنه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن زيد).

٣ - مهدوية أحمد بن هلال العبرتائي (٢٦٧هـ / ٨٨٠م):

وهو من أصحاب الإمامين العسكريين عليهما السلام، وكان مستقيم الطريقة وكثير العبادة^(٢١٤)، إلا أن الإمام أصدر ذمّاً في حقّه مما أربك الرواة في التعامل مع مروياته في أيام استقامته^(٢١٥)، أمّا بعد انحرافه فقد رفضوا أقواله^(٢١٦)، عُرف بالعبادة والصلاح، ولم يظهر منه سوء حتّى بعد وفاة الإمام العسكري (٢٦٠هـ / ٨٧٣م)، كذلك في فترة السفير الأول عثمان بن سعيد، إلا أنه أنكر سفارة ابنه محمد بن عثمان، بحجّة أنه لم يسمع النص عليه من قبل المهدي شخصياً، كما سمع توثيق أبيه من قبل العسكري ولم يشك به^(٢١٧)، فادّعى حينها أنه الباب للمهدي^(٢١٨) وصدّر اللعن والبراءة منه لأكثر من مرة، ظهر فيه انحرافه وبطلان أفكاره^(٢١٩).

٤ - محمد بن علي البلالي (ابن راشته المتطبّب):

وهو من الذين شاهدوا الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام ووقفوا على معجزاته^(٢٢٠)، ومَن رَووا رواية كيفية ولادته. عُرف أنّه كان يتصرف في وجوه الأموال بما لا يُعيّنه له الإمام العسكري عليه السلام وقد ذمّه على ذلك. وكانت لديه أموال في عهد السفير الثاني محمد بن عثمان، أمره السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي بتسليمها، فامتنع وادّعى أنّه السفير والوكيل عن الإمام في صرفها، وقد أخرج المهدي المنتظر توقيعاً بكذبه، وقد أنكر سفارتهما، وذهب إلى القول بسفارته الخاصّة، رغم أن السفير الثاني قد أدخله على بعض الدور وأشرف عليه المهدي محمد بن الحسن عليهما السلام وأمره بتسليم الأموال، إلا أنه لم يرجع عن دعواه^(٢٢١).

٥ - الباقتاني واسحق الأحمر:

لم يُذكر عن سيرتهما شيء سوى أنّهما ادّعيا السفارة عن الإمام محمد بن الحسن المهدي عليهما السلام كما في حديث أحمد الدينوري الذي جاء من دينور حاملاً

أموالاً إلى بغداد، فدخل إليها، وسأل عن سفارة المهدي، فأشير إلى ثلاثة (الباقطاني) و(إسحاق الأحمر) و (أبو جعفر العمري) (٢٢٢٢).

٦ - الحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩هـ / ٩٢١م):

شخصيةً اختلف بشأنها اختلافاً كبيراً، وأثارت جدلاً واسعاً في الوسط الإسلامي، عُرف بأنه (يطلع على أسرار القلوب، وذو مجاهدة روحية عظيمة) (٢٢٢٣)، فمنهم من يراه مؤمناً يحمل كلامه محملاً حسناً (٢٢٢٤)، ومنهم من يراه كافراً زنديقاً مُلحداً (٢٢٢٥)، ومنهم من يراه مدّعياً لسفارة المهدي (٢٢٢٦). كان يؤمن بفكرة الحلول والاتحاد من خلال تهذيب الجسم بالطاعة والأعمال الصالحة (٢٢٢٧)، عرف بعباراته الجريئة لذات الإنسان التي سببت محاكمته وصلبه (٢٢٢٨)، وكان أتباعه يكتبون بعض تعاليمه بماء الذهب (٢٢٢٩)، كان كثير التنقل من مذهبٍ إلى آخر تارة تجده شيعياً، ومن ثم تراه صوفياً، ثم مُعتزلياً (٢٢٣٠)، رفع شعار الرضا من آل محمد (٢٢٣١)، ادّعى أنه إمام الشيعة وسفيرهم عن المهدي المنتظر (٢٢٣٢)، حتى حاول استغواء وجوه الشيعة وكبارهم في نصرته دعوته كأبي سهل النوبختي وعلي بن الحسين القمي. ثم ظهر بعد مقتله جماعة أطلقت على نفسها اسم (الحلاجية) اعتقدوا أن سفارته عن المهدي هي الركن الأساسي في دعوته (٢٢٣٣)، تؤمن هذه الجماعة (بالسحر والتمويهات والتصوّف والاعتزال والحلول والتناسخ والرجعة والقاء الشبه) (٢٢٣٤). دافع عنه وأيده جملة من العلماء المتقدمين والمعاصرين، فمنهم عدّه في الطبقة الثالثة من الصوفية (٢٢٣٥)، ومنهم سكت عنه مُكتفياً بذكر الخلاف حوله (٢٢٣٦)، ومنهم وصفه بالعالم العابد الزاهد التقى الحافظ للقرآن (٢٢٣٧)، ومنهم وصفه بأنه (شهيد التصوّف الإسلامي) (٢٢٣٨)، والذين استشهدوا من أجل القول بوحدة الوجود (٢٢٣٩)، ومنهم اعتبره عقلاني النزعة (٢٤٠).

٧ - مهدوية الشلمغاني (٣٢٢هـ / ٩٣٣م):

أحد وكلاء السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي، قد نصّبته - أيام استتاره - وسيطاً بينه وبين أصحابه في قضاء حوائجهم ومُهمّاتهم^(٢٤١)، فحمله الحسد وظهرت منه مقالات منكرة^(٢٤٢)، قال بالربوية، وادّعى حلول روح الإله فيه، وسمّى نفسه بـ(روح القدس)، ذهب إلى القول بالتناسخ وأن روح الإله قد حلّت فيه^(٢٤٣)، استغل فترة وكالته لتوثيق علاقاته مع وجوه الشيعة كـ(آل نوبخت، وآل بسطام)، وانتهاز فترة استتار الحسين بن روح من (٣٠٦-٣١١هـ / ٩١٨م - ٩٢١م) وقربه منه بكونه السفير للإمام المهدي عليه السلام^(٢٤٤)، كما زعم لبني بسطام وبني نوبخت أنّ أمره سرٌّ لا يُمكن التصريح به وعليهم الكتمان في نفوسهم لعظمتهم وجلالته، وحذّر أن من يذيع هذا السرّ تحلّ فيه العقوبة الإلهية، كان يرى بأن روح رسول الله صلى الله عليه وآله انتقلت إلى السفير الثاني، وروح الإمام علي عليه السلام انتقلت إلى الحسين بن روح، وروح السيدة فاطمة الزهراء انتقلت إلى السيّدّة أم كلثوم بنت السفير الثاني أبي جعفر العمري. وقد أصدر بن روح أكثر من بيانٍ في تكذيب مقالاته، والبراءة من أفعاله، واللّعة عليه، إلّا أنه اعتبر كلام ابن روح له ظاهراً وله باطنٌ وفسّر اللّعة بالإبعاد عن العذاب والنار، حتّى ظهر توقيع المهدي بكفره ولعنه ونشره في سائر الأمصار^(٢٤٥).

وبعد اشتهاه توقيع الإمام عليه السلام (اختفى الشلمغاني وهرب إلى الموصل وأقام فيها سنين، ولما قوي أمره اتّبعه جملة من الناس، ثم عاد إلى بغداد وظهر منه ادّعاء الربوية والسفارة)^(٢٤٦)، كانت له كتب ومراسلات بين أصحابه فيها خطاب خارج حدود البشر^(٢٤٧)، فأمر الخليفة الراضي بالله (٣٢٩هـ / ٩٤٠م) أن يحاكم وأن يرى قول الفقهاء فيه^(٢٤٨)، فاقترح الشلمغاني على الخليفة بأن يباهل الحسين بن روح وأن العقوبة لا محالة نازلة فيمن يباهله بعد ثلاثة أيام وأقصاه سبعة أيام^(٢٤٩)، وإلّا فإن دمه حلال، حينها لم يظهر شيء من ذلك ورأى فيه الخليفة بأن يُضرب



أمام العامة كي يراه كل من يعتقد به وبأفكاره^(٢٥٠)، فقتل وكان عمره ثمانٍ وسبعين سنة^(٢٥١) وذلك في سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٣م) أو (٣٢٣هـ / ٩٣٤م)^(٢٥٢).

ظهرت بعده فرقة العزاقرية التي تقول بمقالته، واعتبروا كتابه (الحاسّة السادسة) المصدر المقدّس لهم، يُشير فيه إلى وجود مصدر سادس غير الحواس الخمسة المعتادة للإنسان، وهو الذي ينهل منه الشلمغاني أفكاره وآراءه^(٢٥٣).

وأهم عقائدهم: القول بربوبية الشلمغاني، وأنّ النبيين موسى^{عليه السلام} ومحمد^{عليه السلام} هم (خائنات)؛ لأنهم يدعون أنّ النبي هارون^{عليه السلام} أرسل موسى^{عليه السلام}، وأنّ علياً^{عليه السلام} أرسل محمد^{عليه السلام} فخاّناهما، كذلك لا ينسبون الحسن والحسين^{عليهما السلام} إلى الإمام علي^{عليه السلام}؛ لأن من اجتمعت عنده اللاهوتية، لم يكن والدٌ ولا له ولد^(٢٥٤)، ووظّفوا أحد ألقاب المهدي توظيفاً سلبياً، حيث اعتقدوا أنّ (القائم) هو إبليس، كان قائماً وقت ما أمر بالسجود ثم قعد بعد ذلك^(٢٥٥)، وذهبوا إلى أنّ الملائكة هم كل من ملك نفسه، وعرف الحق ورآه، واعتقدوا بالحلول وأن الله تعالى قد حلّ في جسد الشلمغاني، وأنّ الأبالسة خمسة، والعوالم سبعة، والأوادم سبعة، وأن الولي ينصب الضد ويحمله على ذلك، وأن النكاح خلاف السنّة، وأباحوا نكاح المحارم ولا شيء عندهم في ملازمة الرجال ذوي رحمهم، ولهم أدعية مليئة بالتمويهات^(٢٥٦).

(وقد تلقت العزاقرية ضربة قاضيةً بعد مقتل الشلمغاني، فلم يبق لها أثر سوى جماعة في البصرة، يعتقد صاحبها أنّ روح الشلمغاني حلّت فيه، إلا أنّ وزير الدولة البويهي قبض عليه وأنهى حركته)^(٢٥٧)، ولم نسمع عن الشلمغاني والعزاقرية شيئاً في التاريخ إلى انتهاء الغيبة الصغرى عام (٣٢٩هـ / ٩٤٠م)^(٢٥٨).

٨ - مهدوية أبي بكر البغدادي:

عرف بانحرافه عن الطريق القويم الذي سلكه عمّه السفير الثاني، وأنكر سفارة ابن روح، واستدل شريكه ووكيله (أبو دلف الكاتب) بأحقّيته في السفارة

من ابن روح، وكان البغدادي يسكن البصرة، وصديقه أبو دلف يسكن بغداد ويدعو الناس بأمره، حتّى دخلها واختلفا فيما بينهما، وعندما أعلن السفير الثالث الحسين بن روح براءته وكذبه، تراجع أبو بكر عن ادّعائه هذا^(٢٥٩)، ولم تظهر فرقة أو حركة تنسب إليه^(٢٦٠).

٩ - مهدوية أبي دلف الكاتب^(٢٦١):

ادّعى السفارة بموجب صلته مع شريكه أبي بكر البغدادي المتقدم ذكره، وأظهر الغلو، ثم جُنّ وسلس، ثم صار مفوّضاً، حتّى عرف بأنّه قد استخف في عقله، وتبرأت الشيعة منه ومن يشايعه ويعتقد به^(٢٦٢).

النتيجة:

أنّ ما تقدّم هو عرضٌ تاريخي لأبرز الحركات المهدوية في التاريخ الإسلامي، ابتداءً من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ولاحظ الباحث التوظيف الديني والسياسي والأهواء والأطباع الشخصية، بارزاً وواضحاً وجلياً في أغلب تلك الحركات، ممّا أدّى إلى ظهور فرقٍ وجماعاتٍ مُختلفةٍ في العقيدة والسلوك، كلٌّ تبسّر بطريقتها الخاصّة للمهدي الموعود.



الهوامش

١. البحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة بـ(الحركات المهدوية المعاصرة - دراسة وتحليل) مقدمة من الطالب أسامة حميد رشيد إلى مجلس كلية الإمام الكاظم عليه السلام لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية.
٢. الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ/١١٥٨م)، الملل والنحل، ج١٣، ص ٢٩٦.
٣. علي خان، إسماعيل، دراسة حول تيارات الفكر المهدوي، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، مجلة العقيدة، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية - النجف الأشرف، العدد: الأول، السنة الأولى، شعبان ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص ٣٤٧.
٤. الكلبايكاني، لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ص ٢١٧.
٥. ينظر: فرج الله، أحمد، أذعياء المهدوية؛ كنعان جليل إبراهيم، مدّعو المهدوية والسفارة.
٦. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص ٢٩٦ وأيضاً: ج٣، ص ٢٥١.
٧. هرنشو، علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، ص ٥٣ - ٥٨.
٨. كوثراني، وجيه، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل، ص ٥٦ - ٥٧.
٩. روي أن عمر قام خطيباً في المسجد بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: (لا أسمع من أحد يقول أن محمد قد مات، لكن أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران، فلبث عند
- قومه أربعين ليلة، والله إنني لأرجو أن يرجع فيقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات). ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (٢٣٠هـ/٨٨٤م)، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٥٣؛ هيكل، محمد حسين، ص ٤٧٨.
١٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٨٧.
١١. روي أن عمر قال في خطبته: (من قال أن محمداً قد مات قتلته بسيفي هذا، إننا رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام). الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ٢٣؛ الرضوي، مرتضى، من حياة الخليفة عمر، ص ١٦٢.
١٢. السبأية، نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني، قيل إنه كان يهودياً من أهل صنعاء وأسلم، وزعم أن علياً حي لم يمت وهو أول من غالى في الإمام علي عليه السلام وأمر الإمام بقتله، ثم عدل عن ذلك، ونفاه إلى المدائن. ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص ٤٠. وقيل إنها شخصية وهمية خرافية من الموضوعات التاريخية الزائفة. ينظر: العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى.
١٣. يقصد بالوقف: أي يقف على إمامة شخص معين ويرفض إمامة بعده.
١٤. النوبختي، فرق الشيعة، ص ٤٠؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ١٧٤.
١٥. داود، نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية.
١٦. النوبختي، فرق الشيعة، ص ٤٤.
١٧. ينظر: فرج الله، أحمد، ص ٢٢.

الهوامش

١٨. الطبري، تاريخ: ج٦، ص١٦.
١٩. هذه الفرقة تسمى (الحربية) نسبة إلى عبد الله بن عمر بن حرب الكندي، وهي فرقة قالت بالتناسخ وأن الإمامة جرت في علي ثم الحسن ثم الحسين ثم بن الحنفية، وأن روح رسول الله حلت فيه. ينظر الأشعري، سعد، المقالات والفرق: مصدر سابق، ص٢٦ و٢٧ و٣٨.
٢٠. النوبختي، فرق الشيعة، ص٤٩؛ الشهرستاني، الملل والنحل: ج١، ص١٥٠.
٢١. الطبري، التاريخ: ج٦، ص٥٤٧؛ ابن الأثير، الكامل: ج٤، ص٣١١.
٢٢. الثعالبي، تحفة الوزراء: ص١٢١.
٢٣. ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، آثار الجاحظ: ص١٢١.
٢٤. الفرزدق، ديوان: ص٢١٧، البيت رقم (٦٠).
٢٥. المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٨٩.
٢٦. كنعان، مدّعو المهدوية: ص١٣٣.
٢٧. ابن حماد، نعيم بن حماد الخزازي، الفتن: ص١١١.
٢٨. الطبري، تاريخ: ج٦، ص٥٦٦.
٢٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٢٩.
٣٠. المصدر نفسه: ص٢٣٤.
٣١. ابن حماد، الفتن: ص٢٨١، ح١٠٥٠.
٣٢. كنعان، مدّعو المهدوية: ص١٣٨.
٣٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج٥، ص١٢٠.
٣٤. ابن حماد، الفتن: ص١٣٠، ح٤٠٤.
٣٥. كنعان، مدّعو المهدوية: ص١٤٠.
٣٦. فولتن، فان، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية: ص١١٨.
٣٧. الأكوش، أدعاء المهديّة عبر التاريخ: ص٤٨.
٣٨. البغدادي، الفرق بين الفرق: ص٤٠.
٣٩. المصدر نفسه: ص٤١.
٤٠. الشهرستاني، الملل والنحل: ج١، ص١٥٦ و ص١٧٧.
٤١. المزي، تهذيب الكمال: ج٢، ص٤١٨ - ٤١٩.
٤٢. الشهرستاني، الملل والنحل: ج١، ص١٧٧.
٤٣. المصدر نفسه: ج١، ص١٧٨.
٤٤. النوبختي، فرق الشيعة: ص٧٥.
٤٥. الشهرستاني، الملل والنحل: ج١، ص١٧٨.
٤٦. الكشي، ص١٤٦، الترجمة: ١٠٣.
٤٧. رجل من أهل الكوفة، لم تأت كتب التراجم والتاريخ على ذكر اسمه أو ترجمه حياته.
٤٨. النوبختي، فرق الشيعة: ص٤٥.
٤٩. النوبختي، فرق الشيعة: ص٤٥.
٥٠. البغدادي، الفرق بين الفرق: ص١٨٦.
٥١. المصدر نفسه: ص١٨٦.
٥٢. كنعان، مدّعو المهدوية: ص١٤٩.
٥٣. المفيد، الإرشاد: ص٢٩١.
٥٤. المصدر نفسه: ص٣٥٦.
٥٥. النعماني، الغيبة: ص٢٣٤.
٥٦. يقول أحد شعراء بني أمية وهو يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم شامتاً:
صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة
ولم أر مهدياً على الجذع يصلبُ
ينظر: الجاحظ، الرسائل: ص١٣.
٥٧. وهي فرقة نسبت إلى زيد بن علي بعد شهادته، ترى أن الإمامة تقوم على وجوب

الهوامش

٦٨. كنعان، مدعو المهدوية: ص ١٥٥.
٦٩. الأشعري، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٦٧.
٧٠. المصدر نفسه: ج ١، ص ٦٨.
٧١. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج ٣، ص ٢٢٠.
٧٢. المصدر نفسه: ج ٣، ص ٢٢٠.
٧٣. ابن حماد، الفتن: ص ٢٤٦.
٧٤. كنعان، مدعو المهدوية: ص ١٥٧.
٧٥. المفيد، الإرشاد: ص ٢٨٤.
٧٦. النوبختي، فرق الشيعة، ص ٧٩.
٧٧. فرقة تنسب إلى مبارك مولى إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس، كوفي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: هو وأتباعه بعدم موت إسماعيل في حياة أبيه. ينظر: الطوسي، الرجال، ص ٣٠٤، الترجمة: ٤٤٧١.
٧٨. الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ٢٩.
٧٩. المصدر نفسه: ج ١، ص ٢٩.
٨٠. كنعان، مدعو المهدوية: ص ١٥٩.
٨١. محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد بالمدينة (١٠٠هـ / ٧٨١م) ودعا إلى نفسه سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) وبويع له الأمصار. ينظر: الطوسي، رجال: ص ٢٧٥، الترجمة: ٣٩٧٧.
٨٢. المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٢٢١.
٨٣. الطبري، تاريخ: ج ٧، ص ٦٠٥.
٨٤. الأشعري، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ١٤٥.
٨٥. كما أفتى أبو حنيفة (١٥٠هـ / ٧٦٧م) ومالك بن أنس (١٧٩هـ / ٧٩٥م). ينظر: الطبري،
- الطاعة لكل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة، وهم قد أنكروا القول بالنص والوصية وعصمة الأئمة والرجعة وانتظار المهدي الغائب، كما جوزوا إمامة الفضول بوجود الفاضل، أي إنهم اشترطوا في الإمام أن يخرج شاهراً سيفه، كما لم يشترطوا أن يكون من ذرية الحسين عليه السلام وهذا نقيض عقيدة المهدي المنتظر عند الإمامية. ينظر: صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: ص ٣٦١.
٥٨. الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ١٥٤؛ البغدادي، الفرق بين الفرق: ص ٢٢.
٥٩. ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة: ص ٣٣.
٦٠. الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٧، ص ٣٥٣، الترجمة: ٤٨٧١.
٦١. منها: قول الإمام الصادق عليه السلام: «اللهم اشكرني في تلك الدماء، مضى والله عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى علي بن أبي طالب وأصحابه». ينظر: الطوسي، الأمالي، ص ٢٦٩ - ٢٧٦.
٦٢. الطبري، تاريخ: ج ٧، ص ٣١٠، و ٣٤٢.
٦٣. كنعان، مدعو المهدوية: ص ١٥١.
٦٤. تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٣٠٢.
٦٥. النوبختي، فرق الشيعة: ص ٥٢.
٦٦. النوبختي، فرق الشيعة: ص ٥٣.
٦٧. الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٦٧.

الهوامش

- تاريخ: ج ٧، ص ٥٦٠.
١٠٦. الطوسي، الغيبة: ص ٤٩.
٨٦. المصدر نفسه: ج ٧، ص ٥٦٠.
١٠٧. كنعان، مدعو المهديّة والسفارة: ص ١٧٥.
٨٧. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٢٤٧.
١٠٨. الفرقة التي تقول بإمامة الولد الأكبر، فقالت بإمامة عبد الله الأفطح الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق عليه السلام.
٨٨. الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ١٤٥.
١٠٩. الأشعري، مقالات الإسلاميين: ص ٨٧.
٨٩. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٢٤٧.
١١٠. المصدر نفسه: ص ٨٧.
٩٠. المسعودي، التنبيه والأشرف: ص ٢٩٥.
١١١. الأكوش، أدعياء المهديّة عبر التاريخ: ص ٦٨.
٩١. عمارة، محمد، المعتزلة والثورة: ص ٨٤.
١١٢. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٢٤٧.
٩٢. الطبري، تاريخ: ج ٧، ص ٦٠٩.
١١٣. ابن حماد، الفتن: ص ٢٩٣.
٩٣. الأشعري، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٧٣.
٩٤. جبل بنجد شرقي الطريق إلى مكة والأصل فيه أنه اسم لامرأة نُسب إليها الجبل. ينظر: ياقوت: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٤١.
٩٥. ابن حماد، الفتن، ص ٢٨٩.
١١٤. المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٢٢.
٩٦. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٢٧٣ - ٢٧٧.
١١٥. الطبري، تاريخ: ج ٨، ص ١٤٢.
٩٧. الطبري، تاريخ: ج ٧، ص ٥٢١.
١١٦. كنعان، مدعو المهديّة: ص ١٧٨.
٩٨. كنعان، مدعو المهديّة: ص ١٧٠ - ١٧١.
١١٧. النوبختي، فرق الشيعة: ص ٩٠ و ٩١ و ٩٥.
٩٩. الطبري، تاريخ: ج ٧، ص ٥٢١.
١١٨. كما استخدمها أحد وكلاء الإمام موسى بن جعفر وهو أحمد بن بشر السراج الكوفي، الذي كان ثقة في الحديث إلا أنه لطمعه في الأموال فقد أقام تمثالاً لموسى بن جعفر في بيته وكل يوم يعالجه بالطلاء ويناجيه ويسايره بحضور أتباعه المعتقدين بغيته، ويقول لهم إن الخلق محجبون عن رؤيته، إنما فوّض الأمر لي ولأولادي حتى يرجع إلى الأرض ويحكمها، وقد تبرأ الإمام منه قبل وفاته ولعنه. ينظر: الأشعري، سعد، المقالات والفرق: ص ٦٣.
١٠٠. كنعان، مدعو المهديّة: ص ١٧٢.
١٠١. الطبري، تاريخ: ج ٧، ص ٥٩٦.
١٠٢. السلمي، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ١٧٧.
١٠٣. نسبة إلى رجل من أهل البصرة اسمه عجلان بن ناووس. ينظر: النوبختي، فرق الشيعة: ص ٧٨.
١٠٤. الطوسي، الغيبة: ص ١٩٧.
١٠٥. البغدادي، الفرق بين الفرق: ص ٤١.

الهوامش

- ومواجهة -، ص ٢٩١ - ٣١٦.
١٢٢. النوبختي، فرق الشيعة: ص ٨٣-٨٤.
١٢٣. الأشعري، سعد، المقالات والفرق: ص ٨٦.
١٢٤. ينظر: غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسلامية: ص ٨٩ - ٩٠.
١٢٥. كنعان، مدعو المهدوية: ص ١٩٢ - ١٩٣.
١٢٦. المفيد، الإرشاد: ص ٢٢٩.
١٢٧. الجارودية: فرقة من فرق الزيدية، تنسب إلى أبي جارود. ينظر: النوبختي، فرق الشيعة: ص ٣٩.
١٢٨. الأشعري، المقالات والفرق: ص ١٨.
١٢٩. الطبري، تاريخ: ج ٨، ص ٥٣٨.
١٣٠. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٥٤٢.
١٣١. الكشي، رجال: ص ٤٣٢، الترجمة: ٥١٢.
١٣٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٥٤٥.
١٣٣. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٥٣٩.
١٣٤. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٥٣٩.
١٣٥. الشميطة، نسبة إلى يحيى بن شميطة، كان قائداً من قواد المختار الثقفي، ادّعت هذه الفرقة النص من الإمام الصادق عليه السلام على محمد بن جعفر، وأن أباه الباقر عليه السلام أخبره إن وُلد له ولدٌ ساه محمد. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١، ص ١٦٧.
١٣٦. النوبختي، فرق الشيعة: ص ٨٧.
١٣٧. كنعان، مدعو المهدوية: ص ١٩٩.
١٣٨. المصدر نفسه: ص ٥٧٧.
١٣٩. الطبري، تاريخ: ج ٩، ص ٧-٨.
١٤٠. ابن الجوزي، المنتظم: ج ٤، ص ٦٨٠.
١٤١. المسعودي، مروج الذهب: ج ٤، ص ٨.
١٤٢. المصدر نفسه: ج ٣، ص ٨.
١٤٣. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٥٨٣.
١٤٤. كنعان، مدعو المهدوية: ص ٢٠٢.
١٤٥. ابن الأثير، الكامل: ج ٧، ص ١٢٦.
١٤٦. المصدر نفسه: ج ٧، ص ١٢٧.
١٤٧. الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٤٢٩ - ٤٣٠.
١٤٨. الأشعري، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ١٤٢.
١٤٩. المصدر نفسه، ص ٢٥٧؛ النوبختي، فرق الشيعة: ص ١٠٣.
١٥٠. كنعان، مدعو المهدوية: ص ٢٠٥.
١٥١. المفيد، الإرشاد: ص ٣٣٨.
١٥٢. النوبختي، فرق الشيعة: ص ١٠٦.
١٥٣. الأشعري، المقالات والفرق: ص ١٠٧.
١٥٤. الطوسي، الغيبة: ص ٢١٩.
١٥٥. كنعان، مدعو المهدوية والسفارة: ص ٢٠٨.
١٥٦. الطوسي، الغيبة: ص ٢٢٦.
١٥٧. ينظر: الصدر، محمد محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٢٥٨ - ٢٨٦.
١٥٨. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي، كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٤٤.
١٥٩. المصدر نفسه: ص ٤٤٣.
١٦٠. كنعان، مدعو المهدوية: ص ٢١٠.
١٦١. النوبختي، فرق الشيعة: ص ١٠٨ و ١١٤ و ١١٥ و ١٩٧.
١٦٢. القرامطة: فرقة من فرق الإسماعيلية،

الهوامش

- بدأت أمرها من رجل يسمى المبارك، مولى لإسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام، وتنسب إلى رئيس كان لهم من أهل السواد من الانباط يلقب قرمطوية. ينظر: الأشعري، سعد، المقالات والفرق: ص ٨٣ و ٢١٣.
١٦٣. البغدادي، الفرق بين الفرق: ص ٣٤.
١٦٤. الأشعري، المقالات والفرق: ص ٨٣.
١٦٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ١٤٦ - ١٤٨.
١٦٦. الأشعري، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٩٨.
١٦٧. النوبختي، فرق الشيعة: ص ٨٤.
١٦٨. الأشعري، المقالات والفرق: ص ٨٣.
١٦٩. ينظر: ثامر، عارف، القرامطة، ص ٨٠ - ٩٩.
١٧٠. كنعان، مدعو المهديوية: ص ٢١٦.
١٧١. رجل مجهول لم تذكر كتب التراجم والسير شيئاً عن اسمه أو حياته أو وفاته سوى أن أباه تولى المظالم في حلب للوزير ابن الفرات وهو أحد وزراء المقتدر العباسي، ينظر: عريب، بن سعد القرطي صلة تاريخ الطبري: ص ١٦١.
١٧٢. ينظر: عريب، صلة تاريخ الطبري: ص ٩٤ - ٥٠.
١٧٣. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم: ج ٧، ص ٤٤٢.
١٧٤. رجل ظهر بين الكوفة وبغداد، يدعى أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر: ج ٨، ص ٥٩.
١٧٥. ابن الأثير، الكامل: ج ٧، ص ٣٣.
١٧٦. النوبختي، فرق الشيعة: ص ٨٤.
١٧٧. كنعان، مدعو المهديوية: ص ٢٢٠.
١٧٨. ابن تغري، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة: ج ٣، ص ١٦٦.
١٧٩. الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١٣، ص ٢٦٢.
١٨٠. ابن الأثير، الكامل: ج ٦، ص ٤٦٠.
١٨١. المصدر نفسه: ج ٦، ص ٤٦٣.
١٨٢. ينظر: المولى، القوي السنية في بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية: ج ١، ص ١٣٩.
١٨٣. المصدر نفسه: ص ١٤٠.
١٨٤. حسن، تاريخ الدولة الفاطمية: ص ٨٣.
١٨٥. كنعان، مدعو المهديوية: ص ٢٢٦.
١٨٦. لم ترد له ترجمة ولا سنة وفاة ولا من هو المستكفي هل اسم أبيه أم لقبه؟ ويبدو أنه نشأ في مصر. ينظر: ابن الأثير، الكامل: ج ٧، ص ٣٠٤.
١٨٧. مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم: ج ٥، ص ٣٦٠.
١٨٨. المصدر نفسه: ج ٥، ص ٣٦١.
١٨٩. كنعان، مدعو المهديوية: ص ٢٢٩.
١٩٠. الأكوش، أديعاء المهديية عبر التاريخ: ص ١٢٠ - ١٢١.
١٩١. المقرئزي، أتعاض الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء: ج ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٧.
١٩٢. المصدر نفسه: ج ١، ص ٢٣١.
١٩٣. ابن الأثير، الكامل: ج ٧، ص ٣٦٠.
١٩٤. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: ج ١، ص ٢٠٢.
١٩٥. كنعان، مدعو المهديوية: ص ٢٣٣ - ٢٣٥.



الهوامش

١٩٦. ينظر تفصيلاً: السند، محمد، دعوى السفارة في الغيبة الكبرى.
١٩٧. الطوسي، الرجال، ص ٤٠٢، الترجمة رقم: ٥٩٠١.
١٩٨. المصدر نفسه: ص ٤٠٢.
١٩٩. الطوسي، الغيبة: ص ٣٩٧.
٢٠٠. المصدر نفسه: ص ٣٩٧.
٢٠١. الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٨٤.
٢٠٢. البغدادي، الفرق بين الفرق: ص ١٩٢.
٢٠٣. المصدر نفسه: ص ١٩٢.
٢٠٤. الطوسي، الرجال: ص ٣٧٨، الترجمة: ٥٥٩٤.
٢٠٥. الأشعري، المقالات والفرق: ص ١٠٠.
٢٠٦. النوبختي، فرق الشيعة: ص ١٠٢.
٢٠٧. الأشعري، مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٨٤.
٢٠٨. ابن داود، الرجال: ج ٢، ص ٥١١، الترجمة: ٤٩٦.
٢٠٩. الكشي، رجال: ص ٣١٩، الترجمة: ٣٨١.
٢١٠. الطوسي، الغيبة: ص ٣٩٨.
٢١١. المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: ج ٥١، ص ٥٥٢.
٢١٢. الأشعري، المقالات والفرق: ص ١٠٠.
٢١٣. النوبختي، فرق الشيعة: ص ١٠٢.
٢١٤. الصدوق، كمال الدين: ص ٣١٤، ص ٤٢٤.
٢١٥. النجاشي، الرجال: ص ١٨١.
٢١٦. الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٣٢٠، الترجمة: ١٢٥٦.
٢١٧. الطوسي، الغيبة: ص ٣٩٩، ح ٢٧٤.
٢١٨. النجاشي، رجال: ص ٣٧٩، الترجمة: ٢١٢.
٢١٩. الطوسي، الغيبة: ص ٣٩٩، ح ٣٧٤.
٢٢٠. الصدوق، كمال الدين: ص ٤١٧.
٢٢١. الطوسي، الغيبة: ص ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٤٠٠.
٢٢٢. الطبري، دلائل الإمامة: ص ٢٧٧ - ٢٧٨.
٢٢٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٩، ص ١٩٦.
٢٢٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ١٤٠.
٢٢٥. الذهبي، تاريخ الإسلام: ص ٧٠، الترجمة: ٤٥.
٢٢٦. الطوسي، الغيبة: ص ٤٠١.
٢٢٧. الذهبي، تاريخ الإسلام: ص ٣٨.
٢٢٨. ابن الجوزي، المنتظم: ج ٨، ص ٣١.
٢٢٩. التنوخي، نشوار المحاضرة: ج ٦، ص ٨٣.
٢٣٠. ينظر: الصولي، قسم من اخبار المقتدر بالله العباسي: ص ٢٢٥ - ٢٢٧.
٢٣١. المصدر نفسه: ص ٢٢٦.
٢٣٢. ابن النديم، الفهرست: ص ٢٣٩.
٢٣٣. كنعان، مدعو المهدوية: ص ٣٩٥.
٢٣٤. المصدر نفسه: ص ٣٩٦.
٢٣٥. السلمى، طبقات الصوفية: ص ٢٠٧.
٢٣٦. ابن الأثير، الكامل: ج ٧، ص ٤.
٢٣٧. ابن الساعي، أخبار الحلاج: ص ٧٦ - ٨٩.
٢٣٨. ماسينون، لويس، الحسين بن منصور الحلاج (آلام الحلاج)، ترجمة: الحسين حلاج: ص ٥.
٢٣٩. مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق: ج ١، ص ١٨٥.
٢٤٠. الهاشمي، الفكر العربي جذوره وثماره: ص ٩٧.
٢٤١. غيبة الطوسي: ص ٣٠٣.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

المنقذ في الأديان الوضعية

دراسة تاريخية مقارنة

نور ناجح حسين^(١)

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَفَضَّلَهُ عَلَى الْخَلْقِ بِأَنْ أَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبِينَ، فَجَعَلَهُ أَفْضَلَ خَلْقِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْزَلَهُ دَارَ الدُّنْيَا دَارَ الْإِخْتِبَارِ لِيُخْتَارَ الْإِنْسَانُ مَنْزِلَتَهُ بِالْفِعْلِ، فَإِمَّا أَنْ يُطَلَّبَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهُ سَيِّدًا لَخَلْقِهِ، وَإِمَّا أَنْ يُخْتَارَ مَا تَخْتَارُهُ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الفرقان: ٤٤)، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ عَقْلاً يَهْدِيهِ وَيُرْشِدُهُ لِطَرِيقِ النِّجَاةِ لَوْ اتَّبَعَهُ فَهُوَ نَبِيٌّ بَاطِنُهُ، وَإِزَاءَهُ نَفْسُهُ تَطْلُبُ الدُّنْيَا وَزَيْتِيهَا فَلَوْ اتَّبَعَهَا لَهْلَكَ، فَكَانَ الْإِنْسَانُ مَتَّزِنًا خَلْقَةً فِي ذَلِكَ، وَبَعْدَمَا كَانَ الْإِخْتِبَارَ لِلْخَلْقِ بِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِتْنَةَ السُّجُودِ لَهُ، أَبِي وَاسْتَكْبَرَ شَيْطَانٌ مِنَ الْجِنِّ حَسِداً مِنْهُ لَهُ وَعِزَّةٌ فِي نَفْسِهِ، فَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَخْرَجَهُ مِنْ نَعِيمِهِ وَجَنَّتْهُ، فَتَوَاعَدَ وَأَقْسَمَ أَنْ يَضِلَّ عَنِ الصَّوَابِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (ص: ٨٣ / الحجر: ٤٠)، فَهِنَا أَصْبَحَ عَدُوًّا لِلْإِنْسَانِ: نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ وَالشَّيْطَانُ لِذَلِكَ لَطْفَ اللَّهِ بِالْبَشَرِ فَمَنْ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَةٍ ثَانِيَةٍ وَهِيَ أَنْ بَعَثَ لَهُمْ مِنْهُجَاً لَوْ اتَّبَعُوهُ لَنَجَّوْا.

هَذَا الْمُنْهَجُ يَحْمِلُهُ أَفْرَادٌ مِنْهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَتِمَكَّنُ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ وَهُمْ الْمُخْلِصُونَ، فَأَصْبَحَ لِلْإِنْسَانِ نَاصِرَانِ، هُمَا: الْعَقْلُ، وَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْمُعْصُومُ مِنْ





الخطأ المخلص الذي لا يقع بشباك الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (ص: ٨٣) وهؤلاء هم المعصومون من الأنبياء والخلائف الربانيين، فبدأ النزاع بين البشر والشيطان والنفس والعقل، بين الحق والباطل، وكل البشر - الصالحون منهم والمستضعفون - يأملون ذلك اليوم الذي يعمّ به الحق ويظهر العدل بعد ظهور الفساد وكثرة جنود الشيطان في أرجاء المعمورة، لذا كان الأمل في المنقذ والمخلص جزءاً من فطرة الإنسان، فضلاً عن أن الرحمن وعد به في كل كتبه ورسالاته.

إن أهمية هذا الموضوع تكمن في تأكيد جميع الأديان واجتماعها على فكرة المنقذ، ما يوجنا إلى معرفة كل منقذ لكل ديانة سماوية أو وضعية على وفق دراسة تاريخية مقارنة تتسم بالموضوعية، ولذلك جاء عنوان (المنقذ في الأديان - دراسة تاريخية مقارنة) (٢).

ولعلّ هناك دوافع عدّة كمنّت وراء اختياري لهذا الموضوع أهمّها سعة انتشار (عقيدة المنقذ في الأديان) واهتمام الأديان بهذه العقيدة من قبل شرائح واسعة في مجتمعات مختلفة في الدين والمعتقد.

هذا البحث الذي جاء تحت عنوان (المنقذ في الأديان الوضعية) حاولت من خلاله إبراز أهم معالم (المنقذ) في الديانات الوضعية (الهندوسية والبوذية والزرادشتية) في ثلاثة مباحث، فيما خصص المبحث الرابع لعقد مقارنة لمفهوم المنقذ بين تلك الأديان وقد كان منهج البحث المتبّع في هذا البحث هو المنهج الوصفي إلا في المبحث الرابع فقد أتبعت منهج البحث التاريخي المقارن، ثم تلى فصول الدراسة خلاصة تضمّنت أهم النتائج التي توصلت إليها بعد البحث والتقصّي وأردفت ذلك بثبت للمصادر والمراجع اعتمدت عليها في إنجاز هذا البحث.

المبحث الأول: المنقذ لغة واصطلاحاً:

أولاً: المنقذ لغةً:

لقد وردت لفظة المنقذ في الكثير من المصادر اللغوية مع الاختلافات بين مؤلفيها، فيقول ابن منظور: (نقذ: نَقَذَ يَنْقُذُ نَقْذًا: نجا؛ وَأَنْقَذَهُ هو وتَنَقَّذَهُ واستنقذه. والنَّقْذُ، بالتحريك، والنقيذ والنقيذة: ما استُنقِذ وهو فَعَلَ بمعنى مفعول مثل نَفَضَ وَقَبَضَ^(٣). فالمنقذ اسم فاعل من الفعل الثلاثي المزيد نَقَذَ يَنْقُذُ منقِذاً واستنقذ^(٤)). أنقذه من فلان، واستنقذه منه، وتنقذه بمعنى، أنجاه وخلصه والنقذ بالتحريك: ما أنقذته، هو فعل بمعنى مفعول، مثل نفض وقبض^(٥).

والنقائد: من الخيل: ما أنقذته من العدو، وأخذته منهم، الواحدة نقيذة. ومنقذ: اسم رجل^(٦).

و(نقذ) النون والقاف والذال أصل صحيح يدل على استخلاص شيء وأنقذته منه خلصته^(٧). وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٠٣) ذكر الراغب في مفردات ألفاظ القرآن (الإِنْقَاذُ: التَّخْلِيصُ مِنْ وَرْطَةٍ)^(٨).

وقد جاء في المخصص عن (التنقذ والإطلاق: أنقذته وتنقذته واستنقذته والنقذ والنقيذ والنقيذة - ما استُنقِذ ونقذ هو يَنْقُذُ نَقْذًا - نجا ورجل نقذ - متنقذ ومنه خيل نقائد - تُنْقِذُ من أيدي الناس)^(٩).

(أنقذه من البؤس واستنقذه، وتنقذه وقد نقذ نقذا إذا نجا، وتقول العرب نقذاله إذا دعوا له بالسلامة وهو نقيذة بؤس وهم نقائد بؤس إذا استنقذوا منه، وهذا الفرس أو البعير أو غيرهما من النقائد وهي ما أخذه العدو وتملكه ثم رجعت فأخذته منه وتنقذته من يده وهو نقيذ ونقيذة ونقذ)^(١٠).

من النصوص السابقة يتضح أن أغلب التأويلات والتعريفات تتفق على أن

المنقذ هو من الانقاذ والتنقيذ والاستنقاذ والتخليص، وهذا ما تميل له الباحثة وتؤيده لأنه الغالب والأقرب إلى المعنى الحقيقي الدال للمفردة.

ثانياً: المنقذ اصطلاحاً:

جاءت لفظة المنقذ لتشارك وترادف في معناها ألفاظاً أخرى كالمخلص، والموعدود، والمنتظر، والمهدي، والمصلح، وأصبحت تشارك هذه الألفاظ التي حملتها بطون الكتب والروايات لتصبح لقباً للشخص الذي يقيم دولة السماء على الأرض، الرجل الذي يحكم الدولة الكبرى بالعدالة المطلقة، لذا أصبح هذه اللفظة معنى اصطلاحياً - دينياً تشاركتها الأديان، كل حسب تسميتها لهذا الشخص، ومما يبدو لي أن هذه التسمية أخذت حضوراً واسعاً في كتب الأديان والمعتقدات الإنسانية تشاركت في وحدة المعنى وترادفت في الاصطلاح وتنوعت في التسميات لكنها في حقيقتها صورة واحدة لدلول واحد هو المنقذ الذي تنتظره كل الأديان مع اختلافها واختلاف تشخيصها لهوية هذا الشخص فاصبح هذا اللفظ من الناحية الاصطلاحية هو المعنى الشامل لذلك الرجل المنتظر، الذي سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وقد حمل الاعتقاد بهذا المنقذ المنتظر فكرة حكومته الشاملة الكاملة العادلة أكثر الأديان بل جميعها (فكرة المهدي وظهور قائده في آخر الزمان موجودة في كثير من الأديان)^(١١).

وقد كان أصحاب الرسائل السماوية والدعوات الإصلاحية حتى الوضعية منها يحملون هذه الفكرة ويمهدون الطريق لهذا المنقذ الموعدود الذي يتأملون مجيئه ليملاً الأرض عدلاً وسعادة، وهذا سرُّ ديمومة الفكرة وتناقلها، فقد روي عن كعب الأحبار (ت ٣٧هـ / ٦٥٧م) قوله: (إني أجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء، وما في عمله ظلم ولا عيب)^(١٢)، فصارت محطّ تشارك أفكار البشرية التي تنتظر مخلّصاً لها ينقذها من الشر الذي طغى على الأرض وينير ظلمة أيامها.

ثالثاً: المنقذ في اللغة العبرية:

وردت في هذه اللغة معانٍ عديدة لهذه المفردة، لكن هذا المعنى الذي نوردته الآن هو الأشمل والجامع لكل مرادفات تلك المعاني، (מִשְׁתַּלֵּם، المنقذ، المخلص، المنجي، الغائب، من الفعل العبري الثلاثي "ש-ל-ת" انقذ، خلص، انجى وأغاث، والمصدر منه "שְׁלֵוֹת" غوث وخلص وانقاذ)^(١٣) ומָא מְשִׁיחַ فهو لقب للملك أو منصب الذي يمسك بالسمنر المقدس مثل الكاهن، والمنقذ هو لقب المنقذ الموعود لشعب إسرائيل الذي سيأتي في آخر الزمان بعد ظهور مبشره الياهو النبي^(١٤).

وعلى ذلك فإنني اعتقد بأن المنقذ في الاصطلاح العبري هو ذلك الشخص المقدس المسدد الذي سينقذ البشرية من الظلم والجور ويقودها إلى عبادة الله ويمنحها الحرية التي أوصى الله بها. ويعد المنقذ أمل العالم لدى جميع الشعوب، وبذلك أصبحت كلمة المنقذ هي تلك الكلمة التي ترتبط ارتباطاً مباشراً ودقيقاً بمن سينقذ البشرية وهو ذلك المبشر والمهدي والفادي في الأديان. وكلها مصطلحات يراد بها ذلك الشخص الموعود والمكلف من قبل الله سبحانه وتعالى بأن يكون خلاص الأمة على يديه.

فكلمة منقذ (تخص بعملية انقاذ الشيء - سواء كان عاقلاً أم غير عاقل - من الهلاك، ولكن بعد أن أُطلقت هذه الكلمة على ذلك الشخص المسدد الذي سيعمل على تحرير الأمة من الظلم والقهر أصبح لها مدلول ديني، أي أنها أصبحت مصطلحاً دينياً مرتبطاً بذلك الشخص الذي سيكون واجبه هو خلاص البشرية)^(١٥).

والمسيحانية: هي مجموعة عقائد دينية لنهاية الزمان، النقطة المركزية في هذه العقائد هي شخصية المنقذ الذي سيقود شعبه، وتضم الأفكار والآمال والأمانى الموعودة التي تعود إلى فترة خيرة جداً (عهد و زمن المنقذ)؛ فالحركة المسيحانية



هي التعبير الفعلي للعقائد المشيكانية و المشيخ اصطلاحاً هو الشخصية المركزية في العقيدة اليهودية التي ستقود اليهود في نهاية الزمان، ويتميز عهدها بأنه عهد خير ورفاهية وتمثل الركن الأساس في العقيدة المشيكانية التي ستحقق أهداف اليهود وطموحاتهم وأملهم^(١٦).

رابعاً: المنقذ في اللغة اللاتينية (الإسبانية):

لقد ترادفت واجتمعت كلمات هذه اللغة حول معنى 'المنقذ لتؤيد جميعها المعنى' المشتق من الفعل (Salvare) والذي يعني الانقاذ أو التخليص أو حرية شخص أو شيء.

Salvare: - Exculpara queno valga lo borrado^(١٧).

والمنقذ في الاصطلاح اللاتيني: هو المخلص الذي ينقذ، وهو أحد أسماء السيد المسيح الذي يسمى 'بمنقذ العالم الذي خلص البشر من الخطيئة والموت الخالد'^(١٨).

(Salvator,otir) adj.

Quesalva.U,t,C,S.2.M.POR ANTONOM Jesucristo,aquien Tambiense nombra Salvador delmundo ,porhaber redi-mido al hombre del pecado Yde la muerte eternal^(١٩).

مقدمة البحث المستل من رسالة المنقذ في الأديان - دراسة تاريخية مقارنة:

لقد كانت ومازالت الأهمية الكبيرة للدين تأخذ حيزاً كبيراً من حياة البشرية، وأصبحت الحاجة إلى الاعتقاد بمنظومة عقائدية وفكرية أمراً لا بدّ منه لإدامة حياة الإنسان وإتمام الجانب الروحي من جوانب حياته، لذا نرى التوجه الفطري نحو إشباع هذه الحاجة بما لها من دور كبير بمنح الإنسان الاستقرار الروحي والإدراك الفكري.

لذلك نجد البشرية تُخلق دوماً في حيّز وجوب التدين والاعتقاد بمنظومة



فكرية تضيء الروحانية والاستقرار على الحياة الإنسانية، على الرغم من اختلاف التوجه نحو الأديان وأنواعها ودرجة كمالها باختلاف منشأ ومصدر كل دين، وباختلاف حيثيات وطبيعة كل ديانة، إضافة إلى اختلاف أمزجة البشر وإدراكهم لها، لذا ترى بعض الناس تؤمن بالإسلام أو المسيحية أو اليهودية من الأديان السماوية بالمقابل أن البعض قد توجه إلى الاعتقاد بالأديان الوضعية، وخصوصاً إذا كانت الأرض خصبة كما في مهد الحضارة في الشرق، ومثال ذلك حضارة وادي الرافدين حيث توفرت البيئة التي تبلور فيها الفكر الإنقادي والخلص، حيث قامت أول الشرائع وتبلورت فكرة الدولة وتحول إليه الخصب إلى مخلص للبشر من العالم الفاني إلى عالم الروح الباقي، وهذا ما يتبين في ثانيا ملحمة گلگامش في بحث الإنسان عن العدالة باعتبار ذلك من حق كل إنسان، وأخذت هذه الأفكار تتبلور ثم ظهرت في شرائع حمورابي^(٢٠).

ورغم الاختلاف في مصدر الأديان فالبعض منها سماوي والبعض وضعي (أرضي)، لكنها اشتملت على المشتركات، فكل الأديان تسعى إلى سعادة البشر وتنظيم حياتهم اليومية بما تشتمل عليه من أصول لمعاملات أو أخلاق أو ركائز قيمية أو أيديولوجيا عقائدية هدفها الوصول بالبشر نحو الكمال والسعادة الأبدية، لكنها تشاركت على وفق هذه الأهداف بعدة معطيات عبادية وفكرية، وأن هذا التشارك في بعض المعتقدات يشير إلى حقيقة جوهرية فطرية موجودة في الطبيعة الروحية البشرية، لذا أصبحت كل ديانة حتى لو كانت وضعية من صنع البشر لكنها تفسر الحاجة الفعلية لهذه العقيدة، ولذا أحاطته بوافر من الرعاية والاهتمام كما هو الحال بالنسبة لضرورة الاعتقاد بوجود الإله والاعتقاد بوجود الصالحين المدافعين عن الحقيقة والضعفاء، كما هو الحال بالاعتقاد بوجود المنقذ الذي سيأتي ليزيح الظلام عن الأرض وسيزرع الورد محل الشوك وسيحرق الشر لتعود الأرض بثوبها الأخضر الجميل من جديد^(٢١).



وتجدر الإشارة إلى أنّ المدارس الفكرية المادية ومذاهبها العقائدية الماركسية أيضاً اعتقدت في أسس مفاهيمها الجدلية بعقيدة الإصلاح واليوم الموعود الذي تتحقق فيه التطلعات البشرية في نيل حياة سعيدة ومترفة، وانتشرت هذه المدرسة وازدادت أهميتها (كونها مبشرة بمستقبل سعيد تزول فيه الآلام وتتحقق فيه الآمال... يكون هو نتيجة الأعمال والجهود البشرية... وخاصة الواعية والهادفة منها)^(٢٢).

والاعتقاد بهذا المستقبل الضروري هو الوجود القطعي التحقّق الذي كان من أبرز الأسباب التي أدت إلى انتشار المدارس المادية كونها تحاكي العواطف البشرية التي أنهكتها المآسي والآلام المكبوتة والتي لا بدّ أن تمر بها البشرية من أجل استحقاق العيش بسعادة فيما بعد، بعد أن تمر بمختلف أنواع الآلام لكي تمحص وتدخل دائرة الاختبار، بُغية تطهيرها من الأهواء والنزعات النفسية الأنانية، إن هذا التطهير هو مقدمات مجيء اليوم الموعود، (وحيث إنّ هذا اليوم السعيد قطعي الحدوث، لكونه هو الهدف الأعلى من وجود البشرية، إذن تكون أسبابه ومقدماته قطعية الحدوث أيضاً)^(٢٣).

وقد تفاعلت هذه العقيدة لتدخل في النطاق الأدبي المادي لترسم مرة على شكل رواية تحاكي وجدان الإنسانية بضرورة وجود اليوم الموعود وصاحب هذا اليوم الموعود، ومرة أخرى على لسان أدباء مشهورين يصفون المنقذ بأنّه الإنسان الكامل الذي يكون حامياً مدافعاً مناصراً منقذاً للبشر عند الأزمات واندلاع المشاكل التي تهب كالنسيم في الهشيم، وعندها لا بدّ من وجود الإنسان الخارق الذي يخرق القوانين الطبيعية بما يتمتع بقوى واستعدادات مثالية تجعل القانون الطبيعي لا يسري عليه^(٢٤).

وينقل العقاد عن المفكر الإيرلندي (برناردشو) في وصفه للمصلح ولزوم أن يكون عمره طويلاً قبل ظهوره: (إنّه إنسان حي ذو بنية جسدية صحيحة

وطاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل، ويطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائة سنة ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار حياته الطويلة)^(٢٥).

وكذلك أشارت العديد من الكتب الفكرية إلى ضرورة الاعتقاد بالمصلح الموعود^(٢٦)، بل ذهب بعض الكُتّاب إلى صب الفكرة بقالب أدبي أو فني، ويتجلى ذلك بمسرحية تتحدث عن حالة الانتظار والترقب للمؤلف الأديب الإيرلندي (صموئيل بيكيت) فقد خط هذا الروائي الكبير مسرحيته على جيد الزمن الجدلي والفن العبثي ليلائم الأجوبة الحائرة الدائرة في نفوس البشرية وهي تتظر منقذاً أسماه غودو (جودو) التي تبين طبيعة أبطال المسرحية وحالهم المأساوي وهم ينتظرون منقذاً يأتيهم قرب الشجرة ليمسح عنهم عذابات السنين، وهذا الانتظار والترقب مستمر يوماً بعد يوم إلى أن تنتهي أحداث المسرحية على أمل المجيء في الغد وانتظار (غودو) مجدداً^(٢٧).

لهذا يمكن القول بأن العقيدة الخلاصية الإنقاذية لم تختزل داخل الأديان الوضعية التي صاغتها اليد البشرية، بل تعدتها إلى المذاهب الفكرية المادية التي صاغتها اليد البشرية أيضاً، لتنبئ عن حقيقة جوهرية تحملها الفطرة الإنسانية، لتصبح حتمية بديهية، متحصلة من عدة حتميات، وهي حتمية أن العالم مخلوق للسلام، وأن الحرب أمر طارئ، وحتمية أن العالم مخلوق للمحبة والوئام، وأن البغض والشحناء أمر طارئ، وحتمية أن لا بد أن يزول الظلم، لأن الحق هو الذي لا بد أن يسود على وجه البسيطة، وهذا الإيمان العقائدي (يشمل المدارس الفكرية والفلسفية غير الدينية فالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات تؤمن بأن الانحراف وآفات الضلال والجهل والظلم لا بد أن تنهزم أمام إرادة الحق والسلام والعدل، ولا بد أن هناك يوماً موعوداً تتلاشى فيه التناقضات ويسوده الوئام والسلام)^(٢٨).

وما سنتناوله في هذا البحث يقع ضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: المنقذ في الديانة الهندوسية:

المطلب الأول: الهندوسية:

تعدّ الديانة الهندوسية من أقدم الديانات الوضعية، فهي أشبه بنظام أخلاقي فكري عبادي يتبع أيّدولوجية فكرية معينة مبنية على أسس وطقوس عبادية ونظام روحي متناغم معها، قامت على أطلال الديانة الويدية^(٢٩)، (وتشربت أفكارها وتسلمت عن طريقها الملامح الهندية القديمة والأساطير الروحانية المختلفة التي نمت في شبه الجزيرة الهندية قبل دخول الآريين^(٣٠)، ومن أجل ذلك عدّها الباحثون امتداداً للويدية وتطوراً لها)^(٣١).

وقد أطلق عليها بعض الباحثين تسميات منها: الهندوكية لأنّها تمثل تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم^(٣٢)، وكذلك سميت بالبرهمية^(٣٣). والتي تتطلب الكثير من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين^(٣٤).

والهندوسية هي أشبه ما تكون بمنظومة متعددة من المفاهيم والأنظمة العقائدية والعادات والتقاليد والطقوس، (تطورت مع الحياة وليس لها صيغة محددة، ولهذا فيها من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار أو ما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة)^(٣٥).

ولهذا لم يعرف لهذه الديانة مؤسس أو يد واضعة^(٣٦).

كتاب الهندوسية المقدس هو الويدا أو الفيديا^(٣٧) والذي هي بالأحرى كتب عديدة تحمل مواضيع شتى تشمل الآلهة والتناسخ والخلق والمقدسات والمحرمات والتي كانت بالأصل تعاليم شفوية دونت باللغة السنسكريتية^(٣٨) القديمة في الفترات المتفاوتة من الزمن وإن كانت معظمها عسيرة الفهم غريبة اللغة، وبدأ الكهنة بتدوين هذه الكتب في (٩٠٠ ق.م)^(٣٩).



وتنقسم هذه الكتب على أربعة أقسام: وهي كما يأتي^(٤٠):

ريغ فيدا (RIG VEDA).

ياجور فيدا (YAJUR VEDA).

وساما فيدا (SAMA VEDA).

وآثار فيدا (ATHAR VEDA).

المطلب الثاني: نظام الطبقات المجتمعي الهندوسي:

إن المتبع لأصول الديانة الهندوسية والمتمعن في شرائعها يستطيع أن يصل إلى أن هذه الديانة قد قسمت المجتمع الهندوسي إلى أربع طبقات وفق تلك الشرائع، وتم إعطاء هذا التقسيم هالة من القدسية والتعظيم بحيث لا يمكن معارضته أو نكرانه أو الابتعاد عن أساسياته التي أقرها الكتاب المقدس الهندوسي في حديثه عن الخلق وكيف بدأت الخليقة^(٤١)، والتقسيمات تلك هي كما يأتي^(٤٢):

١ - البراهمة: وهم (الكهنة وعلماء الديانة والمعلمون والمثقفون وحافظوا المعرفة والحكمة).

٢- والكشتاريا: وهي الطبقة الحمراء المتكونة من الحكام والجنود وحماة المجتمع والمتعلمين والقائمين على شؤونه.

٣- الويشي: وهي الطبقة الصفراء المتكونة من التجار والزراع والمسؤولين على توفير الرخاء الاقتصادي والاستقرار المعيشي.

٤ - الشودرا: الطبقة السوداء المتكونة من المنبوذين وأهل الحرف اليدوية وحفاري القبور والعاملين في معامل الجلود والعبيد والقباضين على الحيوانات وهي أدنى طبقات المجتمع في الشرائع الهندوسية^(٤٣).

مبدأ التثليث الهندوسي:

بدأ هذا المبدأ بالبروز في العقائد الهندوسية في القرن التاسع (ق.م) تقريباً

(وقد جمعوا الآلهة في إله واحد يشتمل على عدة مظاهر تمثلت بالخلق وأخرى في الحفظ والحماية والمظهر الأخير هو المهلك والمعدم)^(٤٤).

وكذلك فتح الهندوس الباب للمسيحيين ليصوغوا عقيدة التثليث فيما يسمى 'تثليث في وحدة، ووحدة في تثليث'^(٤٥)، فإن الله في الهندوسية يظهر بثلاثة مظاهر بقولهم: (فالإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام، ولكنه في الحقيقة واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعها، أو عبد الواحد الأعلى)^(٤٦)، وللهندوسية طقوس خاصة في العبادة والصلاة والحج إلى الأماكن المقدسة الهندية^(٤٧)، وأمّا الزواج والنظام الأخلاقي فهما من أبرز الأسرار التي تجب مراعاتها والحفاظ على قدسيتها ويؤمن الهندوسي بقانون (الكرما)^(٤٨)، أو الكرمان (المجازاة) فكلما كان المرء صالحاً كان سريع الاتحاد بالإله الأعلى وينعم بهذا الاتحاد^(٤٩).

المطلب الثالث: مظاهر عقيدة المنقذ في الديانة الهندوسية:

لقد اتخذت عقيدة المنقذ مستويات عدة على حسب تطورها ومسيرتها لتجدها تعبر عن صورة الخلاص بمظاهر وسبل كثيرة، وهذا دليل على أنها محط الآمال والأمان، فالواقع الميرير يجعل الكل يريد الخلاص منه، ينتظر السبل التي تؤدي إلى الإنقاذ من هذا الواقع، وعندها تصبح هذه السبل التي تؤدي إلى غاية الإنقاذ هي أهم الوسائل التي تنال القداسة والتعظيم، فمن ضرورة الاعتقاد عند موت الإنسان هو أن تخرج روحه من هذا الجسد ويتم إنقاذ الروح بحرق الجسد في النار المقدسة مما يؤدي إلى إنقاذها من سجن الجسد سريعاً، حتى تحل في جسد آخر^(٥٠). ولهذا اكتسبت النار هذه القداسة في الديانة الهندوسية.

أمّا الخلاص في هذه الديانة فيتجسم في شكلين هما:

الشكل الأول: يتحقق عن طريق نظرية الموت (الانطلاق) والعودة بعدة



أشكال منها حيوانية ومنها مادية إلى أن يتحقق الخلاص النهائي باندماجها بالكون والعودة إلى الأصل إلى الكل^(٥١).

ويتحقق هذا النوع من الانقاذ بعدة طرق، وأولى هذه الطرق هي (الكارما): وتعني التأكيد على العمل والقيام به خير قيام، وتقوم على أن كل عمل يقوم به الإنسان له نتيجة حتماً، فالجزء من جنس العمل، وأن طبقات الناس من رفيع ومتوسط ووضيع ما هي إلا نتاج الأعمال، وأن الإنسان لا يحاسب على عمله في هذه الحياة، وإنما في حياة ثانية ويغدو المرء جزء أعماله السيئة التي ارتكبها بجسمه في خلقته الثانية جماداً، والتي ارتكبها بلسانه طيراً أو حيواناً، وينحط إلى الفرق السافلة نتيجة ارتكابه سيئة بعقله، وامتداداً لفكرة الجزء الذي لا يتناسب مع العمل، اضطر رجال الدين الهندوس إلى ابتكار نظرية تناسخ الأرواح، وتعتبر الطريقة الثانية من طرق النجاة والخلاص، فاعتبرت الحياة عبارة عن مسيرة طويلة منذ فجر التاريخ يقطعها الإنسان على قدميه، وتعتبر أن موت الجسد لا يعني انتهاء المسيرة فكلما مات الجسد ولد له آخر، وأن التعاسة والشقاء التي يعانها الفرد في حياته الراهنة ما هي إلا نتيجة أعماله في حياته السابقة، وأكد رجال الدين الهندوس أن الفلاح والخلاص يتحقق من خلال الاندماج بالروح الأعظم، وهذه الفكرة - أي الانطلاق والاندماج - هي محاولة النفس الإفلات من دورات تجوالها ونتائج أعمالها^(٥٢).

وهناك ثلاثة طرق يستطيع الإنسان من خلالها الاندماج (ببراهما)^(٥٣):

١ - طريق المعرفة وذلك عن طريق التأمل في الروح الإلهية.

٢ - طريق العمل وأداء الطقوس الدينية على أكمل وجه.

٣ - الإيمان المطلق بإله بذاته.

الشكل الثاني: يتحقق بوجود المنقذ المخلص المصلح، وبالنسبة لطبيعة هذا المنقذ فنرى ذلك جلياً في أحد مظاهر الثالوث وهو مظهر الإله (فيشنو) - الإله



الحافظ - الذي يأتي ليساعد البشرية عند الأزمات أو سقوطها بمزالق الأزمنة. وتتمحور هذه الفكرة حول تجسد المنقذ والإله (فيشنو) وعودته لإنقاذ البشرية من الظلم والبؤس هي الفكرة الناضجة والمتبلورة التي استند عليها الفكر الهندوسي وبقية الأديان الأخرى، ففكرة التجسد والتقمص تعني تجسد الإله في جسد إنسان، إذ يتجلى فيه ليهدي البشر، وتسمى باللغات الهندية (اوتار).

والإله (فيشنو) - واحد من الثالوث الهندوسي أي أحد الآلهة الذين يسيطرون على العالم وهم: (براهما) الخالق و(فيشنو) الحافظ و(شيفا) المدمر، وقد انتشرت هذه العقيدة بين الطبقات المظلومة وغطت جميع العقائد حتى اضطرت الكهنوتية الآرية إلى الاعتراف بها والتجاوب معها حيث احتل الإله (فيشنو) - مكان الصدارة في الديانة الهندوسية.

ويعتقد الهنود أن الإله (فيشنو) يعمل على انقاذ البشرية من هلاك مخفف على الأرض من وقت إلى آخر نزل لتسع مرات، وتبقى المرة العاشرة التي ينتظر أن يظهر بها^(٥٤)، فقد آمن الهندوس بأن منقذهم (فيشنو) يأتي على شكل تجسّدات بحسب مقتضيات الموقف أو الأزمة التي تمر بها الإنسانية، فقد تجسّد على شكل سمكة لإنقاذ (مانو) من الفيضان، وتجسّد على شكل قزم اسمه (فامانا) لإنقاذ الآلهة التي تسكن الأرض من سيد العفاريت الشرير (بالي)^(٥٥).

ثم يأتي المظهر الأخير للإله (فيشنو) متجسّداً على شكل رجل يمتطي فرساً أبيض وشاهراً سيفه، وهناك وصف للسيف تشبيهاً له بالنجمة المذبذبة كناية عن شدة قوته و سطوع نوره الذي سيبدد الظلام وتنعم الأمم بالسلام، هذا المظهر هو العاشر لظهور (فيشنو) وسيعيد الخلق إلى طراوتها ونقاوتها^(٥٦). والإله (فيشنو) له مظاهر متجسدة كثيرة منها (كريشنا - وراما)، ويعتقد



الهندوس أن حلول الإله (كريشنا)^(٥٧) هو حلول اللاهوت في الناسوت كما يعبر المسيحيون عن المسيح ويصفونه بأنه البطل الذي قدم نفسه فداءً للبشرية عن ذنبها الأول، ويزعم الهندوس أن مخلصهم قد قُتل مصلوباً على شجرة وهبط إلى الجحيم وصعد إلى السماء على أن يعود في اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم، ويعتقد الهندوس بقدم (كريشنا) في اليوم الآخر على شكل فارس مدجج بال سلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء^(٥٨).

فإنه لا بد بعد كل ليلٍ حالك مظلم من المصاعب وآهات الزمان أن تشرق شمس لمنقذ ينقذهم ويرعاهم كما هو الحال بالنسبة للمنقذ الإله (كريشنا) (حينما يمتلئ العالم بالظلم يظهر الشخص الكامل الذي يسمى 'يترنكر: المبشر) ليقضي على الفساد ويؤسس للعدل والطهر... سيُنجي كريشنا العالم حينما يظهر البراهميتون)^(٥٩).

وفي نص آخر إشارة إلى إحياء الأرض بعد موتها، فتدب الحياة فيها على يديه (مُجدد الدنيا في آخر الزمان وتُحيى، ويظهر قائد من أولاد إمامي العالم العظيمين: أحدهما ناموس آخر الزمان، والآخر الصديق الأكبر)^(٦٠).

أمّا اسم صاحب الملك الجديد فهو ((راهنما))، يكون ملكاً بالحق، وخليفة (رام)، وصاحب المعجز، كل من لجأ إليه واهتدى بدين آبائه يكون أبيض الوجه عند (رام))^(٦١).

ويستمر سلطانه وتطول أيامه وتزداد سطوة ملكه وقوته لتشمل بقاع الأرض (ودولته طويلة الأمد، وعمره. أي ابن الناموس الأكبر. طويل، وتنتهي الدنيا به، ويسخر من ساحل البحر المحيط، وجزائر سرانديب، وقبر الأب آدم عليه السلام، وجبال القمر، إلى شمال هيكل زهرة، وإلى سيف البحر والمحيط)^(٦٢).

وعندها ستتشر عبادة التوحيد وتكون هي العبادة المهيمنة في الأرض حتى

لا يكون هناك معبد يعبد غير الإله (رام) فيه (ويهدم معبد الأصنام (سومنا) و(ججرنا) بأمره ينطق ويسقط، ثم يحطمه ويلقيه في البحر، ويحطم كل صنم أينما كان)^(٦٣).

المبحث الثاني: المنقذ في الديانة البوذية:

المطلب الأول: نشأة الديانة البوذية:

نشأت الديانة البوذية كنظرية جديدة إصلاحية لحل المشكلات المرتبطة بنظام الطبقات الهندوسي، وَرَدَّة فعلٍ مناهضة للتعسف والإجحاف الناتج عن بعض القوانين التي يفرضها البراهمة على الهندوسيين وخاصة من أبناء الطبقات الدنيا كطبقة الـ(شودرا) طبقة العبيد والخدم^(٦٤)، ورغم أن الديانة الهندوسية لا يُعلم من أنشأها، فعلى العكس منها الديانة البوذية فإنها تنسب لمؤسسها (بوذا) - الرجل المستنير - أو - المعلم - لقد ولد (سدهاتا) في عام (٥٦٣ ق.م)^(٦٥) في مدينة (كايبلا فاستو) تقع الآن على الحدود الهندية النيبالية، وُلد يتيماً بعد أن توفت والدته في الأسبوع الأول بعد ولادته، وعاش في نعيم مترف لأنه سليل الأسرة المالكة المترفة من قبيلة (ساكيا) التي تملك الأراضي الواسعة، واعتنى به أبوه ووفّر له كل وسائل الترف واللهو والطرب، كي يشيح ببصيرة فكره عن الأفكار التي تتعلق بالتفكير بآلام الناس وزوال النعم والملذات وقصر الحياة وزوالها وتقلبها من حال إلى حال^(٦٦)، لكنه وفي سن التاسعة والعشرين فرّ من قصر أبيه تاركاً زوجته وولده، هائماً في البراري والغابات مع ناسكين تتلمذ على أيديهما فترة من الزمن، لكنه تركهما بعد أن علم أنهما ينهجان حياة النسك لتحصيل القدرات الخارقة والطاقات العظيمة وتسخيرها لذاتهما، أمّا هو فكان يريد الوصول للمعرفة الحقّة والحقيقة المطلقة الأزلية، والاستنارة بها وتحصيل حكمتها، فلم يرُق له البقاء معها، لذا سلك حياة النسك مع رهبان ناسكين وكان يشدد على نفسه وكان



أكثرهم تقشفاً وتأملاً وانغماساً في الزهد وأكثرهم تجرعاً لآلام الجسدية، لذا اختاروه معلماً لهم^(٦٧).

وبعد فترة طويلة من نهج حياة الزهد هجر هذه الحياة لأنه لم يحصل على ضالته من الحكمة، وتنكر لحالة التقشف وهجر رفاقه من الناسكين، وعاد إلى طعامه وشرابه وكسائه وتوقف عن إماتة الشهوات بالجوع، وتبنى منهج العقل السليم في الجسم السليم، ففرق عنه النساك، ولذا بقي وحيداً يسير وحده في الأراضي، حتى وصل إلى شجرة سميت فيما بعد بشجرة العلم أو الشجرة المقدسة، في غابة (أورويلا) فجلس تحتها ليتفياً بظلالها وقد سميت بعد ذلك بغابة (بوذاكيا)^(٦٨)، وبقي تحتها برهة من الزمن ليتناول طعامه، عندها حصلت له الاستنارة^(٦٩) التي كان ينشدها، فتجمع حوله الأتباع والمريدون، وبدأ بإرسالهم إلى القرى ليعلموا الناس شريعة (بوذا) الجديدة، التي أسماها بـ(النظام)، فتقبلوها خاصة الذين عانوا من نظام الطبقات، ثم وجدت طريقها إلى الصين لتنتشر تعاليم (بوذا) حتى تنافس الكونفوسوشية من حيث الانتشار والسعة وعدد المريدين^(٧٠).

بعد حصول (بوذا) على الاستنارة أو الـ(نيرفانا)^(٧١) فإنه قرر أن لا يحرم البشرية هذه الحكمة الكبيرة كما تشير المصادر، لذا قام بنشرها ليخلص الناس من الجهل والعمى، فقرر أن ينشر تعاليمه الجديدة التي أسماها النظام أو عجلة النظام وظل يسير هذه العجلة وينشر أتباعه بين أرجاء المناطق المحيطة ببلدة (بنارس) قرب جبال الـ(هملايا)، وكان يوصي أتباعه بالخلق والرحمة معتبراً معارضيهم من الناس بأنهم جهلة ومرضى أصحابهم العمى، وعليه مساعدتهم وإنارة دروبهم، لذا اتسم تلامذته الذين اختارهم بعناية خاصة، ليعثهم إلى القرى والمدن اتسموا بالرحمة وحسن الخلق والتواضع وحسن السيرة^(٧٢).

ولقد سجلت تعاليم (بوذا) بمجموعات مختلفة بلغة (بالي) وهي لغة

شبيهة بالسنسكريتية، وقد كتبت هذه الشرائع في سريلانكا حوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد وتألّفت من ثلاثة أقسام: أحاديث (سوترا بيتاكا)^(٧٣) والتي تقسم على خمسة أقسام وقانون الرهينة (فينابا بيتاكا)^(٧٤) والذي يحتوي قوانين سلك الرهينة، وكذلك أطروحات علمية (الهيداما بيتاكا)^(٧٥) وهي مجموعة أعمال علمية متأخرة قليلاً^(٧٦).

الحقائق البوذية الأربعة:

١ - طبيعة المعاناة:

هذه هي الحقيقة النبيلة عن المعاناة: الولادة هي معاناة، والشيخوخة هي معاناة، والمرض هو معاناة، والموت هو معاناة؛ الحزن، والرثاء والألم والأسف واليأس هي معاناة؛ الاتحاد مع ما هو محزن هي معاناة؛ الانفصال عن ما هو مرضي هو معاناة، عدم الحصول على ما يريد المرء هي معاناة^(٧٧).

٢ - أصل المعاناة:

هذه هي الحقيقة النبيلة عن أصل المعاناة: إنه الحنين الذي يؤدي إلى تجدد الوجود، يرافقه البهجة والشهوة، السعي إلى الفرحة هنا وهناك هي أيضاً كذلك، الشغف للمتعة الحسية، الحنين للوجود، التوق للخلود^(٧٨).

٣ - إزالة المعاناة:

هذه هي الحقيقة النبيلة عن إيقاف المعاناة: هي تتلاشى بعيداً دون عودة عند توقف الأعمال التي تشغف النفس، والتخلي والتنازل عن ذلك، والتحرر من ذلك، وعدم الاعتماد على ذلك^(٧٩).

٤ - الطريق المؤدي إلى إيقاف المعاناة:

هذه هي الحقيقة النبيلة عن الطريقة التي تؤدي إلى إيقاف المعاناة: الطريق النبيل، الثماني أصول والتي هي: النظر السليم، النية السليمة، الكلمة السليمة، العمل السليم، كسب الرزق السليم، الجهد السليم، الذهن السليم، التركيز السليم^(٨٠).



الوصايا أو القيود العشرة:

وهي عبارة عن وصايا نسبت إلى بوذا والتي بيّن فيها القيود التي تحول دون بلوغ الإنسانية درجة النجاة والسلام وتلك القيود هي^(٨١):

- ١ - الوهم الخادع في وجود النفس.
- ٢ - الشك في بوذا وتعاليمه.
- ٣ - الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية.
- ٤ - الشهوة.
- ٥ - الكراهية.
- ٦ - الغرور.
- ٧ - الرغبة في البقاء المادي.
- ٨ - الكبرياء.
- ٩ - الاعتداد بالبر الذاتي.
- ١٠ - الجهل.

أهميسا (اللاعنف) أو حرمة الحياة:

وهي الحرمة المترتبة على إزهاق أي شكل من أشكال الحياة وفيه ترجمت البوذية أكثر الصور الراضية لإزهاق أي نوع من أنواع الحياة^(٨٢).

المطلب الثاني: وفاة المنتقد بوذا:

توفي (بوذا) نتيجة سم وضع له في لحم الخنزير من قبل تابع له^(٨٣)، وهناك رأي آخر يشير إلى أنه قد تماثل للشفاء ولكن اعتلته علة الموت لكبر سنه وشيخوخته ونفاد أيامه وإرهاقه الشديد بسبب السفر والرياضات الشاقة التي مارسها على جسده، علماً أنه كان يبلغ الثمانين من سني عمره^(٨٤).

قال بعض تلاميذه إنه قد دخل في حالة السكون التام والتأمل المستقر الذي يغيب فيه عن الحس، لكن أدركوا بعد مراقبته مدة بأنه قد فارق



الحياة، فقاموا بتجهيز جثمانه وتم إحراقه على وفق طقوس الموتى وتم توزيع رماده على ثمان مناطق، وبنوا عليها أبنية كبيرة ومعابد ضخمة^(٨٥). وقد اجتمع أهل القرى والأتباع والمريدون وأقاموا احتفالاً بوفاته كما يحتفل بموت أحد الملوك، تقديراً له لأنه كان أميراً وابن ملك^(٨٦). هكذا انطوت حياة المستنير (بوذا) أو (بودا) حسب اللغة السنسكريتية القديمة لتبدأ مرحلة نشوء مدرستين بعد وفاته هي مدرسة المركبة الصغيرة والمركبة الكبيرة^(٨٧).

المطلب الثالث: البوذيساتفا أو البوذيساتفا المنقذ في البوذية:

ال(بوذيساتفا) أو ال(بوذيساتفا):

هو اسم المنقذ والمخلص في الديانة البوذية، وهو من بلغ اليقظة ولكنه تخلى مؤقتاً عن ولوج ال(نيرفانا) من أجل إنقاذ الناس من ال(كارما) والولادات المتجددة التي تمر بها الروح التي لم تصل إلى مرحلة الخلاص^(٨٨). ولقد اختلف في تصنيف المنقذ من حيث الإمكانيات الروحية فنشأ الانقسام الكبير بعد وفاة (بوذا)، عندها نشأت فرقتان أو مدرستان أحدهما مدرسة ال(هينايانا - المركبة الصغيرة)، والأخرى (ماهايانا - المركبة الكبيرة)، وسنوضح رؤية كل مدرسة للمنقذ.

المنقذ بحسب رؤية مدرسة المركبة الصغيرة:

سميت هذه المدرسة ال(هينايانا) والتي تعني المركبة الصغيرة وذلك لطبيعة الخلاص والإنقاذ فيها، فقد تبنت المبدأ القديم الذي ينص على وجوب عزم الشخص نفسه ورغبته الكاملة في إنقاذ نفسه وبلوغ حالة الصفاء والاستقرار الروحي والارتقاء الروحاني ال(نيرفانا)، وبذلك تخصص بالخلاص فريقاً قليلاً من الرهبان الزهاد، لذا سميت المركبة الصغيرة^(٨٩).

وحسب اعتقاد هذه المدرسة فقد تحول (بوذا) من معلم أو شخص زاهد



حكيم، إلى روح سهاوية ذات قدرات روحانية سامية، وهو أحد التجليات التي ظهرت للبشر على شكل إنسان لينقذ البشر من الـ(كارما) وينير لهم الطريق المظلم الذي سلكته نفوسهم وأهواؤهم التي أضلّتهم، ومن ثمّ قد أصبح (بوذا) كائناً سهاوياً متعالياً ذا صفات لا متناهية، وأخذوا يعبدونه في معابد خاصة^(٩٠).

وقد أكدت هذه المدرسة بواسطة تعاليمها على الخلاص الخاص، فعلى الراهب أن يحدو حدو (بوذا) الذي وصل إلى الـ(نيرفا) بجهد شخصي معتمداً على ما قام به من تأمل ورياضات روحية جعلته يتخلص من هوى النفس والتعلق بهذه الحياة، وحتى هو (بوذا) لن يقدم العون الخلاصي لأتباعه ما داموا لم ينهجوا نهج الخلاص بأنفسهم وبرغبة عارمة واثقة جادة في طيات وجدانهم^(٩١)، وفي هذه المرحلة ظهر الاعتقاد بالـ(بوديساتفا)، وهو الإنسان الكامل الذي وصل إلى مرحلة الخلاص الأخير، لكنه أجّل خلاصه والدخول في حالة الـ(نيرفانا) لأجل أن يرشد الناس ويخلصهم وينقذهم من حالة الضياع والتدهور الروحي حتّى لا يمروا بمراحل الولادات المتجددة^(٩٢).

المنقذ بحسب مدرسة المركبة الكبيرة:

وهي مدرسة الـ(ماهيانا) التي بلغت ازدهارها بعد القرن الثاني عشر، وسميت بالمركبة الكبيرة نظراً للمشروع الخلاصي العقائدي الذي تمنحه المدرسة، ويتمحور هذا المشروع حول إمكانية نيل الخلاص لمجموعة كبيرة من الناس ولا ينحصر على فئة أو قلة من الناس^(٩٣).

وقد قدمت هذه المدرسة عدداً كبيراً من سبل النجاة والخلاص لتشمل أمزجة الناس وقابلياتهم المتعددة ولتلاءم مع قدراتهم المتفاوتة، وفي هذه المدرسة ازداد (بوذا) تسامياً حتّى صار يوازي في مكانته مكانة الآلهة بل صار سيدياً لها، لقد تم الترويج بشكل كبير لهذه العقيدة مع عقيدة الـ(بوديستافا) المنقذ المخلص من المشاكل والمصاعب وبسبب هذه العقيدة (عقيدة المنقذ



أصبح رواجاً كبيراً لهذه المدرسة فيما بعد^(٩٤)، وصار المنقذ يتخذ فيها صوراً عديدة وتجسّدات وتتجلّى فيه قوى خاصة ويسمى الـ(أفاتار) مشابهاً لما جاء في الفلسفة الهندوسية والتي تعني تجسد كائن علوي أو الإله الأعلى على كوكب الأرض، ونظير ذلك من العقائد المادية مثل الـ(سوبر مان) الذي يمتلك القوى الخارقة والذي يتواجد لإنقاذ الناس^(٩٥).

المبحث الثالث: المنقذ في الديانة الزرادشتية:

المطلب الأول: نشأة الزرادشتية:

بدأت الشعوب الآرية بالهجرة إلى إيران والهند من المناطق الأوروبية منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد واستقرّت في السهول الإيرانية خلال أواسط الألف الثاني قبل الميلاد وذلك في المناطق الميديّة^(٩٦) والفارسية^(٩٧)، وبدأت هذه الشعوب تحكم المنطقة بالتناوب بإقامة تحالفات مع الشعوب السامية في بابل والجزيرة العربية ومناطق الشام وفلسطين ومصر والسيطرة عليها^(٩٨).

في هذه الأراضي نشأت هذه الديانة التي تتسبب إلى (سبيتاما زرادشت) أو (زاراثوشترا أوزراهوشترا)^(٩٩)، وهي من أبرز الديانات التي انتشرت في الشرق، وقد اختلف الباحثون في كونها وضعية أو ديانة سماوية كما اختلفوا في كون (زرادشت)^(١٠٠) نبياً أم أنه فيلسوف وحكيم فقط^(١٠١).

لقد آمنت الـ(زرادشتية) بوجود الإله المطلق والذي أراد الخروج من وحدته، فخلق إلهين: إله الخير وإله الشر، وأمر إله الخير بخلق العالم العلوي السعيد وأمر إله الشر بخلق العالم الأرضي الشقي، لقد آمنت الـ(زرادشتية) بالوحدانية الثنوية وليس الوحدانية المتعددة كما في الهندوسية وغيرها^(١٠٢).

إنّ من أبرز العقائد الزرادشتية هي إضفاء القدسية التامة على علاقة الإنسان بالإله (أهورامزدا) وتعتبر هذه العلاقة علاقة الشركاء، فالإنسان شريك الإله (أهورامزدا) في مساعدته في صنع الخير ولا بد أن يتمتع



الإنسان بالفضائل والأخلاق الطيبة لتوثق هذه العلاقة^(١٠٣).

ولابد للإنسان قبل الصلاة ومخاطبة الإله من أن يتطهر عن طريق الوضوء بالماء أو استخدام الرمل في حالة عدم وجود الماء قبل الصلوات الخمسة اليومية^(١٠٤).

لقد شددت الزرادشتية على الالتزام بنظام أخلاقي واضح المعالم، ومنها الصدق والأمانة والشرف وحفظ العهد والمحبة وترك الحسد والحقد والرذائل الأخرى كما يجب الابتعاد عن الاحتكاك بالموتى^(١٠٥).

وهناك ستة أركان هي تعدد من أهم أسس الدين الزرادشتي وعلى المؤمن الإيمان بها وهي^(١٠٦):

١ - التوحيد.

٢ - الإيمان بنبوة - بناء على كونه ديناً إلهياً، لذلك حصل احتياط فقهي في المسألة - زرادشت.

٣ - العمل الحسن والقول الجيد والنية الصالحة.

٤ - الروح.

٥ - الثواب والعقاب.

٦ - المعاد والقيامة.

وكذلك هناك ست وصايا يجب أن يلتزم بها المؤمن الزرادشتي^(١٠٧):

١ - طهارة الفكر والكلمة والعمل.

٢ - النظافة والابتعاد عن النجاسات.

٣ - ممارسة الرحمة والإحسان.

٤ - الرفق بالحيوانات النافعة والأليفة.

٥ - القيام بالأفعال الخيرة والنافعة.

٦ - نشر التعليم بين الناس من دون تمييز.

الكتب المقدسة في الديانة الزرادشتية:

والكتب المقدسة في الديانة الزرادشتية خمسة كتب، وهي:

الـ(أفستا): ويسميه العرب بالـ(أبستاق)^(١٠٨)، ويعدّ هذا الكتاب هو الكتاب الزرادشتي المقدس ويشتمل على الصلوات والتعاليم والطقوس والشعر والقصاص والأساطير للمدة التي ما قبل الزرادشتية وما بعدها، وتجدر الإشارة إلى أن الـ(أبستاق) يتكون الآن من واحد وعشرين جزءاً قد نال النجاة من الإتلاف على يد الاسكندر المقدوني عندما هاجم الدولة الساسانية^(١٠٩) إذ ضاع ما يقرب على الثلثين^(١١٠)، ويزداد أحد أقسامه أهمية وهو الـ(غانا)، وهو مجموعة من الأناشيد وضعها (زرادشت) بنفسه لتمجيد (أهورامزدا)^(١١١).

وهناك بعض الكتب الأخرى المقدسة مثل:

الـ(يسنا): هي مجموعة من الكتب الطقسية وتتألف من (٧٢) فصلاً، وبعضها من تأليف (زرادشت) نفسه ومعناها العبادة أو التسبيح وتشمل الأدعية والصلوات الطقسية، وفيه شرح للعقيدة ومبادئها الأولى^(١١٢).

الـ(فيسبارات): هي مجموعة من الكتب التي تتعلق بالـ(يسنا) وشروحاتها وتشتمل على الأدعية والصلوات وترتل في المناسبات والمراسيم الدينية الخاصة وتتكون من (٢٤) فصلاً^(١١٣).

الـ(يشتات): هي مجموعة من الأناشيد والترانيم الروحية لمديح (أهورامزدا) والملائكة ولمدح النبي (زرادشت) وهي إحدى وعشرون ترنيمة منظومة لكل يوم من أيام الشهر^(١١٤).

الـ(فينديداد): هو بحث مهم عن التاريخ القديم قبل زرادشت، وفيه بحوث في الزراعة والعقود والتشريعات والعقوبات وكيفية مطاردة الأرواح الشريرة ومواجهتها بالأساليب الإيمانية وعن تنظيم الدرجات الكهنوتية والمفاهيم اللاهوتية والفقهية حول الموت والزواج. كما وفيه أبحاث عن خلق العالم



وأصول الطب وقدرة المياه وكيفية التطهير من النجاسات والعناصر المقدسة الأربعة ويتألف من (٢٢) فصلاً بصورة حوار بين (أهورامزدا) و(زرادشت)^(١١٥).

المطلب الثاني: شخصية المنقذ في الديانة الزرادشتية:

(لقد أتى زرادشت ليخلص شعبه من تسلط الكهنة ومن عبادة الكواكب والنجوم الضالة، تماماً كما فعل نبي الله إبراهيم عليه السلام)^(١١٦).

لذلك يعد زرادشت المنقذ الأول في الديانة الزرادشتية حيث أتى لينقذ الناس من أيدي السحرة والجهل والملوك الظالمين والشورور ويطهرهم من أدناس الذنوب وليرتقي بهم حتى يكونوا جنود الخير وصناعه ضد جنود الشر ومعاونيه^(١١٧).

وهنا لا بد أن نلقي بلمحة بسيطة عن حياة المنقذ زرادشت، من هو زرادشت؟

لقد ولد زرادشت في الفترة الزمنية المنحصرة من (١٠٠٠ ق.م) إلى (٦٥٠ ق.م)^(١١٨)، ولد في المناطق الريفية القريبة من بحر قزوين^(١١٩).

وعندما بلغ السابعة من عمره أرسله والده للمعلمين كي يتم تعليمه الحكمة والمعارف والعلوم المختلفة، فشرع بدراسة العلوم حتى بلغ ما بلغ من تحصيل علمي واسع المعارف والمدارك السامية وقد ساعدته فطته ورجاحة رأيه وذكاؤه وسلامة فطرته على تحصيل العلوم والبراعة فيها^(١٢٠).

فبدأت الأسئلة الكبيرة والمسائل المركبة تنقذح في عقله، خاصة تلك التي تدور حول الكون والخلق والحياة، وهو يتأمل حال المظلومين والضعفاء والمساكين.

واستمر في انعزاله وتأملاته وقد كان يتمتع بتقوى وزهد واشتهر بأخلاقه الفاضلة ووجه لعائلته واحترامه لأبويه، وقد أقسم يوماً أن لا يعود حتى يجد الأجوبة المناسبة حول خالق الكون ومسألة الخلق والوجود وسبب المشاكل والآلام البشرية^(١٢١).

وقد وصل إلى نهر (دايتي) في أذربيجان، هناك وفي أثناء تأمله هبط عليه سيد الملائكة (فاهوماننا) بوحي الـ(ابستاق) منزل من الإله (أهورامزدا) وكذلك المعارف الحياتية التي تخص الكون والحياة وكذلك الحياة الأخرى التي بعد هذه الحياة، والجنة التي هي أكثر منطقة رائعة وهادئة وأكثر مكان سعيد في الوجود^(١٢٢)، وكذلك المكان الذي هو محل وجود وعذاب (أهريمان) وجنوده الأشرار، ويوجد مكان بين هاتين المنطقتين هو الموضع الذي يكون محلاً لتطهير الناس الذين مازال بعض الشر في نفوسهم كامن^(١٢٣).

وبدأ ينشر دعوته في الأراضي، ويدعو الناس لدينه ومعتقده الجديد، لكن لم يستجب له سوى عدد قليل، مما دعاه إلى الهجرة إلى بلاد الطورانيين متأملاً الاستجابة التي يتطلع إليها، راغباً في أن يتبعه الناس، لكن باءت محاولاته بالفشل حتى عانا ما عانا منهم^(١٢٤).

لكن بانث البشائر عندما اعتنق ابن عمه (سينوتاء) الدين الجديد وشد عضده وناصر دينه، واستمر ينشران الدين الجديد، حتى أوحى له أن يذهب إلى بلخ ويعرض دينه على حاكمها (كشتاسب) الذي رق قلبه لما سمع وأعلن اعتناقه الدين الجديد^(١٢٥).

إن هذه الحفاوة به لم تستمر لأن الحاسدين في البلاط دبروا الزرادشت المكائد، وعانا بسببهم الكثير حتى تم سجنه^(١٢٦)، لكن المعاجز والبراهين كانت تظهر على يديه كشفاء المرضى ومعالجتهم، حتى أنه قد شفى جواد الملك الذي كان يجه كثيراً وكان هذا العمل لقاء إخراجه من السجن، وكذلك طلب من الملك معاقبة كل من كاده ودبر له المكائد^(١٢٧).

فقام الملك بتلبية ما طلبه زرادشت وآمن به والملكة وولي العهد وحاشية الملك ووزراؤه، ومنهم الشخصية المشهورة (جماسب)، الذي أصبح فيما بعد حوارى زرادشت، وقد وثق زرادشت هذه العلائق بتزويجه أخته من جماسب



الوزير الأول، وتزوج هو من أخت الوزير الثاني (فراشا أوسترا)، فانتشر الدين في البلاد وعم ذكر الزرادشتية وتعاليمها في الأراضي، حتى اعتنق الزرادشتية معظم أهالي إيران^(١٢٨).

وتم شن الحروب على أعداء العقيدة الزرادشتية خاصة من أعدائهم الطورانيين الذين كانوا يعتدون على المزارعين وينهبون ماشيتهم ومحاصيلهم، واستمرت الحرب قائمة حتى كانت نهاية زرادشت الذي قضى قتيلاً وهو ابن السابعة والسبعين في جمع من الكهنة ورجال الدين في أحد الهياكل، حيث كانوا يوقدون النار المقدسة فأغار عليهم أعداؤهم الطورانيون وتم طعنهم بالسيوف وقتلهم جميعاً، فامتدت دماؤهم إلى الموقد وأخذت دماءهم النار المقدسة^(١٢٩). وقد تعرضت ديانتهم للتحريف بعد مقتله بمدة قصيرة على يد رجل اسمه (زرادشت) أيضاً وتم وصفه بالمدعي الكاذب، وهو الذي جعل الناس يتحولون من تقديس النار إلى عبادتها^(١٣٠).

هذه هي نهاية حياة أول منقذ أو أول (سوشيانت) وكما هو موجود في الديانة الزرادشتية، وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً من المنقذين في الديانة الزرادشتية ولا بد أن يسبق هؤلاء المنقذين عدد من المهدين لهم ليسلطوا لهم الطريق أمامهم ومن هؤلاء المهدين هو (بهرام ورجاوند) و(بشوتن) الذي قاد كل منهم ثورة في فترة من فترات الزمن كان آخرها ثورة (بشوتن) ضد الظلم والأشرار.

المطلب الثالث: السوشيانت الموعود:

لقد آمنت الزرادشتية بمجيء ثلاثة منقذين مخلصين على رأس كل ألفية من الألفيات الثلاث الأخيرة، بمعدل منقذ واحد في نهاية كل ألف سنة، وآخر منقذ هو ال(مسيا) الموعود والذي سيولد من عذراء طاهرة^(١٣١)، وهؤلاء المنقذون هم:



(هوشيدر)، و(هوشيدر ماه)، و(سوشيانت) المنتصر، وهؤلاء المنقذون هم أبناء زرادشت وولدوا جميعاً من بذرته التي تركها في بحيرة وقد حفظت بأعجوبة في هذه البحيرة المقدسة، وتعد ألفية (هوشيدر) و(هوشيدر ماه) المقدمة للإصلاح، ويتم تجديد ديانة زرادشت ثانية مع بداية كل واحد منهما، ويتم القضاء في هاتين الألفيتين على الحيوانات المفترسة والضارة^(١٣٢).

وعلى ما يبدو لي أن الديانة الزرادشتية تطرح فكرة التدرج في مراحل الإنقاذ، وبالتوافق مع هذه النظرية هناك ثلاثة منقذين مهمين، كل منقذ منهم أنيطت به مهمة إنجاز مرحلة من مراحل الإنقاذ حتى تتم مراحل الإنقاذ وتتم على يد المنقذ الأخير (سوشيانت) المنقذ الأخير.

ففي مرحلة المنقذ الأول (هوشيدر) حيث تعج الأرض بمختلف أنواع البلايا (يقى هوشدر مائة وخمسين سنة في الأرض والألفية ممتلئة بالبلايا السماوية مثل: القحط في الأرض، الثلج الأسود والأحمر وكلها بلايا ثقيلة تنزل على الأرض)^(١٣٣).

(وفي هذه الألفية تبقى الشمس عشرة أيام في وسط السماء، وهذا الأمر غير متوقع وعجيب)^(١٣٤).

وفي هذه الألفية يأتي (هوشيدر) منقذاً للتعالم الدينية الزرادشتية فيصبح هو المسؤول عن التنظيم والمحافظة على المسائل الدينية الزرادشتية^(١٣٥)، أما المنقذ الثاني (هوشيدر ماه) فيزيل الشيخوخة والغضب والخصم والفقر والشهوات ويزيد الأخوة والهدوء والمحبة والراحة^(١٣٦).

ونتيجة للإصلاحات التي يعملها المنقذ فإن الديانة الزرادشتية تنتشر ويزيد أتباعها وتزيد المحبة حتى بين الحيوانات، في هذا الزمن يكتمل علم الطب ولا يموت الناس إلا بالقتل وتزول الشيخوخة والأمراض^(١٣٧).

المنقذ الأخير السوشيانت الموعود:

تشير المصادر الزرادشتية إلى أقول نجمها عند نهاية كل ألفية وانحطاط الأنظمة والقوانين، فيصعب العيش على المؤمنين فتترقب العيون ظهور المنقذ الموعود (العالم في نهاية كل ألفية، عالم ممتلئ بالظلم والكفر، والخراب وكل الأشخاص والأشياء تتحرك بطريق الانحدار وتبلغ القلوب الحناجر من الظلم والكفر والسيئات، وهذا من علائم ظهور سوشيانت) (١٣٨).

عندها سينتشر الفساد ويفضل الأحرار الموت على هذه الحياة (الفساد سينتشر بشكل واسع وحياة للأحرار غير قابلة للتحمل فهم يحبون الموت على الحياة وأيضاً العيش للناس صعب والشر والفساد والسرقة والكذب منتشرة ولا أحد يقول الصدق) (١٣٩).

ويحلم الناس بالألفية الأخيرة، الألفية السعيدة التي تتحقق فيها جميع أماني البشرية حيث يدوم الفرح والعافية من المرض والشور وتطول الأعمار والتي تبدأ بظهور المنقذ الموعود (سوشيانس هو آخر شخص يأتي إلى الأرض وينظف العالم ويهزم الباطل) (١٤٠).

وعند بدء ظهور المنقذ الموعود ستظهر علامات عديدة وكأها إشارات تنبيه للمذنبين والعاصين ليرجعوا عن طغيانهم ويتوبوا في هذه الفرصة الأخيرة قبل أن يظهر المنقذ، وعندها لن ينفعهم الاعتذار والتوبة ولات حين مناص، ومن هذه العلامات أن الشمس ستتوقف في كبد السماء (تقف الشمس ثلاثين يوماً، في كبد السماء، وهذه العلائم من أجل الناس الخاطئين والمذنبين عجيبة، ويفهم الناس مرة أخرى أن شيئاً عجيباً يظهر في العالم، وفي هذا الوقت (ظهور سوشيانس) كانت تستقر وتكتمل الديانة الزرادشتية) (١٤١).

عندما يظهر الـ(سوشيانس) سيأمر الناس الطيبين أن يكونوا أتباعاً له وجنوداً كي يجاربوا الشر معه (قبل البعث الموت وقبل يوم القيامة (سوشيانس) يأمر



الناس أن يصبحوا جنوداً ويجاربوا ضد (أهرمن)، وينهزم الكذب والأمراض والموت والسيئات والظلم والكفر وفي زمن (سوشيانس) كل خلقة جديدة يأتي السرور لمدة سبع عشرة سنة يأكل الناس الحشيش ويتناولون المياه ثلاثين سنة^(١٤٢).

وفي هذا إشارة بالغة إلى ارتفاع الحقد ودوافع العنف والقسوة الكامنة في النفوس واستقرار الطيبة والمحبة والوداعة محلها حتى تصبح النفوس غير مستسيغة لإزهاق نفس حيوان من أجل تناول اللحم والطعام، وبعد الانتصار ودوام الفرح والخير والبركات عنده سينبعث حتى بعض الموتى المؤمنين (يوم القيامة يخرج الأحياء من القبور وتعود الحياة إليهم ويعيشون مع الأحياء) وستطول أعمارهم (ولا يصيبهم الموت)، عندها سيزدان العالم بمجيء المنقذ الموعود (وفي هذا الزمن يجيء سوشيانس ويزين العالم)^(١٤٣).

وهنا نذكر أسطراً من ترنيمة تصف عودة المخلص وتمجيده والدعاء له (دعه يأتي إليك ذلك الذي ترغب فيه، المجد لهفارنو - الكافاني العظيم) وهو اسم العصر الأخير الذي سيظهر فيه المخلص الموعود، في نهاية الترنيمة الدعاء بحفظ المخلص (احفظ الرجل المخلص إلى الأبد يا زرادشت، والعدو من الغدر لا تدعه يضرب الأمين ولا تدعه يسبب الأذى)^(١٤٤).

وتجدر الإشارة إلى استمرار هذه الفكرة في العصر ال(أخميني)، فقد قال اللاهوتيون بظهور ثلاثة مخلصين وذلك في نهاية كل ألفية من الألفيات الأخيرة من عمر الزمن الأرضي، ففي نهاية الألفية الأولى يظهر المخلص (أوخشياتريا)، وفي نهاية الألفية الثانية يظهر (أوخشياتينا)، أمّا في نهاية الألفية الثالثة فإنه يظهر المخلص الموعود (ساوشنياط) من نسل زرادشت، وكذلك في الديانة المانوية - قالت بوجود مخلص للبشرية يدعى (البارقليط) - رسول النور^(١٤٥).



المبحث الرابع: مقارنة لمفهوم المنقذ في الأديان الوضعية:

إن عقيدة المنقذ من أبرز المشتركات المتفق عليها بين الأديان الوضعية رغم الاختلاف في المصداق الذي يطلق عليه اسم المنقذ أو الذي يجسد هذا المفهوم في كل ديانة، ويرجع الاختلاف في ذلك إلى أمرين:

الأمر الأول: الاختلاف في تأويل النصوص المقدسة وتحريفها وما تعرضت له النصوص من ترجمة حرفية أفقدتها الكثير من تفاصيلها المهمة وغيرت الكثير من معانيها وكذلك ما تعرضت له بعض هذه الكتب من حرق ودمار وضياع كما هو حال الـ(ابستاق) في الديانة الزرادشتية الذي تعرض للحرق والفناء^(١٤٦).

الأمر الثاني: محاولة أصحاب كل ديانة إثبات أن المنقذ منها، وذلك عن طريق تحريف النص الديني، أو إسقاطه على المصاديق والشخصيات المقدسة عند أتباع كل دين، محاولة منهم لحيازة الشرف والرتبة كون المنقذ سيكون قائداً للبشرية كلها، وللأرض أجمعها، ولهذا تحاول كل أمة إثبات أن المنقذ سيكون منها، لتصدر الأمم وتفخر عليها برئاستها^(١٤٧).

وعلى الرغم مما تقدم فإنني أرجح نظرية بدائية هذه الأديان بما يتناسب مع طبيعة الاحتياجات البسيطة التي كانت بحاجة إلى توفرها بما يخدم طبيعة ذلك الزمان، كذلك المشاكل الآنية وإيجاد حلولها الآنية حجبت الكثير من التفكير في مستقبل الكون والحياة، فالفساد المنتشر بشكل كبير والفقر وكثرة الحروب لم تدع لذلك الإنسان الوقت الكبير للتأمل بما سيحدث في نهاية هذا العالم وما سيحدث بعده، فلم يكن ذلك هو محل الابتلاء وليس محل التفكير والمناقشات العلمية الدقيقة لأهل ذلك الزمن.

وهنا بوذي الإشارة إلى مطالب:

الأول: اسم المنقذ في الأديان الثلاثة ومعالمه:

لقد تراوحت رؤى الأفكار حول المنقذ للتباين في تجسدها عند عظيم كل دين لتتخذ مصاديق عديدة ويلتق عليها اسم المنقذ، طبعاً بطبيعة ذلك المصداق الذي لا بد أن تكون فيه بعض سمات المنقذ، ففي الديانة الهندوسية آمن الهندوس بالإله (فيشنو) الحافظ المنقذ الذي يظهر وقت المزالق والمهالك لينقذ المؤمنين به^(١٤٨)، وقد آمنوا بأن المنقذ الأخير لا بد أن يكون هو أحد آخر تجسّد من تجسّدات الإله الحافظ (فيشنو)^(١٤٩).

أمّا الديانة البوذية التي هي سلسلة الديانة الهندوسية وأتّبعَت مسيرتها في تجسيد هذه العقيدة فقد آمنت بأن المنقذ هو تجلي للإله (فيشنو) وهو المعلم (بوذا) الذي أنقذهم من براثن الجهل والشهوات وحرر الأرواح من إعادة دورة الحياة الـ(كارما) بواسطة الـ(نيرفانا)^(١٥٠).

ولابدّ أن يعود هذا المنقذ أو أحد تجلياته في نهاية الزمان ليكمل عملية الإنقاذ التي بدأها أول مرة وليحرر النفوس والأبدان^(١٥١).

أمّا المنقذ في الديانة الزرادشتية فهو الحكيم (زرادشت) الذي أنقذ المؤمنين به من تسلط الكهنة واستعباد السحرة والظلمات العقائدية وطهر أرضه من الفساد وحارب الجور ودافع عن شعبه عند غزو الأعداء وعدوانهم^(١٥٢).

فهو الحكيم الذي رسم الخطوط الحقيقية لتنظيم حياتهم وتنوير بصائرهم وبيان ما للشر من أثر مظلم في النفوس وجمع شتاتهم الفكري على توحيد إله الخير (أهورا مزدا) وهنا تجدر الإشارة إلى الطبيعة السماوية للديانة الزرادشتية، لكن المؤرخين اعتبروها على حسب ما جرى عليه العرف البحثي ديانة وضعية نتيجة لما لاقته هذه الديانة من تحريف وضياع بعد مقتل الحكيم (زرادشت) على يد أعدائه، فتعرض الدين للضياع وتلاعب الكهنة بأحكامه،



وبعد انتصار الإسكندر المقدوني على الدولة الساسانية تم حرق آخر نسخة من الكتاب المقدس الـ(ابستاق) مع كتاب الـ(زند) الذي خطه زرادشت بيمينه وتضمن شروحات لـ(ابستاق) والذي يعتبر بمثابة الأحاديث النبوية والسنة الشريفة في الديانة الإسلامية، لذا فقد الدين الزرادشتي الكثير من رونقه السماوي حتى صار يعد ديناً وضعياً في نظر أكثر المؤرخين والباحثين.

وعودة على ذي بدء فإن الديانة الزرادشتية تؤمن بمنقذ مخلص يأتي في آخر الزمن لينشر السلام والشفاء والسعادة وليذهب بالأمراض والأوبئة والظلام الحالك في ليالي تلك الأزمنة، فالـ(سوشيانت) الموعود سيظهر في آخر الزمان كما يقول (جماسب) تلميذ (زرادشت) أن الـ(سوشيانت) الموعود من آخر رسول وهو نبي العرب الذي يظهر من بين جبال مكة ثم ينهض من أولاد النبي شخص في مكة ليكون خليفة وتابعاً لدينه... ومن عدله يشرب الذئب والخروف من ماء واحد ويكون العالم كله تابعاً له^(١٥٣).

المطلب الثاني: الشعب المراد إنقاذه:

كما هو الحال في طبيعة أتباع كل شريعة فهي تُمنّي نفسها بأن المنقذ سيأتي لإنقاذها وتحريرها وإعادة ازدهارها ورونقها وانبعاث مجدها من جديد وسيادتها للعالم بفضل منقذها الموعود، هكذا توالى طموحات أتباع الديانات، كلٌّ يحوز الشرف والعزة لدينه.

وهذه الآمال بطبيعة الحال متحقة، فالمنقذ الموعود للبشرية كلها وللكون كله وليس حكراً على دين أو طائفة، بل هو للأديان كلها يوحدتها يهذبها يرجعها لجادة الصواب الحقبة لتحيا الشعوب من جديد الحياة الكريمة التي أرادها الله لها.

فالهندوسية تؤمن بعودة المنقذ الذي هو أحد تجسّدات الإله (فيشنو) لينقذها ويحف المؤمنين بها بالعناية والرعاية والرفاهية من جديد وليصبح



الإيمان المطلق بهذا المنقذ الهندوسي الموعود هو الإيمان العالمي حيث يتبعه العالم كله فهو التجسد الأخير لـ (فيشنو) حيث يأتي لسعادة العالم^(١٥٤).

أمّا البوذية فقد نحت المنحى نفسه لسابقتها الديانة الهندوسية في إيمانها بعودة أحد تجسّدات الإله (فيشنو) وهو (بوذا) من جديد ليعم الخير والسلام ولتنتشر البوذية في العالم ولتكن هي الديانة العالمية السائدة وليعم الخير بمجيء (بوذا) الذي من معانيه هو المخلص العظيم^(١٥٥)، وهنا يأتي تأكيد التراث البوذي على أنّ (بوذا) ظهر من وقت لآخر على طوال التاريخ البشري وسيواصل الظهور على هذا النحو... ويحصل كل (٥٠٠٠) سنة^(١٥٦).

أمّا الزرادشتية فقد آمنت بوجود ظهور المنقذ الـ (سوشيان) الموعود الذي سيظهر ليعيد رونق الزرادشتية المفقود ولينصر المؤمنين المظلومين من أتباع الزرادشتية وليصبح الدين الزرادشتي هو المهيمن على أديان العالم وسينهي كل الشرور التي أثارها (أهريمان) وجنوده^(١٥٧).

إذ يخرج رجل من أرض الفرسان من أولاد هاشم^(١٥٨)، رجل كبير الرأس والجسم والرجل، يكون على دين جده، بجيش عظيم يتجه إلى إيران فيحيي أرضها ويملاها عدلاً^(١٥٩).

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه النقطة من النقاط التي تتفق فيها الديانة الزرادشتية مع الديانة الإسلامية من حيث نسب المنقذ الأخير، فكما هو متفق عليه عند المسلمين فقد ورد في الحديث الشريف للرسول الكريم ﷺ: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(١٦٠)، وبما أن المهدي ﷺ حفيد النبي ﷺ والنبي حفيد هاشم إذن هو من أولاد هاشم.

المطلب الثالث: معالم حكومة المنقذ:

للمنقذ العالمي الموعود ولدولته العالمية المنشودة وحكومته الرشيدة معالم عديدة رسمتها عقائد الأديان في نفوس أتباعها، لتزرع الآمال في وقت الصعاب ولتبشر المظلومين في وقت الجور، لتحيي في النفوس مشاعل النور بدل مشاعر



اليأس والتشاؤم بأنّ الغد أفضل والمستقبل الموعود قريب.

فمن أبرز السمات التي لا بد منها اتصاف دولته بالعدل والإصلاح كما جاء في الهندوسية (حينما يمتلئ العالم بالظلم يظهر الشخص الكامل الذي يسمى (يترتكز: المبشر) ليقضي على الفساد ويؤسس للعدل والطهر... سيُنجي (كريشنا) العالم حينما يظهر البراهميتون)^(١٦١).

وكذلك الديانة البوذية فقد آمنت بظهور آخر تجسد لـ(بوذا) الحكيم العادل ليخلص البشر بخلود الروح الإنسانية وينشر الخير والعدل كما فعل (بوذا) عن طريق الـ(نيرفانا) من قبل^(١٦٢).

أمّا الزرادشتية أيضاً فترتقب ظهور منقذ عادل (ومن عدله يشرب الذئب والخروف من ماء واحد ويكون العالم كله تابعاً له)^(١٦٣).

ومن صفات دولته القوة، فسلطانه سيعم الأراضي كما تحدثنا كتب الديانة الهندوسية (ودولته طويلة الأمد، وعمره - أي ابن الناموس الأكبر - طويل، وتنتهي الدنيا به، ويسخر من ساحل البحر المحيط، وجزائر سرانديب، وقبر الأب آدم عليه السلام، وجبال القمر، إلى شمال هيكل زهرة، وإلى سيف البحر والمحيط)^(١٦٤).

ويشير التراث البوذي إلى أنّ المنقذ سيظهر آخر (أفتار) قوي عادل لينشر العدل من الـ(أفتارات) الموعودين الذين ظهروا بتجسد من الإله (بوذا)، وهذه التجسّدات الـ(أفتارات) لـ(بوذا) تظهر بحسب حساباتهم كل خمسة آلاف سنة^(١٦٥).

أمّا الديانة الزرادشتية فتخبرنا في تراثها بأنّ المنقذ سيأتي قبل يوم البعث كما هو آتٍ (قبل البعث الموت وقبل يوم القيامة سوشيانس يأمر الناس أن يصبحوا جنوداً ويحاربوا ضد (أهرمن) وينهزم الكذب والأمراض والموت والسيئات والظلم والكفر)^(١٦٦).

ومن سمات دولته الرفاهية للشعوب ودوام السعادة وغياب الأمراض والهمل والحزن ودوام البركات وجزيل النعم فهو المنقذ الأخير (سوشيانس هو آخر شخص يأتي إلى الأرض وينظف العالم ويهزم الباطل)^(١٦٧).



الهوامش

١. رسالة قدمتها الطالبة نور ناجح حسين إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة، وهي جزء من متطلبات شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي.
٢. هذا البحث مقتطع من رسالة الماجستير المشار إليها في العنوان ونشر منه الفصل المتعلق بـ(المهدي في الروايات) الفصل الثالث دون بقية الفصول الأخرى من الرسالة.
٣. جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم الافريقي، لسان العرب: ج٣، ص٥١٦.
٤. الضامن، حاتم صالح، الصرف: ص٥١.
٥. الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، العين: ج٥، ص١٣٥.
٦. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج٢، ص٥٧٢.
٧. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٤٦٨.
٨. الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن: ص٨٢٠-٨٢١.
٩. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المُرسي المخصص: ج٣، ص٩٨.
١٠. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ج٣، ص١٣٦.
١١. الموسوي، موسى، الشيعة والتصحيح: ص٦١.
١٢. وافي، علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: ص٩٢.
١٣. ينظر: دود شغيب، ميلون عبري- عربي، كרך ראשון، يרושלים 1985 م، لعم 711، 869.
١٤. ابن شوشن، أبراهام، الميلون المروكزي، (تل ابيب 2008) لعم 141.
١٥. ابن شوشن، أبراهام، الميلون المروكزي، لعم 141.
١٦. مقابلة شخصية مع الدكتور عدنان الحميداوي، أستاذ اللغة العبرية، كلية اللغات، جامعة بغداد، في قسم اللغة العبرية، بتاريخ ١٩/٣/١٤٣٧ هـ - ١٦/١١/٢٠١٥ م، وقد أذن بالإشارة لها.
١٧. Lengua Espanola، Vigesima primera ediciones propiedad، vigesimaprmera Edicion، (Real، academia، Espanola، 1992) p.1303.
١٨. مقابلة شخصية مع الدكتورة شذى كريم عطا الشمري، رئيس قسم اللغة الإسبانية، كلية اللغات، جامعة بغداد، في مكتبة قسم اللغة الإسبانية، بتاريخ ١٩/٣/١٤٣٧ هـ - ١٦/١١/٢٠١٥ م، وقد أذن بالإشارة لها.
١٩. Mari aMoliner، adiccion ario de; usoaell Espanol، (Segunda Edicio Herederos de Mari aMoliner، Edrtorial. al gredos، s.a، 1998)، p.1020.

الهوامش

٢٠. ينظر: مهدي، فالح، البحث عن منقذ. دراسة مقارنة بين ثنائي ديانات: ص ٩-١٢؛ صديقي، فكرة المخلص، ص ٢٦-٢٨.
٢١. الأسدي، كاظم مزعل، المنقذ الأعظم عقيدة ومشروع الكتب السماوية: ص ٨٥-٨٦.
٢٢. الصدر، محمد باقر، اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني: ص ٤٤.
٢٣. المرجع نفسه، ص ٤٨.
٢٤. الطبسي، جولة في دولة الإمام المهدي عليه السلام: ص ٩٥.
٢٥. عباس محمود، برناردشو: ص ١٢٤.
٢٦. من أبرز هذه الكتب، ينظر: غريس هالسل، النبوءة والسياسة.
٢٧. صموئيل بيكيت، في انتظار جودو، ص ٧٠-٧٥. [www.books4arab.com/2015/04/pd-\(f_69htm](http://www.books4arab.com/2015/04/pd-(f_69htm)
٢٨. الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي عليه السلام: ص ٨٧.
٢٩. الويدية أو الفيديّة: وهي الشكل القديم للديانة الهندوسية وقد دخلت إلى الهند مع دخول الآريين لها حوالي (١٥٠٠) قبل ميلاد المسيح عليه السلام، علماً أن كتب الآريين المقدسة تدعى (فيدا) والتي تعني المعرفة المقدسة وتضمن أناشيد للآلهة ونصوصاً لتقديم الذبائح، وكذلك نصوصاً تتناول العقائد التي
- تحدث عن الله وصورة الإنسان والعبادة. ينظر: ثيودور، عادل، مدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى، (بيروت، المكتبة البوليسية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ٤٤ أو الفيدي.
٣٠. آريان: هو شعب قديم أصله من شرق أوروبا. استولى على إيران من الشمال الغربي للهند عام (٢٠٠٠ ق.م). وكان سبباً في تدهور حضارة السند. وكانت لغته صورة أولية من السنسكريتية وهي أساس اللغات الهندو الأوروبية. لأن الشعب الآري كان يسكن المناطق الممتدة من شرق أوروبا إلى جنوب آسيا. وقد وصل للهند سنة (٣٠٠٠ ق.م)، والآريون بشر أبيض الجلد وشعر أسود ولم يبقَ من هذا الجنس سوى اللغة الآرية وكانوا يعبدون آلهة الإغريق. وقد ابتكروا أشكالاً من النصوص الشفهية في ال(فيدا) المقدسة لدى الهندوس. ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki>
٣١. شليبي، أحمد، أديان الهند الكبرى: ص ٣٨.
٣٢. المرجع نفسه: ص ٣٨.
٣٣. ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى (براهما) وهي القوة السحرية الكامنة. ينظر: المرجع نفسه: ص ٣٧.
٣٤. شليبي، أديان الهند الكبرى: ص ٣٧.
٣٥. المقدسي، صبري، الموجز في المذاهب والأديان: ص ١٩.

الهوامش

٣٦. الطوطمية: هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرة طبيعية أو مظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً. وكلمة طوطم مشتقة من اللغة الأمريكية الأصلية. ينظر: ويكيبيديا.
٣٧. حلمي، مصطفى، الإسلام والأديان: ص ٤٥.
٣٨. السنسكريتية: هي لغة قديمة في الهند وهي لغة طقوسية للهندوسية، والبوذية. لها موقع في الهند وجنوب شرق آسيا مشابه للغة اللاتينية واليونانية في أوروبا في القرون الوسطى، وقد لاحظ هذا الشبه العالم اللغوي (ويليام جونز) وهو مستشرق بريطاني حيث كان يعمل قاضياً هناك، ولهذه اللغة جزء مركزي في التقليد الهندوسي. وهي إحدى الاثنتين والعشرين لغة الرسمية للهند. وتدرس في الهند كلغة ثانية. كما أن بعض (البراهميين) يعتبرونها لغتهم الأم. ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki/%>
٣٩. المقدسي، الموجز في الأديان: ص ٤٠.
٤٠. المرجع نفسه: ص ٢٨-٢٩.
٤١. المرجع نفسه: ص ٤٦.
٤٢. المرجع نفسه: ص ٣٣.
٤٣. شلبي، أديان الهند الكبرى: ص ٥٧.
٤٤. سعيد، حبيب، أديان العالم: ص ٧٧-٧٩.
٤٥. شلبي، المسيحية: ص ٧٨.
٤٦. شلبي، أديان الهند الكبرى: ص ٤٩.
٤٧. سعيد، أديان العالم: ص ٢٣ - ٢٧.
٤٨. المقدسي، الموجز في المذاهب والأديان: ص ٣١.
٤٩. المرجع نفسه: ص ٤٠.
٥٠. قيادرة، الأسعد بن علي، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ: ص ٣٨.
٥١. المرجع نفسه: ص ٣٩.
٥٢. مهدي، البحث عن منقذ: ص ٥٣-٥٦.
٥٣. المرجع نفسه: ص ٥٣-٥٦.
٥٤. مهدي، البحث عن منقذ: ص ٧٥-٦٠.
٥٥. قيادرة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، ص ٣٨.
٥٦. الكتاب المقدس الهندوسي الأوبانيشاد: ٢، ص ٦٣٧.
٥٧. كريشنا: وهو أحد الآلهة الهندوسية ويعتبر أحد تجسيدات الإله (فيشنو) ويعتبر (كريشنا) هو إله العطف واللطف والحماية ويتمثل بمظهرين: أحدهما المقاتل الشجاع، والآخر العازف الطيب، وسيأتي تجسده المنقذ الأخير (كالكي) لينقذ المؤمنين به والصديقين ويعاقب الأشرار في نهاية الحقبة الثالثة للعالم ليعلم عن فتح حقبة جديدة بمجيئه. ينظر ثيودور، مدخل إلى الأديان الخمسة: ص ٥.

الهوامش

٥٨. مهدي، البحث عن منقذ: ص ٦٠.
٥٩. الاوبانيشاد: ج ٢، ص ٥٤.
٦٠. الكرمانى، علائم الظهور: ص ١١٧.
٦١. المصدر السابق: ص ١١٧.
٦٢. الشيرازى، جلال الدين محمد بن الشيخ أبى تراب، لمعات النور في كيفية الظهور: ج ١، ص ١٨.
٦٣. المرجع نفسه، ج ١، ص ١٨.
٦٤. شليبي، أديان الهند الكبرى، ص ١٣٠.
٦٥. قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، ص ٤١.
٦٦. شليبي، أديان الهند الكبرى، ص ١٣١.
٦٧. قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، ص ٤٢.
٦٨. حلمي، مصطفى، الإسلام والأديان دراسة مقارنة، ص ٦٨.
٦٩. وهناك قضى اليوم كله بل الليل كله في نزاع داخلي، حتى إذا بزغ نور الفجر، أشرق عليه نور الحق، ينبئه أن شقاء الحياة وعناءها وضجرتها تبعث من رغبات النفس، وأن الإنسان مستطيع أن يكون سيد رغباته لا عبداً لها، وأن في مقدوره الإفلات من هذه الرغبات بقوة الثقافة الروحية الداخلية ومحبة الآخرين.
- ينظر: سعيد، أديان العالم: ص ٩٤.
٧٠. بارندر، جيفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص ١٧٩.
٧١. النيرفانا: ومعناها المنطفئ، أي كما ينطفئ المصباح أو النار، أما الكتب البوذية فتستعملها بمعاني:
- ١- حالة السعادة يبلغها الإنسان في الحياة بإقلاعه عن كل شهواته الجسدية اقتلاعاً تاماً.
- ٢- تحرير الفرد من عودته إلى الحياة وانعدام تصوره - أي الفرد - بعودته إلى الحياة مره أخرى.
- ويعتقد البوذيون أن الذي يبلغ (النيرفانا) يخرج من دائرة الألم والسرور ويصبح فوق الأحزان والأفراح. ينظر: ينظر مهدي، البحث عن منقذ: ص ٦٢.
٧٢. شليبي، أديان الهند الكبرى: ص ١٥٢.
٧٣. سوترا بيتاكا: وهي مجموعة الكتابات الأصلية، وتتضمن الحوارات التي دارت بين (بوذا) ومُرّيديه. ينظر: الويكيبيديا.
٧٤. فينيا بيتاكا: وهي الكتابات التي تتعرض للجانب التنظيمي والأخلاقي لحياة الرهبنة، وتتضمن حوالي مائتين وخمسة وعشرون قاعدة. ينظر: الويكيبيديا.
٧٥. أهيدارما بيتاكا: وتتضمن مناقشات في الفلسفة، العقائد وغيرها من الموضوعات التي تمس العقيدة البوذية. ينظر: الويكيبيديا.
٧٦. كيون، دامني، مدخل إلى البوذية: ص ٢١.
٧٧. ثيودور، مدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى: ص ١٨.
٧٨. المرجع نفسه: ص ١٩.

الهوامش

٧٩. المرجع نفسه: ص ٢٠.
٨٠. كيون، مدخل إلى البوذية: ص ٥٥.
٨١. ينظر: الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها: ص ١٢٦-١٢٧.
٨٢. كيون، مدخل إلى البوذية: ص ٩٨.
٨٣. كيون، مدخل إلى البوذية: ص ٣٠.
٨٤. المرجع نفسه: ص ٣٠.
٨٥. المرجع نفسه: ص ١٤٥.
٨٦. المرجع نفسه: ص ١٤٦.
٨٧. ثيودور، مدخل إلى الأديان الخمسة: ص ٤٣.
٨٨. المرجع نفسه: ص ٤٤.
٨٩. المرجع نفسه: ص ٤٤.
٩٠. كيون، مدخل إلى البوذية: ص ٦٠.
٩١. ثيودور، مدخل إلى الأديان الخمسة: ص ٤٥.
٩٢. كيون، مدخل إلى البوذية: ص ٦١.
٩٣. المرجع نفسه: ص ٦٧.
٩٤. قيادرة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ: ص ٤٤.
٩٥. كيون، مدخل إلى البوذية: ص ٧٠.
٩٦. الدولة الميدية: وهي عبارة عن قبائل (هندو أوروية) انقسمت إلى فرعين: أحدها استوطن جبال شمالي العراق ومن بقاياهم اليوم القومية التي تعرف بالأكراد، والثاني استوطن شمال إيران وكون الدولة الميدية حيث أسسها زعيم هذه القبائل (ديكو) (ت: ٦٥٥ ق.م) في المدة المحددة ما بين عام (٧٤٤-٧٠٥ ق.م) وعاصمتها (أكتانا) ودخلت في حلف مع مملكة (الأورارطو) وهي من دول العالم القديم التي نشأت في بلاد أرمينية. ينظر: طه باقر، وآخرون، تاريخ العراق القديم: ج ١، ص ٢٠٨؛ الجاف، حسن، الكرد وبقايا الميدين: ص ٣١-٣٣.
٩٧. الدولة الفارسية: وهي دولة قوية تأسست من اتحاد قبائل آرية برئاسة زعيمها (أخمينس) ولها عدة أسماء. للمزيد ينظر، الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقف: ج ١، ص ١٧٥-١٧٦؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تلبيس إبليس: ص ٢٣؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ج ٢، ص ٣٨؛ زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان من أقدم العصور التاريخية، ترجمة: محمد علي عوني: ص ٧-٩؛ ولبرا، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد النعيم محمد، حسنين إبراهيم أمين الشورابي: ص ٣٨-٣٩.
٩٨. المقدسي، الموجز في المذاهب والأديان: ص ٦٧.
٩٩. المرجع نفسه: ص ٥٩.
١٠٠. زرادشت: ولد في الفترة الزمنية من (١٠٠٠

الهوامش

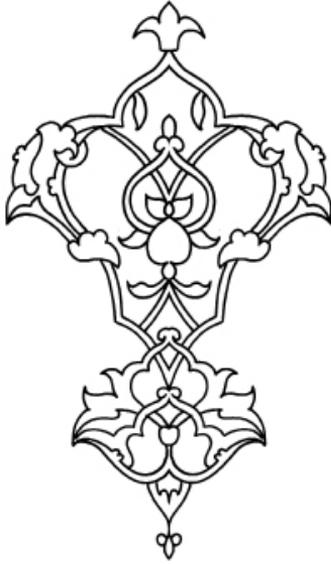
- ق.م) إلى (٦٥٠ق.م)، وتنسب له الديانة
الزرادشتية. ينظر: المقدسي، الموجز في الأديان: ص ٥٧.
١١٢. تراي، علي، تاريخ أديان: ص ٨٥-٨٦.
١١٣. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٤٠.
١٠١. العروضي، أحمد بن عمر بن علي النظامي، مجمع النوادر- أو چهار مقالة. المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب، ص ٢٣-٢٤؛ حلمي، الإسلام والأديان: ص ١٠٤.
١٠٢. المقدسي، الموجز في الأديان: ص ٦٢.
١٠٣. بارندر، الدين لدى الشعوب: ص ٩٢.
١٠٤. المرجع نفسه: ص ١٠٥.
١٠٥. المقدسي، الموجز في المذاهب والأديان: ص ٧٣.
١٠٦. المرجع نفسه: ص ٧٧.
١٠٧. المرجع نفسه: ص ٧٤.
١٠٨. القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٧٤.
١٠٩. الطوسي، نظام الملك أبو الحسن علي، سياست نامه: ص ٢٤-٢٥.
١١٠. مينوي، مجتبي، كتاب تنسر، ترجمة: يحيى الخشاب: ص ٣٣-٣٤.
١١١. (أهورا مزدا): الإله الواحد الحكيم ملك الخير والإصلاح والبر وهو خالق الكون التي تؤمن به الديانة الزرادشتية وقد أعلن زرادشت أنه هو الخالق الواحد الذي خلق روح الخير التي تسمى (أرموزد)، وكذلك روح الشر (أهريمان). ينظر: سعيد، أديان العالم: ص ١٥٠-١٥٥.
١١٢. تراي، علي، تاريخ أديان: ص ٨٥-٨٦.
١١٣. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٤٠.
١١٤. تراي، علي، تاريخ أديان، ص ٩١-٩٢.
١١٥. الموسوي، جاسب مجيد جاسم، الديانة الزرادشتية وأثرها في الدولة الساسانية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م): ص ٦٧.
١١٦. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٢٧.
١١٧. خان، ميرزا عبد المحمد، زرتشت باستاني وفلسفة: ص ٦٦-٦٧.
١١٨. المقدسي، الموجز في المذاهب والأديان: ص ٥٧.
١١٩. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٢٧.
١٢٠. المقدسي، الموجز في المذاهب والأديان: ص ٥٧.
١٢١. المرجع نفسه: ص ٥٨.
١٢٢. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٣٠.
١٢٣. المقدسي، الموجز في المذاهب والأديان: ص ٧٦.
١٢٤. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٣١.
١٢٥. بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص ٩٠.
١٢٦. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٣٢.

الهوامش

١٢٧. المرجع نفسه: ص ١٣٣.
١٢٨. المرجع نفسه: ص ١٣٣-١٣٤.
١٢٩. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٣٥.
١٣٠. خان، زرتشت باستاني وفلسفة: ص ١٤١.
١٣١. سعيد، أديان العالم: ص ١٥٦.
١٣٢. يوسف، جمشيد، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة بناء على نصوص الـ(أفستا): ص ٣٤٠.
١٣٣. المرجع نفسه: ص ٨٩.
١٣٤. فرنبغدادكي، بندهشن، ترجمة: مهردادبهار: ص ١٨٧.
١٣٥. آذرفرنبغ، فررخاد، دينكرد، ترجمة: تفضلي وآموزكار: ص ٦٦٨.
١٣٦. زاله آموزكار، واحمد تفضلي، دينكرد: مج ٧، ج ٩، ص ٨-٩.
١٣٧. فرنبغدادكي، بندهشن: ص ١٨٨.
١٣٨. يوسف، جمشيد، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة بناء على نصوص الـ(أفستا)، ص ٣٤٣.
١٣٩. المرجع نفسه: ص ٣٤٣.
١٤٠. شهزادي، رستم، خرده اوستاه: ص ٢٢.
١٤١. يوسف، جمشيد، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة بناء على نصوص الـ(أفستا): ص ٣٤٢.
١٤٢. زاله آموزكار، واحمد تفضلي، دينكرد: مج ٧، ص ٣.
١٤٣. ارادي ويراف نامه، بهشتودوزخ در اينمزدبيني، ترجمة: رحيم غيفي: ص ١١.
١٤٤. عبد الرحمن، خليل، أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: ص ٣٩٩.
١٤٥. السقاف، أبكار، الدين في الهند والصين وإيران: ص ٢٠٦.
١٤٦. الطوسي، سياسة نامه: ص ٢٥.
١٤٧. جعفر، مهدي خليل، الإمام المهدي عليه السلام في الأديان: ص ١٦.
١٤٨. سعيد، أديان العالم: ص ٧٩.
١٤٩. قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ: ص ٤٠.
١٥٠. المرجع نفسه: ص ٤٢.
١٥١. المرجع نفسه: ص ٥٧.
١٥٢. وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام: ص ١٣٥.
١٥٣. يوسف، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة بناء على نصوص الـ(أفستا): ص ٣٤٤.
١٥٤. بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص ١٧٧.
١٥٥. المرجع نفسه: ص ٢١٥.
١٥٦. المرجع نفسه: ص ٢١٦.

الهوامش

١٥٧. قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ: ١٦٤. الشيرازي، لمعات النور في كيفية الظهور: ج١، ص ٤٥.
١٥٨. هاشم: وهو الجد الثاني للنبي محمد ﷺ، واسمه عمرو العُلى بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه وأطعمه. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج٢، ص ٢١٠.
١٥٩. يوسفي، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة بناء على نصوص ال(أفستا): ٣٤٤.
١٦٠. السجستاني، صحيح السجستاني، ج٤، ص ١٠٦؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٣، ص ٢٦٧؛ العجلوني، إسماعيل، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: ج٢، ص ٢٨٨.
١٦١. الاوبانيشاد: ج٢، ص ٥٤.
١٦٢. قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ: ص ٣٩.
١٦٣. يوسفي، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة بناء على نصوص ال(أفستا): ص ٣٤٤.
١٦٤. الشيرازي، لمعات النور في كيفية الظهور: ج١، ص ١٨.
١٦٥. بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص ٢١٦.
١٦٦. زاله آموزگار، وأحمد تفضلي، دينکرد: مج٧، ص ٣.
١٦٧. شهزادي، خرده اوستاه: ص ٢٢.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي رحمته الله

دراسة في سيرته ودوره الديني

ساجد صباح ميس العسكري

المقدمة:

لا يخفى على أحد ما لدراسة التاريخ من أهمية في حياة الفرد والمجتمع لأن التاريخ يكشف تجارب كثيرة مرت بها الأجيال، خصوصاً إذا ما ارتبطت دراسة التاريخ بأشخاص كان لهم دورٌ كبيرٌ في تلك التجارب. وجاء بحثنا الموسوم (الحسين بن روح النوبختي دراسة في سيرته ودوره الديني)، لبحث في سيرة أحد الصالحين الذين خلّدهم التاريخ وملاً صفحاته بمواقفهم وأدوارهم المتعددة في خدمة الإسلام. وقُسم البحث على مبحثين:

الأول: بحث في سيرته، اسمه، ولقبه، ومكانته الاجتماعية، ووفاته ومرقده.

الثاني: بحث في دوره الديني وتجلي ذلك من خلال سفارته ودوره في مواجهة مدعي السفارة، ودوره في الرواية عن المعصوم عليه السلام، ودوره في كسب قلوب مخالفيه في العقيدة، ليؤدّي دوره الديني بشكل أوسع.

تمهيد:

أسرة النوبختي ودورها في الحضارة الإسلامية:

أسرة آل النوبختي من الأسر البغدادية العريقة والتي انتقلت بداية فترة الحكم



العباسي من بلاد فارس إلى بغداد حيث مقر الخلافة العباسية، كان أفراد هذه العائلة من المقربين إلى حكام البلاط العباسي لما يمتلكونه من رصيد علمي في التنجيم والإدارة والأدب أهلهم لأن يحظوا بهذه المكانة عند الحكام آنذاك، فقد ذكرت كتب التاريخ أن نوبخت جد هذه الأسرة عاش في عصر المنصور العباسي سنة (١٣٦ - ١٥٨ هـ) والذي كان يهتم بعلم التنجيم كثيراً فاستقطب المنجمين وكان من بينهم نوبخت الذي كان قبل ذلك يعتنق المجوسية^(١).

ولعل كلمة نوبخت في الفارسية تعني الحظ الجديد^(٢) وجاء بعده ابنه أبو سهل بن نوبخت ليجلس مجلس أبيه في صحبة المنصور لأنه أيضاً من المنجمين وجاء بعده ولده وأيضاً اشتهر بالتنجيم، ولم يقتصر دور أسرة آل النوبختي على نوع واحد من العلوم، بل إن لهم دوراً في الكثير من العلوم والفنون نجمل الكلام طلباً للاختصار في أهم ما اشتهرت به هذه الأسرة وكان لها دور بارز فيه وهي كما يلي:

١ - التنجيم:

وهذا العلم هو أشهر ما تميزت به الأسرة وخصوصاً في عهد نوبخت وابنه أبي سهل^(٣) وبعض أبناء أبي سهل كهارون بن أبي سهل، وأبي العباس الفضل بن سهل^(٤) ومن أهم من صنّف في هذا العلم هو أبو سهل بن نوبخت، فقد صنّف النهمطان في الموالييد وكتاب الفال النجومية^(٥) وغيرها.

٢ - علم الكلام:

واشتهرت هذه الأسرة بعلم الكلام من خلال المصنفات التي كتبها بعض أفرادها في هذا العلم، ومن خلال المناظرات التي قاموا بها ضد خصومهم، فقد اهتمت الكثير من أحفاد أبي سهل إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، فأول كتاب في الملل والنحل ألفه أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي^(٦) وأسماه (فرق الشيعة) وكتب الكثير من الكتب الكلامية غيره^(٧).



وكان لأبي إسماعيل بن علي الدور البارز في هذا المجال، فضلاً عن تصانيفه الكثيرة في علم الكلام لديه مناظرات مع المعتزلة ومع مدعي السفارة كالحسين بن منصور الحلاج^(٨) ولهم ردود على بعض الفرق كالواقفية^(٩) والغلاة^(١٠) والمجسمة^(١١) ومن أقدم الكتب الكلامية للشيعية كتاب الياقوت لأبي إسحاق إبراهيم النوبختي، وقد وصل إلينا هذا الكتاب في ضمن الشرح الذي كتبه عليه العلامة الحسن بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ) بعنوان أنوار الملكوت في شرح الياقوت، وسبقه إلى شرحه ابن أبي الحديد المعتزلي ولكن لم يصل إلينا^(١٢).

٣- الأدب ورواية الشعر:

وبرز في هذا المجال إسماعيل بن أبي سهل وبعض إخوته ومحمد بن روح وأبو الحسين بن علي وأبو أيوب سليمان، فقد كان إسماعيل من الأدباء الذين عاشوا في بلاط المأمون وكان أبو أيوب سليمان من عداد الشعراء المقلين، ونقل ابن النديم أن ديوانه يبلغ خمسين ورقة^(١٣) وكانت لأبي سهل إسماعيل بن علي مراسلات في الشعر وكان من رواة الشعر^(١٤).

٤- رواية الحديث وصحبة الأئمة ؑ:

كان الكثير من أحفاد أبي سهل النوبختي من أصحاب الأئمة ؑ ورووا عنهم الحديث ولعل أبرزهم الحسين بن روح النوبختي الذي تُوجَّ بمهمة النيابة الخاصة عن الإمام المهدي ؑ، وسوف نفصل الكلام في خصوص سيرته ودوره الديني، ومنهم أيضاً أبو الحسن بن موسى بن كبرياء وأبو سهل إسماعيل بن علي فقد عاصر أبو سهل إسماعيل بن علي الإمام الهادي ؑ والإمام العسكري ؑ والإمام المهدي ؑ وكان من أصحاب الأئمة ؑ وعاش الحسن بن موسى بن كبرياء في زمن الغيبة الصغرى وكان إسماعيل بن إسحاق بن أبي سهل من أصحاب الإمام الهادي ؑ وروى بعض الأحاديث عن الأئمة ؑ.

هذا، ولهذه الأسرة دور كبير في الترجمة والإدارة وغيرهما تركنا الكلام عنه للاختصار.

المبحث الأول: سيرته:

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو الحسين بن روح بن أبي بحر ويكنى بـ(أبي القاسم) ويلقب بالنوبختي^(١٥) والروحي^(١٦) والقمي^(١٧).

فهو ينسب إلى أسرة آل النوبختي وإن كان البعض يشك في هذا النسب كالذهبي الذي يقول في ترجمته: (أبو القاسم القيني أو القسي. وكذا صورته في (تاريخ يحيى بن أبي علي الغساني)، وخطه معلق سقيم)^(١٨) كما ورد في رجال الكشي وقد ثبت له لقب القمي، لأن الكثير من الأشخاص يلقَّبون بمحل سكناهم لا بنسبهم كما نقول الناصري والنجفي والكرلائي.... الخ.

ولعله كان من سكان قم هو أو آباؤه لذا لُقِّب بالقمي، والبعض يرى أن علاقة الحسين بن روح بالنوبختيين من جهة الأم لا من جهة الأب إذ لم يلاحظ اسم أبيه روح أو جده أبي بحر في فهرس أعضاء الأسرة النوبختية^(١٩). ولكن هناك الكثير من الأدلة تثبت انتسابه لهذه الأسرة ومن تلك الأدلة:

١- عامة الكتب الرجالية وكتب الحديث ذكرته بلقب النوبختي.

٢- مكان دفنه فهو مدفون بالمقبرة الخاصة بالنوبختيين.

٣- كانت له علاقات مع أفراد هذه الأسرة الذين عاصروهم كأبي سهل إسماعيل بن علي وأبي عبد الله الحسين بن علي، وكان عدد من بني نوبخت يعدُّونه من محارمهم.

٤- وعدم ورود اسم أبيه أو جده في فهرست أعضاء الأسرة النوبختية لا يدل على عدم انتساب الحسين بن روح لهذه الأسرة^(٢٠).

حياته رحمة الله عليه:

لم تذكر الكتب الرجالية وكتب التراجم والطبقات تاريخ ولادة الحسين بن روح النوبختي، ولكن ما نقل إلينا أنه ولد في بغداد وسكن داراً صغيراً في محلة النوبختية ببغداد^(٢١) وكانت حياته حافلة بالعطاء العلمي والعمل، فقد كان قبل سفارته من المقربين إلى السفير الثاني وعمل كاتباً عنده ووكيلاً عنه في إدارة أمواله وأملاكه^(٢٢) تسلّم السفارة عام (٣٠٥هـ) وبقي في السفارة مدة إحدى وعشرين سنة إلى أن توفي عام (٣٢٦هـ) ولُقّب بالباب بعد تسلّمه للسفارة في فترة ساءت الأوضاع بسبب هجوم القرامطة^(٢٣) على بغداد وحدثت حالات السلب والنهب وأُتهم الوزير آل فرات وابنه بالتآمر مع القرامطة فأخذ الوزير الجديد يطارد أسرة آل فرات ومن له علاقة معهم، وكان الحسين بن روح قد أُتهم بأنه يكاتب القرامطة^(٢٤) فاضطر للتخفي فترة، فأوكل الأمر فيها إلى الشلمغاني قبل أن ينحرف^(٢٥).

وذكر عباس إقبال: أن سبب سجن الحسين بن روح هو بسبب أموال الحقوق التي كان يعطيها الشيعة للحسين بن روح وطالبه الديوان بها فلم يستجب لهم^(٢٦) لأنها ليست أمواله ولا يحق للدولة أن تأخذها، فقبض على الحسين بن روح وأودع في السجن لمدة خمسة أعوام من (٣١٢-٣١٧هـ) وأطلق سراحه بعد أن حُلج المقتدر وحاول الوشاة الإيقاع بالحسين بن روح مرة أخرى عندما أُعيد المقتدر للخلافة، فقال لهم: دعوه فبدعوته جرى علينا ما جرى^(٢٧).

وبعد أن تولى الراضي الخلافة حاول الوشاة أيضاً الإيقاع بالحسين بن روح ولكن كانت مساعيهم تذهب أدراج الرياح^(٢٨)، وخصوصاً في فترة وزارة ابن مقلّة الذي كان يدين للحسين بن روح بجميل صنعه معه عندما سعى له عند الوزير ابن رائق الذي صادر أموال ابن مقلّة وأرجع له جميع أمواله المصادرة^(٢٩).

ولم يكن تحفّي الحسين بن روح وحبسه مانعاً عن الاتصال بشيعته، فقد كان يقوم بمهامه وإن كان ذلك صعباً عليه ويعرضه لخطر السلطة آنذاك.

أبتلي في حياته بالكثير ممن ادّعى السفارة وأصحاب العقائد الفاسدة كالسلمغاني وابن الحلاج وكان له دور كبير في تزييفهم وفضح أكاذيبهم وبيان حقيقتهم إلى الناس.

مكانته العلمية والاجتماعية:

كان الحسين بن روح فقيهاً، مفتياً، بليغاً، فصيحاً، وافر الحرمة كثير الجلالة، ذا عقل وكياسة^(٣٠) وكانت له مكانة اجتماعية كبيرة وكان قاضي القضاة وبعض الوزراء يزورونه في بيته وكانت علاقته بالبلاط الحاكم قوية في زمن وزارة آل فرات ووزارة ابن مقله.

فقد روى الذهبي عن علي بن محمد الأيادي عن أبيه، قال: (شاهدته يوماً وقد دخل عليه أبو عمر القاضي، فقال له أبو القاسم: صواب الرأي عند المشغف عبرة عند المتورط، فلا يفعل القاضي ما عزم عليه.

فرايت أبا عمر قد نظر إليه ثم قال: من أين لك هذا؟ قال له: إن كنت قلت لك ما عرفته، فمسألتي من أين لي فضول، وإن كنت لم تعرفه، فقد ظفرت بي.

فقبض أبو عمر على يديه وقال: لا، بل والله أوخرك ليومي ولغدي.

فلما خرج أبو عمر قال أبو القاسم: ما رأيت محجوجاً قط يلقي البرهان بنفاق مثل هذا، لقد كاشفته بما لم أكشف به أمثاله أبداً.

ولم يزل أبو القاسم على مثل هذه الحال مدة وافر الحرمة إلى أن ولي الوزارة حامد بن العباس، فجرت له معه خطوب يطول شرحها^(٣١).

وحادثة المقتدر التي رواها الصفدي في الوافي بالوفيات المتقدمة الذكر^(٣٢)، تدل على معرفة المقتدر بصلاح واستقامة الحسين بن روح.



وكان محل احترام عند العامة والخاصة، ولعل كياسته وأسلوبه هي من فرضت احترامه على الجميع، فكان له أسلوبه الخاص في التعامل مع المخالفين مستخدماً التقية، فكان لا يُعرّف بمذهبه عند العامة، وكان عندما يذكر الصحابة يشني عليهم، كل ذلك تقية لكسب قلوب العامة ولدفع خطر السلطة المناوئة لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

وكان لنفوذ عائلته في الحكومة وتسلمهم مناصب مهمة فيها العامل المساعد الذي من خلاله سعى لقضاء الكثير من حاجات المؤمنين، فقد كان للحسين بن روح صلة قرابة مع الحسين بن علي النوبختي كاتب الوزير ابن رائق والذي طلب منه مساعدة ابن مقلدة في استرجاع أمواله التي صادرها الوزير ابن رائق وكان سبباً في إرجاع أمواله كلها^(٣٣).

أقوال الأئمة عليهم السلام والعلماء فيه:

لم يُرو عن الأئمة عليهم السلام أحاديث في الحسين بن روح مثلما روي في حق السفير الأول والثاني من روايات المدح والثناء، فلم يرد مدحه إلا على لسان الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام بالتوقيع الذي خرج على يد السفير الثاني.

فالحسين بن روح لم يكن كبير السن في عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولم يُرو أن له صحبة معه ولا مع أبيه الهادي عليه السلام، وجاء في التوقيع الذي صدر من الناحية المقدسة في حق الحسين بن روح النوبختي: «نعرفه عرفه الله الخير كله ورضوانه وأسعده بالتوفيق، وقفنا على كتابه وثقتنا بما هو عليه وأنه عندنا بالمنزلة والمحل اللذين يسرانه، زاد الله في إحسانه إليه إنه ولي قدير، والحمد لله لا شريك له، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً»^(٣٤).

وأما ما ورد من ثناء بحقه على لسان علماء الشيعة وكبار رجالها فهو كثير، ومن ذلك ما روي عن الشيخ الجليل أبي سهل النوبختي رحمته الله عندما سأله بعضهم: كيف صار هذا الأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟

فقال: (هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة (على مكانه) لَعَلِّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقُرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه)^(٣٥).

وهذه الرواية تكشف مكانة الحسين بن روح ومدى قوة إيمانه وإخلاصه، وهذا الذي ذكره أبو سهل خير دليل على اختيار الحسين بن روح دون غيره ودليل على أن الإخلاص وتحمل الأمانة شرط مهم في السفارة. وهناك الكثير من الأقوال بحقه لم نذكرها طلباً للاختصار.

وفاته ومرقده:

توفي الحسين بن روح النوبختي في شعبان (٣٢٦هـ) عن عمر قضاه في خدمة الإسلام والمذهب وعانى من أجل ذلك ما عانى من تشريد وسجن حتى أدى ما كلف به من مهمة عظيمة لا يناهها إلا من له استعداد على تحمل هذه الأمانة الثقيلة والشرف الكبير حيث قام بتأديتها بأفضل ما يكون.

دُفن بمحلة النوبختية في مقبرة النوبختيين، نقل الطوسي في الغيبة بسنده (أن قبر أبي القاسم الحسين بن روح في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ إلى التل وإلى الدرب الآخر وإلى قنطرة الشوك عليه السلام)^(٣٦).

وقبره اليوم في سوق تجاري في الشورجة وعليه قبة خضراء اللون، يتوافد عليه الزائرون في كل يوم ليتبركوا بزيارته ويقرأون له الفاتحة ويطلبون من الله حوائجهم.

المبحث الثاني: دوره الديني:

كان للحسين بن روح النوبختي دورٌ دينيٌّ كبيرٌ وخصوصاً في فترة سفارته التي تحمّل فيها أعباء السفارة وتعرض للكثير من الضغوطات من قبل السلطة والتي دعت له للاختفاء ومن ثم السجن، ومع ذلك كله فلم يغفل دوره كسفير



ونائب عن الإمام المهدي عليه السلام، فكان في تلك الظروف يمارس دوره من خلال الاتصال بالشيعة مباشرةً أو عن طريق وكيل عنه ويفضح زيف المدّعين للسفارة وينقل التوقعات الشريفة إلى عامة الشيعة فقام بمهامه خير قيام، ورغم قيامه بمهام السفارة التي هي بحدّ ذاتها مهمة دينية عظيمة إلا أننا نجدّه يمارس أدواراً دينية لها علاقة بالحفاظ على السفارة من الأخطار والحفاظ على الخط الديني من الانحراف، فسلك مسلك التقية والذي من خلاله حافظ على السفارة وقربه من البلاط وجعل له مكانة عند العامة والخاصة، وستحدث عن ذلك بشكل أكثر تفصيل إن شاء الله تعالى.

دوره في النيابة الخاصة والسفارة عن الإمام عليه السلام:

لم يكن الحسين بن روح النوبختي المرشح البارز لشغل هذا المنصب رغم جلالته قدره إلا أنه تم اختياره من بين عشرة من الشخصيات التي كان بعضها أكثر قرباً منه، ففيهم أبو سهل النوبختي وجعفر بن متيل.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل القمي يقول: (كان محمد بن عثمان أبو جعفر العمري عليه السلام له من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس وأبو القاسم بن روح عليه السلام فيهم، وكلهم كانوا أخص به من أبي القاسم بن روح حتى إنه كان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب ينجزه على يد غيره لما لم يكن له تلك الخصوصية، فلما كان وقت مضي أبي جعفر عليه السلام وقع الاختيار عليه وكانت الوصية إليه) ^(٣٧).

ولم يكن للحسين بن روح تاريخ حافل بإطراء وثوثيق المعصومين عليهم السلام كما كان للسفيرين اللذين سبقاه ^(٣٨)؛ لذا توجب على السفير الثاني أبي جعفر العمري عليه السلام ترسيخ فكرة سفارة الحسين بن روح عليه السلام عند عوام وخواص الشيعة قبل وفاته وتمثل ذلك بعدة أساليب:

جعل السفير عن الإمام عليه السلام في حياته وتقريبه منه، وكان أول تكليف

للحسين بن روح عليه السلام بالسفارة قبل وفاة السفير الثاني بأكثر من ستين (٣٩).
أمر السفير الثاني الشيعة في حياته وخلال فترة تسلّم الحسين بن روح عليه السلام
السفارة ولو بشكل غير رسمي بإعطاء أموال الحقوق للحسين بن روح عليه السلام
حتى يمهد لسفارته.

روى الصدوق والطوسي بسندهما قالاً: (حدثنا أبو جعفر محمد بن علي
الأسود عليه السلام قال: كنت أحمل الأموال التي تجعل في باب الوقف إلى أبي جعفر
محمد بن عثمان العمري عليه السلام فيقبضها مني، فحملت إليه يوماً شيئاً من الأموال
في آخر أيامه قبل موته بستين أو ثلاث سنين فأمرني بتسليمه إلى أبي القاسم
الروحي عليه السلام وكنت أطلبه بالقبوض فشكا ذلك إلى أبي جعفر العمري عليه السلام
فأمرني أن لا أطلبه بالقبض، وقال: كل ما وصل إلى أبي القاسم وصل إليّ، قال:
فكنت أحمل بعد ذلك الأموال إليه ولا أطلبه بالقبوض) (٤٠).

قام ترسيخ تلك الفكرة بشكل عملي عند خواص الشيعة وأعيانهم في
المجلس الذي جمعهم قبل وفاة السفير الثاني بأيام حين أخذ بيد الحسين بن
روح وأجلسه بقربه وأوصى له بالسفارة.

روى الطوسي بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل قال: (لما حضرت أبا
جعفر محمد بن عثمان العمري عليه السلام الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله
وأحدثه، وأبو القاسم بن روح عند رجليه.

فالتفت إليّ ثم قال: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح.

قال: فقممت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني
وتحوّلت إلى عند رجليه) (٤١).

إنّ ما قام به ذكاء خادم السفير الثاني من تسليم ما أوصاه سيده بتسليمها
إلى السفير الثالث ما هو إلا أسلوب من أساليب ترسيخ فكرة السفارة للحسين
بن روح عند الشيعة.



روى ابن طاووس في مهج الدعوات بسنده أنه: (لما مضى سيدنا الشيخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري عليه السلام وأرضاه وزاده علواً فيما أولاه وفرغ من أمره جلس الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر زاد الله توفيقه للناس في بقية نهار يومه في دار الماضي عليه السلام فأخرج إليه ذكاء الخادم الأبيض، مدرجاً وعكازاً وحقة خشب مدهونة فأخذ العكاز فجعلها في حجره على فخذه وأخذ المدرج بيمينه وألحقه بشماله فقال الورثة: في هذا المدرج ذكر ودائع، فنشره فإذا هي أدعية وقنوت موالينا الأئمة من آل محمد عليهم السلام... (٤٢).

تقريبه إليه وجعله وكيلاً عنه ينظر في أملاكه ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة (٤٣).

كان لتوقيع الإمام المهدي عليه السلام الذي خرج على يد السفير الثاني وكان فيه دعاء من الإمام عليه السلام للحسين بن روح بالغ الأثر في علو مكانة الحسين بن روح عند عوام الشيعة وخواصهم (٤٤).

ويذكر السيد محمد محمد صادق الصدر أن في إيكال السفارة للحسين بن روح دون غيره مصلحة إذ يقول: (في إيكال السفارة إليه، مصلحة مزدوجتان أولاهما: وصول هذا المنصب إلى الشخص المخلص إخلاصاً بحيث لو كان المهدي عليه السلام تحت ذيله وقرض بالمقاريض، لما كشف الذيل عنه. كما سمعنا في حقه، وقد سبق أن قلنا إن مهمة السفارة إنما تستدعي هذه الدرجة من الإخلاص لأهميتها وخطر شأنها، ولا تستدعي العمق الكبير في الثقافة الإسلامية، أو سبق التاريخ مع الأئمة عليهم السلام، فإنها إنما تعني بشكل مباشر نقل الرسائل من المهدي عليه السلام وإليه، وتطبيق تعاليمه... وهذا يكفي فيه ما كان عليه أبو القاسم بن روح، من الإخلاص والثقافة الإسلامية.

المصلحة الثانية: غلق الشبهة التي تصدر من المرجفين، من أنه إنما أوكل الأمر إلى ابن روح، باعتبار كونه أخص أصحاب أبي جعفر العمري، وألصقهم



به... فإنه لم يكن بأخصهم ولا بألصقهم. وإن كان من بعض أخصائه في الجملة. بل كانت الأذهان بعيدة عنه وكان احتمال الإيكال إليه ضعيفاً عند الواعين والمستبصرين بشؤون المجتمع من أصحابه، حتى احتاج أبو جعفر لأجل ترسيخ فكرة الإيكال إليه وإيضاحها، إلى تكرار الإعلان عن ذلك، وتقديمه على ساعة موته بسنوات^(٤٥).

وبعد رحيل السفير الثاني استلم الحسين بن روح المهمة بشكل مستقل وكان ذلك في عام (٣٠٥هـ) في عهد وزارة آل فرات في زمن المقتدر العباسي حتى عام (٣٢٦هـ) الذي توفي فيه فأوكل أمر السفارة للسفير الرابع محمد بن علي السمري بأمر من الإمام عليه السلام فكانت مدة سفارة الحسين بن روح (٢١ سنة). والبعض يضيف لها ستين أو ثلاث وهي الفترة التي كان فيها سفيراً في حياة السفير الثاني، وإلى هذا ذهب السيد محمد صادق الصدر إذ يقول: (فإن استطعنا أن نضيف العامين أو الثلاث، التي أمر فيها أبو جعفر العمري قبل موته بتسليم الأموال إليه، ونصّ عليه بالوكالة، وتصورنا أن السفارة حينئذٍ كانت مسندة إلى شخصين دفعة واحدة... فتكون مدة سفارته ثلاثة وعشرين عاماً، أو أكثر)^(٤٦).

دوره في مواجهة مدّعي السفارة:

ابتلى الحسين بن روح خلال فترة سفارته بمدّعي السفارة والألوهية والعقائد المنحرفة التي ظهرت على أيدي المدعين كالبابية والحلولية والضد والتناسخ وغيرها.

ومن أبرز هؤلاء المدعين هو الشلمغاني، والحسين بن منصور الحلاج^(٤٧)، وأبو بكر البغدادي^(٤٨) وسوف نستعرض فيما يلي حياة وعقائد بعضهم.

الشلمغاني:

هو أبو جعفر محمد بن علي الملقب بالشلمغاني نسبةً إلى قرية في نواحي واسط وتسمى شلمغان ويلقب أيضاً بابن العزاقر.



كان الشلمغاني قبل انحرافه من وجهاء الشيعة وأعيانهم وكانت له العديد من الكتب والتي ملأت بيوت الشيعة، ذكرها النجاشي في رجاله منها: كتاب التكليف، ورسالة إلى ابن همام، وكتاب ماهية العصمة، كتاب الزاهر بالحجج العقلية، كتاب المباهلة، كتاب الأوصياء، كتاب المعارف، كتاب الإيضاح، كتاب فضل النطق على الصمت... إلخ^(٤٩).

وكان ممن لم يعترض على سفارة الحسين بن روح في بادئ الأمر، وكان وكيلاً عن الحسين بن روح عليه السلام في فترة غيابه فمضى بمكانة كبيرة عند الشيعة، ولكنه استغل غياب الحسين بن روح لينشر أفكاره وعقائده المنحرفة، ومن أهم تلك العقائد:

١- التناسخ والحلول:

فقد ادعى في بادئ الأمر أن روح رسول الله صلى الله عليه وآله حلّت في محمد بن عثمان وروح الإمام علي عليه السلام حلّت في الحسين بن روح وروح فاطمة الزهراء عليها السلام حلّت في أم كلثوم بنت محمد بن عثمان ثم ادعى حلول الألوهية فيه وكان يقول: هذا سر عظيم لا يتحمّله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه^(٥٠).

٢- كان يعتقد بحمل الضد: وهو إظهار فضيلة للولي في مقابل الطعن فيه بضدها^(٥١).

٣- يعتقد العزاقرية بترك الصلاة والصيام والغسل ولا يتناكحون بعقد على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يبيحون الفروج، ولا إشكال عندهم في نكاح المحارم ونساء الأصدقاء والأولاد^(٥٢).

كان الشلمغاني من المقربين لابن الوزير المحسن بن أبي الحسن بن فرات وبعد مقتل الوزير أبي الحسن وابنه الحسين استوزر أبو القاسم الخاقاني، وفي هذه الفترة هرب الشلمغاني إلى الموصل بعد أن طلبه الوزير الخاقاني وبقي

سنين هناك^(٥٣)، وبعدها رجع إلى بغداد وادّعى الألوهية، فقبض عليه الوزير ابن مقله في شوال سنة اثنين وعشرون وثلاثمائة وقتله في آخر ذي القعدة من السنة نفسها.

وكان للحسين بن روح دور كبير في كشف زيف دعوى الشلمغاني، من خلال عدة أساليب:

لما بلغ الحسين بن روح عليه السلام انحرافه عن طريق أم كلثوم بنت محمد بن عثمان التي أخبرتها أم أبي جعفر بن بسطام بما قاله الشلمغاني في حقها من حلول روح الزهراء عليها السلام في جسدها وروح أمير المؤمنين عليه السلام في جسد الحسين بن روح وروح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في جسد محمد بن عثمان، كتب الحسين بن روح إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه ومن تابعه على القول، وأقام على توكّيه وكان يوهم بني بسطام بأن المقصود من اللعن هو البعد عن النار والعذاب وكان يشير إليه بأن هذا الأمر سر لا يتحمّله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان^(٥٤)، وكانت له مكانة عند بني بسطام حتى أن الكثير منهم اعتقدوا بما يعتقد.

كان لتوقيع صاحب الزمان عليه السلام الأثر البالغ في بيان حقيقة الشلمغاني ومدى انحرافه، وخرج التوقيع على يد الحسين بن روح وهو في السجن عام (٣١٢ هـ) وأخذه أبو علي بن همام ووزّعه على الشيوخ والأعيان في مختلف الأمصار^(٥٥). ونصر التوقيع الذي نقله الطوسي في الغيبة، والطبرسي في الاحتجاج واللفظ للثاني هو: «عرّف - أطال الله بقاءك! وعرفك الله الخير كله وختم به عملك - من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا أدام الله سعادتهم: بأن (محمد بن علي المعروف بالشلمغاني) عجل الله له النعمة ولا أمهله، قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جل وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراً ميبيناً.



وإننا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله (صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته) منه، ولعنا، عليه لعائن الله تترى، في الظاهر منا والباطن، في السر والجهر، وفي كل وقت وعلى كل حال، وعلى كل من شايعه وبلغه هذا القول منا فأقام على توليه^(٥٦) بعده.

أعلمهم تولاك الله! إننا في التوقّي والمحاذرة منه على مثل ما كنا عليه ممن تقدمه من نظرائه، من: (السريعي، والنميري، والهلالي، والبلاي) وغيرهم. وعادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نثق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل^(٥٧).

كتب الحسين بن روح إلى شيوخ وأعيان الشيعة بلعنه والبراءة منه^(٥٨). كتب الشلمغاني للحسين بن روح يسأله أن يباهله فردّ عليه الحسين بن روح بما جعل من ذلك قرينة إضافية على انحرافه، روى الطوسي في الغيبة بسنده عن أبي علي بن همام وقال: (أنفذ محمد بن علي الشلمغاني العزاكري إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله وقال: أنا صاحب الرجل وقد أمرت بإظهار العلم، وقد أظهرته باطناً وظاهراً، فباهلني، فأنفذ إليه الشيخ عليه السلام في جواب ذلك: أينا تقدم صاحبه فهو المخصوم، فتقدم العزاكري فقتل وصلب وأخذ معه ابن أبي عون، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة^(٥٩)).

الحلاج:

وهو الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث نشأ في محافظة واسط^(٦٠) ظهرت دعوته سنة (٢٩٩هـ) وكان في بداية أمره يزعم أنه رسول الإمام الغائب عليه السلام ووكيله وبابه، وقد ورد اسمه مع مدّعي البايية^(٦١) ثم ادّعى الحلول والمعجزة ثم الربوبية^(٦٢)، مارس الخيل والزندقة لتضليل الناس بأساليب تشبه الشعوذة والسحر^(٦٣)، قال عنه ابن النديم: (وكان رجلاً محتالاً مشعبذاً، يتعاطى مذاهب الصوفية، ويتحلّى ألفاظهم، ويدّعي كل علم، وكان صفرأً من ذلك. وكان



يعرف شيئاً من صناعة الكيمياء. وكان جاهلاً مقداماً متدهوراً جسوراً على السلاطين مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدول، ويدّعي عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلل، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة. وفي تضاعيف ذلك يدّعي أن الإلهية قد حلّت فيه، وأنه هو هو، تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علواً كبيراً^(٦٤).

قام بنشر دعوته في قم وبغداد والأهواز، وفي كل مكان يحلّ به يكون له فيه أتباع وكذلك يكون له مناوئين يردون عليه حججه فقد لعن في قم وطرد منها علي يد علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أبي الشيخ الصدوق، روى الطوسي في الغيبة قال: (أخبرني جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أن ابن الحلاج صار إلى قم، وكاتب قرابة أبي الحسن يستدعيه ويستدعي أبا الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، قال: فلما وقعت المكاتبة في يد أبي رضي الله عنه خرقتها وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهرالات؟ فقال له الرجل -وأظن أنه قال إنه ابن عمته أو ابن عمه-: فإن الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبتة وضحكوا منه وهزؤا به، ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلماؤه.

قال: فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً في الموضع فلم ينهض له، ولم يعرفه أبي، فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما يكون التجار، أقبل عليّ بعض من كان حاضراً، فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه، فأقبل عليه وقال له: تسأل عني وأنا حاضر؟ فقال له أبي: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتي وأنا أشاهدك تخرقها؟ فقال له أبي: فأنت الرجل إذاً. ثم قال: يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله، ثم قال له: أدّعي المعجزات عليك لعنة الله؟ أو كما قال فأخرج بقفاه فما رأيناها بعدها بقم^(٦٥).



وفي بغداد هزم علي يد أبي سهل النوبختي عندما أفحمه ودفع حجته عندما أراد كسب أبي سهل وأتباعه إليه فراسله مدّعياً أنه وكيل الإمام عليه السلام فوقع السحر على الساحر عندما جعل منه أحدوثة للسخرية مبيناً زيف دعواه، (فأرسل إليه أبو سهل عليه السلام يقول له: إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أني رجل أحب الجواري وأصبو إليهن، ولي منهن عدة أتظاههن والشيب يبعثني عنهن [ويغضني إليهن] وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة، وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك، وإلا انكشف أمري عندهن، فصار القرب بعداً والوصول هجراً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤونته، وتجعل لحيتي سوداء، فيأني طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يردّ إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل عليه السلام أحدوثة وضحكة ويطنّز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه^(٦٦).

وفي حادثه أخرى عندما كان يحرك يده لقوم فينثر منها الدراهم وكان في القوم أبو سهل فطلب منه درهماً مكتوباً عليها اسمه واسم أبيه فعجز عن ذلك^(٦٧) وطُرد من الأهواز بعد أن قام المتكلم المعتزلي المعروف أبو علي الجبائي بكشف حيلته^(٦٨).

هذا الانحراف في العقائد وأدعائه الكفر جعل عند العلماء مبرراً كافياً لتكفيره وهدر دمه وممن كَفَره أبو بكر محمد بن داوود إمام الظاهرية في سنة (٢٩٧هـ)^(٦٩).



فأودع في السجن لمدة ثمان سنوات، وكان ذلك بأمر من الوزير علي بن عيسى سنة (٣٠١هـ) وقتل بأمر من المقتدر العباسي سنة (٣٠٩هـ) وقبل مقتله صُلب على الجسر ببغداد وقُطعت أطرافه الأربعة ثم حُز رأسه وأُحرقت جثته ورُميت في نهر دجلة^(٧٠)، وأرسل رأسه إلى خراسان لأن له فيها أتباعاً^(٧١)، وقد ادعى أتباعه أنه لم يعدم وإنما أُعدم شبيهه له^(٧٢).

دوره في الرواية عن المعصوم عليه السلام:

أولاً: التوقعات التي خرجت على يده:

خرجت على يد الحسين بن روح رحمته الله العديد من التوقعات من أهمها:

التوقيع الذي صدر بلعن الشلمغاني والذي تقدم ذكر نصه.

التوقيع الصادر لأبي غالب الرازي والذي سأل الإمام عليه السلام الدعاء له في أمرٍ أهمه فخرج التوقيع بذكر ما هممه، وإصلاح أمره مع أنه لم يخبر أحداً بما هممه^(٧٣).

ما رواه الطوسي بسنده عن عبد الله بن سورة القمي يقول: (سمعت سروراً - وكان رجلاً عابداً مجتهداً لقيته بالأهواز غير أني نسيت نسبه - يقول: كنت أخرس لا أتكلم، فحملني أبي وعمي في صباي، وسني إذ ذاك ثلاثة عشر أو أربعة عشر إلى الشيخ أبي القاسم بن روح رحمته الله، فسألاه أن يسأل الحضرة أن يفتح الله لساني).

فذكر الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح أنكم أمرتم بالخروج إلى الحائر.

قال سرور: فخرجنا أنا وأبي وعمي إلى الحائر فاغتسلنا وزرنا، قال: فصاح بي أبي وعمي: يا سرور فقلت بلسان فصيح: لبيك، فقال لي: ويحك تكلمت؟! فقلت: نعم^(٧٤).

التوقيع الذي خرج لمحمد بن الفضل الموصلي والذي كان من الشيعة لكنه يشك بنبابة السفير الثالث ويرى أن الأموال تؤخذ بغير حق فجاء به الحسين بن



علي الوجناء النصيبي الذي كان صديقاً للموصلي إلى بغداد ولإثبات أحقية الحسين بن روح كتب الموصلي كتاباً بلا مداد والكتابة لا يراها أحد ثم جاءه الجواب على ما كتب، فوقع على الحسين بن روح يرجو منه العذر عما بدر منه (٧٥).

ما رواه الصدوق قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الأسود رضي الله عنه قال: (سألني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رضي الله عنه بعد موت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن أسأل أبا القاسم الروحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله تعالى أن يرزقه ولداً ذكراً قال: فسألته فأنهى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع [الله] به وبعده أولاد.

قال أبو جعفر محمد بن علي الأسود رضي الله عنه وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً ذكراً فلم يجبني إليه وقال: ليس إلى هذا سبيل، قال: فولد لعلي بن الحسين رضي الله عنه محمد بن علي وبعده أولاد، ولم يولد لي شيء (٧٦).

ما رواه الطوسي بسنده عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، قال: (حدثني جماعة من أهل بلدنا المقيمين كانوا ببغداد في السنة التي خرجت القرامطة على الحاج، وهي سنة (تناثر) الكواكب أن والدي رضي الله عنه كتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه يستأذن في الخروج إلى الحج.

فخرج في الجواب: لا تخرج في هذه السنة، فأعاد فقال: هو نذر واجب أفيجوز لي القعود عنه؟ فخرج الجواب: إن كان لا بد فكن في القافلة الأخيرة، فكان في القافلة الأخيرة فسلم بنفسه وقُتل من تقدّمه في القوافل الأخر) (٧٧).

التوقيع الخارج لأبي العباس الخجندي والذي سأل الإمام عليه السلام الكف عن الطلب فخرج التوقيع: «من بحث فقد طلب ومن طلب فقد دل ومن دل

فقد أشاط ومن أشاط فقد أشرك» (٧٨).



ثانياً: ما ظهر من معجزات الإمام المهدي عليه السلام على يده:

عرّف السيد الخوئي المعجزة بـ (أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يحرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره، شاهداً على صدق دعواه) (٧٩).

وفي ضوء هذا التعريف لا يورد إشكال على نسبة المعجزة للإمام المهدي عليه السلام فإن الإمامة منصب إلهي، وقد ورد في الروايات عدة معجزات للإمام المهدي عليه السلام التي ظهرت على يد الحسين بن روح رحمته الله منها:

١- حادثه الحسن الصيرفي: روى الطوسي بسنده قال: (سمعت محمد بن الحسن الصيرفي الدورقي المقيم بأرض بلخ يقول: أردت الخروج إلى الحج وكان معي مال بعضه ذهب وبعضه فضة، فجعلت ما كان معي من الذهب سبائك وما كان معي من الفضة نقراً وكان قد دفع ذلك المال إليّ لأسلمه من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله قال: فلما نزلت سرخس ضربت خيمتي على موضع فيه رمل، فجعلت أميز تلك السبائك والنقر فسقطت سبيكة من تلك السبائك مني وفاضت في الرمل وأنا لا أعلم قال: فلما دخلت همدان ميزت تلك لسبائك والنقر مرة أخرى اهتماماً مني بحفظها ففقدت منها سبيكة وزنها مائة مثقال وثلاثة مثاقيل - أو قال: ثلاثة وتسعون مثقالاً - قال: فسبكت مكانها من مالي بوزنها سبيكة وجعلتها بين السبائك، فلما وردت مدينة السلام قصدت الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح رحمته الله وسلمت إليه ما كان معي من السبائك والنقر، فمدّ يده من بين [تلك] السبائك إلى السبيكة التي كنت سبكتها من مالي بدلاً مما ضاع مني فرمى بها إليّ وقال لي: ليست هذه السبيكة لنا وسبيكتنا ضيعتها بسرخس حيث ضربت خيمتك في الرمل فارجع إلى مكانك وانزل حيث نزلت واطلب السبيكة هناك تحت الرمل فإنك ستجدها وستعود إلى ههنا فلا تراني.

قال: فرجعت إلى سرخس ونزلت حيث كنت نزلت، فوجدت السبيكة



تحت الرمل وقد نبت عليها الحشيش، فأخذت السبيكة وانصرفت إلى بلدي، فلما كان بعد ذلك حججتُ ومعي السبيكة دخلت مدينة السلام وقد كان الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح رحمته الله مضي، ولقيت أبا الحسن علي بن محمد السمري رحمته الله فسلمت السبيكة إليه^(٨٠).

٢- حادثة علي بن الحسين بن موسى بن بابويه عندما أستأذن الإمام عليه السلام في الخروج للحج وتقدم ذكرها في التوقيعات.

٣- ما رواه الطوسي بسنده قال: (ووجدت في أصل عتيق كتب بالأهواز في المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة: أبو عبد الله، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد (بن عمر) بن علي بن أبي طالب الجرجاني قال: كنت بمدينة قم فجرى بين إخواننا كلام في أمر رجل أنكر ولده، فانفذوا رجلاً إلى الشيخ صانه الله.

وكنت حاضراً عنده (أيده الله) فدفعت إليه الكتاب فلم يقرأه وأمره أن يذهب إلى أبي عبد الله البرزوفري (أعزه الله) ليحجب عن الكتاب فصار إليه وأنا حاضر، فقال [له] أبو عبد الله: الولد ولده وواقعها في يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا فقل له: فيجعل اسمه محمداً فرجع الرسول إلى البلد وعرفهم ووضح عندهم القول وولد الولد وسمي محمداً^(٨١).

٤- العقيقي وحادثة الضيعة، روى الصدوق بسنده أنه قال: (قدم أبو الحسن علي بن أحمد بن علي العقيقي ببغداد في سنة ثمان وتسعين ومائتين إلى علي بن عيسى بن الجراح وهو يومئذ وزير في أمر ضيعة له، فسأله فقال له: إن أهل بيتك في هذا البلد كثير فإن ذهبنا نعطي كلما سألونا طال ذلك - أو كما قال - فقال له العقيقي: فإني أسأل من في يده قضاء حاجتي، فقال له علي بن عيسى: من هو؟ فقال: الله عز وجل، وخرج مغضباً، قال: فخرجت وأنا أقول: في الله عزاء من كل هالك، ودرك من كل مصيبة.

قال: فانصرفت فجاءني الرسول من عند الحسين بن روح عليه السلام وأرضاه فشكوت إليه فذهب من عندي فأبلغه فجاءني الرسول بمائة درهم عدداً ووزناً ومنديل وشيء من حنوط وأكفان، وقال لي: مولاك يقرئك السلام ويقول لك: إذا أهملك أمر أو غم فامسح بهذا المنديل وجهك، فإن هذا منديل مولاك عليه السلام، وخذ هذه الدراهم وهذا الحنوط وهذه الأكفان وستقضى حاجتك في ليلتك هذه، وإذا قدمت إلى مصر يموت محمد بن إسماعيل من قبلك بعشرة أيام، ثم تموت بعده فيكون هذا كفنك وهذا حنوطك وهذا جهازك.

قال: فأخذت ذلك وحفظته وانصرف الرسول وإذا أنا بالمشاعل على بابي والباب يدق، فقلت لغلامي (خير): يا خير؟ انظر أي شيء هو ذا؟ فقال خير: هذا غلام حميد بن محمد الكاتب ابن عم الوزير فأدخله إليّ فقال لي: قد طلبك الوزير ويقول لك مولاي حميد: اركب إليّ، قال: فركبت (وخبث الشوارع والدروب) وجئت إلى شارع الرزازين فإذا بحميد قاعد ينتظرنى، فلما رأي أخذ بيدي وركبنا فدخلنا على الوزير، فقال لي الوزير: يا شيخ قد قضى الله حاجتك واعتذر إليّ ودفع إلي الكتب مكتوبة مختومة قد فرغ منها، قال: فأخذت ذلك وخرجت) (٨٢).

٥- ولادة الشيخ الصدوق بدعاء الإمام المهدي عليه السلام وتقدم ذكرها في التوقيعات.

٦- حادثه محمد بن الفضل الموصلی والتي تقدم ذكرها في توقيعات الإمام عليه السلام.

ثالثاً: ما رواه من زيارات وأدعية:

روي عن الحسين بن روح عليه السلام بعض الزيارات والأدعية منها:

زيارة المشاهد الشريفة في رجب والتي تبدأ بـ «الحمد لله الذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب...» (٨٣).

دعاء التوسل بالإمامين الجواد والهادي عليهما السلام والذي يبدأ بـ «اللهم إني أسئلك بالمولدين في رجب...» (٨٤).

دوره في كسب ودّ مخالفه:

كان الحسين بن روح عليه السلام محل احترام وتقدير عند العامة والخاصة وحتى من قبل كبار رجال الدولة وخصوصاً في عهد وزارة بني فرات وابن مقله. والسبب في ذلك يعود إلى التزامه بمسلك التقية لكسب قلوبهم ولحفظ مصالحه الدينية والدنيوية، ولعل هذا المسلك كان بتوجيه من الإمام المهدي عليه السلام والتقية عقيدة قرآنية أصّلت لها العديد من النصوص الشرعية كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: ١٠٦).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران: ٢٨) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر: ٢٨).

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «التقية ديني ودين أجدادي ومن لا تقية له لا دين له»^(٨٥).
وتجب في موارد وتحرم في موارد أخرى ليس محلها هنا ويمكن أن تراجع في مظانها.

وليست التقية خاصة بالشيعة غاية الأمر أن الشيعة تعرضوا للظلم والاضطهاد على مر الزمان وتعاقب الحكومات فتوجب عليهم أن يتقوا من أعدائهم حفظاً لأرواحهم وأموالهم، ولما كان الحسين بن روح سفير الإمام عليه السلام والسلطات تراقب تحركات خواص الشيعة وأعيانهم لكشف علاقتهم بالإمام عليه السلام توجب عليه أن يمارس التقية لدفع الشبهات عنه وعدم إعطاء أي مبرر للشوايعة به عند الحكام فهو لم يصرح بمذهبه، ولم يسيء إلى أي مذهب أو شخصية، الأمر الذي جعل له مكانة عند كبار رجال الدولة والحكام ويمكن تتبع دوره في كسب ود أعدائه بما يلي:

روى الطوسي عن أبي نصر هبة الله أنه قال: (وحدثني أبو أحمد درانويه



الأبرص الذي كانت داره في درب القراطيس قال: قال لي: إني كنت أنا وإخوتي ندخل إلى أبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام نعامله، قال: وكانوا باعة، ونحن مثلاً عشرة تسعة نلغنه وواحد يشكك، فنخرج من عنده بعدما دخلنا إليه تسعة نتقرب إلى الله بمحبته وواحد واقف، لأنه كان يجارينا من فضل الصحابة ما رويناها وما لم نروه، فنكتبه لحسنه عنه عليه السلام (٨٦).

وروى أيضاً عن أبي نصر هبة الله بن محمد قال: (حدثني أبو الحسن بن كبرياء النوبختي قال: بلغ الشيخ أبا القاسم عليه السلام أن بواباً كان له على الباب الأول قد لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده وصرفه عن خدمته، فبقي مدة طويلة يسأل في أمره فلا والله ما رده إلى خدمته، وأخذ بعض الأهل فشغله معه كل ذلك للتقية) (٨٧).

روى أبو نصر هبة الله بن محمد، قال: (حدثني أبو عبد الله بن غالب حمو أبي الحسن بن أبي الطيب قال: ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، ولعهدي به يوماً في دار ابن يسار، وكان له محل عند السيد والمقتدر عظيم، وكانت العامة أيضاً تعظمه، وكان أبو القاسم يحضر تقية وخوفاً.

وعهدي به وقد تناظر اثنان، فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم عمر ثم علي، وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما.

فقال أبو القاسم عليه السلام: الذي اجتمعت الصحابة عليه هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر المجلس متعجباً من هذا القول، وكان العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم وكثر الدعاء له والطمع على من يرميه بالرفض.



فوقع عليّ الضحك فلم أزل أتصبرّ وأمنع نفسي وأدسّ كمي في فمي، فخشيت أن أفتضح، فوثبت عن المجلس ونظر إلي ففطن بي، فلما حصلت في منزلي فإذا بالباب يطرق، فخرجت مبادراً فإذا بأبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام راكباً بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره.

فقال لي: يا أبا عبد الله أيّدك الله لم ضحكت؟ فأردت أن تهتف بي كأنّ الذي قلته عندك ليس بحق؟
فقلت: كذاك هو عندي.

فقال لي: اتق الله أيها الشيخ فإنّي لا أجعلك في حل، تستعظم هذا القول مني، فقلت: يا سيدي رجل يرى بأنه صاحب الإمام عليه السلام ووكيله يقول ذلك القول لا يتعجب منه و[لا] يضحك من قوله هذا؟ فقال لي: وحياتك لئن عدت لأهجرنّك وودّعني وانصرف) ^(٨٨).

وفي ذلك تورية تنطلي على الكثيرين فإذا دققنا النظر في الرواية نجد أنه كلامه يحتمل معنيين معني 'قريباً' وهو تقديم غير الإمام علي عليه السلام عليه وهذا المعني لا يريدّه الشيخ ومعني 'بعيداً' وهو تقديم الإمام علي عليه السلام لأنه نص على أنه الوصي بقوله: ثم علي الوصي.



الخاتمة:

وفي الختام تحصل البحث على عدة نتائج:

لا شك في انتساب الحسين بن روح إلى أسرة آل النوبختي فهناك الكثير من القرائن تشير إلى ذلك.

كان وزراء السلطة العباسية متغيري المواقف اتجاه أتباع أهل البيت عليهم السلام فبعضهم يشدد النكير ويكيل التهم، وبعضهم يتعامل معهم بشيء من الإيجابية وهذا ما لاحظناه في حياة الحسين بن روح فتارة يُقرب، وتارة يُتهم ويُطارد ويسجن.

لم يكن الحسين بن روح من البارزين جداً لتسلم منصب السفارة بعد السفير الثاني وإن كان مقرباً عنده، الأمر الذي جعل السفير الثاني يمارس مجموعة من الأساليب لترسيخ فكرة السفارة بن روح عند عوام الشيعة وخواصهم.

كثر مدّعوا السفارة في عهد الحسين بن روح مما تطلّب منه جهداً كبيراً للوقوف بوجههم حتى أسفر ذلك عن اندحارهم وخلص الشيعة منهم. تميّز الحسين بن روح بسلوكه مسلك التقية، والذي جعل منه غطاءً للممارسة دوره الديني والقيام بمهام السفارة، فحظي بمكانه مرموقة عند العامة والخاصة وكان محل احترام من قبل جميع المسلمين.

الهوامش

١. ينظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٠ / ٥٦، ٢١. المصدر السابق: ١٣٣.
٢. ينظر تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٣٢ / ٣٠٤. ٢٢. الغيبة للطوسي: ٢٣٦.
٣. آل نوبخت، عباس اقبال آشتياني: ٢٣
٤. أبو سهل بن نوبخت غير أبي سهل الذي عاصر الحسين بن روح، نوّهنا لذلك لأنه سوف يكثر ذكر أبي سهل عند الحديث عن الحسين بن روح.
٥. ينظر آل نوبخت: ٢٥، ٣٠، ٣٨.
٦. الفهرست، ابن النديم البغدادي: ٣٣٣.
٧. الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر، ٨٠.
٨. آل نوبخت: ١٤٥ وما بعدها.
٩. ينظر الغيبة للطوسي: ٢٥٥.
١٠. ينظر رجال النجاشي: ٣٢.
١١. ينظر رجال النجاشي: ٣٢.
١٢. ينظر آل نوبخت: ١٩٩ - ٢٠٠.
١٣. الفهرست، ابن النديم: ١٩٢.
١٤. ينظر آل نوبخت: ١٣١، ١٣٢.
١٥. الغيبة للطوسي: ٢٣٦.
١٦. المصدر السابق: ٢٣٥.
١٧. رجال الكشي، الطوسي: ٢ / ٨٣١.
١٨. تاريخ الإسلام، الذهبي: ٢٤ / ١٩٠.
١٩. ينظر آل نوبخت: ٢٤٩ - ٢٥٠.
٢٠. الإمام المنتظر: جواد علي: ١٣٢.
٢١. المصدر السابق: ١٣٣.
٢٢. الغيبة للطوسي: ٢٣٦.
٢٣. القرامطة هم فرقة من الاسماعيلية تقول بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام.
٢٤. تاريخ الإسلام: ٢٤ / ١٩١.
٢٥. الغيبة للطوسي: ٢١٨.
٢٦. آل نوبخت: ٢٥٣.
٢٧. الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٢ / ٢٢٧.
٢٨. ينظر آل نوبخت: ٢٥٦.
٢٩. ينظر المصدر السابق: ٢٥٥.
٣٠. الغيبة للطوسي: ٢٣٤.
٣١. سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٦ / ٢٢٣.
٣٢. ينظر الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٢ / ٢٢٧.
٣٣. ينظر آل نوبخت: ٢٥٥.
٣٤. الغيبة للطوسي: ٢٣٧.
٣٥. الغيبة للطوسي: ٢٤٨.
٣٦. الغيبة للطوسي: ٢٤٥.
٣٧. الغيبة للطوسي: ٢٣٤.
٣٨. ينظر موسوعة الإمام المهدي، محمد محمد صادق الصدر: ١ / ٤٠٨.
٣٩. ينظر الغيبة للطوسي: ٢٣٥، ينظر موسوعة الإمام المهدي: ١ / ٤١٠.
٤٠. كمال الدين للصدوق: ٥٠١، الغيبة للطوسي: ٢٣٥.



الهوامش

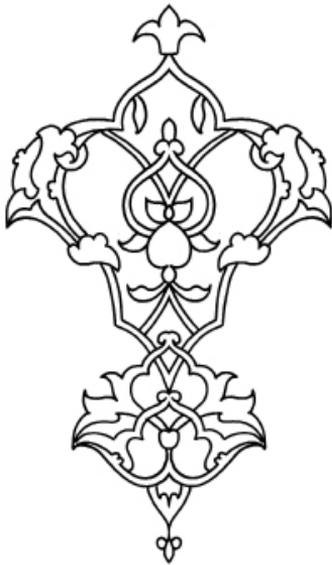
٤١. الغيبة للطوسي: ٢٣٥.
٤٢. مهج الدعوات، ابن طاووس: ٤٦.
٤٣. ينظر موسوعة الإمام المهدي: ٤٠٦/١.
٤٤. ذكرنا نص التوقيع فيما سبق من البحث عند الكلام عن مكانته وأقوال الأئمة فيه.
٤٥. موسوعة الإمام المهدي: ٤٠٩ / ١.
٤٦. موسوعة الإمام المهدي: ٤١٠ / ١.
٤٧. كانت بداية انحرافه في زمن سفارة محمد بن عثمان وسبب انحرافه لامتناعه تسليم الأموال التي عنده إلى السفير الثاني (ينظر موجز دائرة معارف الغيبة: ٢٥).
٤٨. هو محمد بن أحمد البغدادي وهو أبن أخ الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وكان ممن ادعى السفارة الكاذبة وكانت مهمة السفير الثالث صدّ هذه الدعاوي (ينظر موجز دائرة معارف الغيبة: ٨).
٤٩. رجال النجاشي: ٣٧٨.
٥٠. ينظر الغيبة للطوسي: ٢٥٦، ينظر موسوعة الإمام المهدي: ٥١٤/١.
٥١. ينظر الغيبة للطوسي: ٢٥٨.
٥٢. آل نوبخت، عباس إقبال أشتيان.
٥٣. آل نوبخت، عباس إقبال الأشتياني: ٢٥٩.
٥٤. ينظر الغيبة للطوسي: ٢٥٧.
٥٥. ينظر الغيبة للطوسي: ٢٦٠.
٥٦. البحار: ج ٥١، ص ٣٧٧، وفي الاحتجاج للطبرسي: ٢٩٠/٢ [تولاه].
٥٧. البحار: ج ٥١، ص ٣٧٧، وفي الاحتجاج للطبرسي: ٢٩٠/٢ [تولاه].
٥٨. ينظر الغيبة للطوسي: ٢٥٧.
٥٩. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ١١٢٢ / ٣.
٦٠. الأعلام، الزركلي: ٦ / ٢٧٣.
٦١. ينظر الغيبة، الطوسي: ٢٥٤.
٦٢. ينظر آل نوبخت: ١٤١٠ / ١٤١٠.
٦٣. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٨ / ١٢٠ وما بعدها.
٦٤. الفهرست، ابن النديم: ٢٤١.
٦٥. الغيبة للطوسي: ٢٥٤ - ٢٥٥.
٦٦. الغيبة للطوسي: ٢٥٥.
٦٧. صلة تاريخ الطبري، عريب بن سعد القرطبي: ٦٤.
٦٨. ينظر تاريخ بغداد: ٨ / ١٢٢.
٦٩. ينظر البداية والنهاية، ابن كثير: ١١ / ١٥٩.
٧٠. ينظر البداية والنهاية، ابن كثير: ١١ / ١٦٣.
٧١. الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٨ / ١٢٩.
٧٢. المصدر السابق.
٧٣. الغيبة للطوسي: ١٩٦ - ١٩٧.
٧٤. المصدر السابق: ٢٠١.

المصادر

- ١- الاحتجاج بي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، ١٩٦٦، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.
- ٢- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق ميرداماد الاسترآبادي، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤.
- ٣- الأعلام، خير الدين الزركلي (١٤١٠ هـ)، ط ٥، ١٩٨٠ م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- ٤- إقبال الأعمال، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط ١، ١٤١٤ هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ٥- آل نوبخت، عباس إقبال الأشتياني، نقله إلى العربية: علي هاشم الأسدي، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة للعتبة الرضوية المقدسة، ط ١، ١٤٢٥ هـ، ١٣٨٣ ش.
- ٦- الإمام المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية، جواد علي، ترجمه عن الألمانية: د. أبو العيد دودو، منشورات الجمل، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
- ٧- أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.
- ٨- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق علي شيري، ١٤٠٨ هـ، دار إحياء التراث العربي.
- ٩- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، ط ٤، ١٩٧٥ م، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- ١٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، ١٤٠٩ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١١- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، ١٩٩٧ م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ١٢- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساکر (ت ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق علي شيري، ١٤١٥ هـ، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ١٣- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأنطحي، ط ١، مؤسسة الإمام المهدي - قم المقدسة.
- ١٤- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٩، ١٤١٣ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ١٥- الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر، مكتبة أهل البيت عليه السلام الالكترونية - الإصدار الثاني.
- ١٦- صلة تاريخ الطبري، عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٦٩ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ١٧- الغيبة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

المصادر

- (ت ٤٦٠هـ)، منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ١٨- فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٥، ١٤١٦هـ.
- ١٩- الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٢٠- كتاب الفهرست للنديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا - تجديد.
- ٢١- كمال الدين، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥هـ - ١٣٦٣ش.
- ٢٢- المصباح (جنة الأمان الوافية وجنة الإيمان الباقية)، إبراهيم الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٣- مصباح المتهجد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٤- مهج الدعوات ومنهج العبادات، ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، كتابخانه سنائي.
- ٢٥- موجز دائرة معارف الغيبة، مركز الابحاث التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام.
- ٢٦- موسوعة الإمام المهدي عليه السلام، السيد محمد صادق الصدر، مؤسسة طليعة النور للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٢٧- الوافي بالوفيات، الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الارناؤوط وأحمد تركي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث.





ALMAOOD

www.m-mahdi.com/almaood

almaood@m-mahdi.com

خلاصة البحوث

Abstracts



العدد (٨) لسنة ٢٠١٠م / ٣٣١ هـ / ١٠٠٨ م

التوقيعات المهدوية وإشكالية عدم الصدور

الشيخ كاظم القره غولي

لقد حظيت القضية المهدوية بسهمٍ وافر من الإشكالات والتساؤلات التي منها :

كيف أمكن للسفراء عليه السلام العمل في ظل الدولة العباسية، رغم أن العباسيين كانوا يبحثون عن أي خيطٍ يوصلهم إلى الإمام المهدي عليه السلام، فهل يعقل أن يعمل السفراء بحرية رغم أنهم كانوا معروفين في أواسط العامة ولا تتبّعهم السلطات العباسية ليصلوا من خلالهم إلى الإمام عليه السلام.

ومن التساؤلات ما يرجع إلى التوقيعات الشريفة التي خرجت عن الإمام عليه السلام، فقد قيل كيف يُعرف أن هذا هو خط الإمام عليه السلام؟ وقيل كيف نقبل بقول السفراء؟ وما إلى ذلك من تساؤلات وجدت صدًى عند أتباع المذهب من العوام.

ونحن في هذا البحث نحاول أن نسلط الضوء على ما نرى أنه يمثل جواباً لهذه التساؤلات.



The Letters of Imam Al-Mahdi and the Debate over their Issuance

Sheikh Kadim Al-Qara Guli

Mahdism has been the target of many questions, as the following: How could the ambassadors of Imam Al-Mahdi to abide to their designated position under the system of the Abbasids, while the authorities were after any clue that may lead them to the Imam. So, is it even possible for the ambassadors to carry out their missions, despite their well-known position in the society?

Other questions concern the letters of Imam Al-Mahdi: how can we be sure that they are written by the Imam himself? How can we believe the Ambassadors?

There are also other related questions which found their ways to the mind of the masses. In this study, I will try to propose some answers to these questions.



رسالة في حديث سلسلة الذهب برواية الإمام المهدي عليه السلام بطرق محدثي أهل السنة والجماعة

السيد محمود المقدس الغريفي

اتَّفَق المسلمون على أصل قضية الإمام المهدي عليه السلام، وعلى وجوب الإيمان بها، وأنه من أهل البيت عليه السلام، ووجوب الاعتقاد بحتمية قيام دولته آخر الزمان وانتصارها على الظلم والفساد في الأرض.

إلا أن الخلاف وقع هل هو عليه السلام مولود أم أنه سيولد في مستقبل الأيام؟ ومن الأدلة الكثيرة التي تشير إلى وجود الإمام المهدي عليه السلام وأنه مولود، حديث (سلسلة الذهب) الذي رواه كبار علماء ومحدثي أهل السنة والجماعة بأسنادهم عن الإمام المهدي المحجوب عليه السلام بسنده عن آبائه الأطهار عليهم السلام عن جده سيّد الأنبياء محمد بن عبد الله عليه السلام.

وإنهم رووا هذا الحديث عن الإمام المهدي المحجوب عليه السلام مسلسلاً كإبراً عن كابر، وشيخاً عن شيخ، وأثبتوه في كتب مسلسلاتهم الحديثية بإيمان وتصديق، واعتزاز وافتخار به، ولو كان فيه شك أو ريبة لما دونوه ولا رووه ولا أجازوا روايته للآخرين، ولا استنكروا ثبوت مثل هذا الحديث عن رجل لم يولد بعد، بل لا أقل: كان الشك والتأمل في روايته.

هذا، وممن أثبت هذا الحديث الشريف جملة من المشايخ والمحدثين في كتبهم ومسلسلاتهم الحديثية.

وقد عانيت من كثرة التصحيف في أسماء المشايخ والتداخل بينها، وبعض أسماء المشايخ قد سقطت من بعض المصادر التي ذكرت الحديث الشريف وسلسلة سنده - سواء عن قصد أم بدون قصد - وقد حاولت جاهداً ضبطها بإثبات السند الصحيح، وبرواية كل شيخ عن شيخه، وترجمة مشايخ السند على الرغم من أن بعض المشايخ شحّت عليّ تراجمهم من بين المصادر وكتب الحديث المتوفرة، ولكن حاولت تصيّدُها من هنا وهناك، والبحث بين طيات الأسانيد والتراجم، لإثبات ربط السند برجاله تاماً صحيحاً واقعيّاً، وتحديد الراوي وضبط اسمه وتاريخ وفاته وعصره من تتبع الأسانيد والوصول والتأكد إلى من يروي عنهم ومن يروي عنه، وتسليط الضوء على رجال السند وبيان أحوالهم ومصنفاتهم ما وسعني لذلك البحث.



A Study of the Golden Chain Hadith as Narrated by Imam Al-Mahdi (PBUH) in the Sunnas' Sources

Sayed Mahmood Al-Moqadas Al-Guraifi

All the Muslims have agreed upon the importance of believing in Imam Al-Mahdi (PBUH) and that he is from Ahlulbait, and that he will rise at the end of time to establish his just state to eradicate all injustice and oppression. Yet, the debate is about whether he is born or not. There are several evidences that refer to the birth of Imam Al-Mahdi and that he is concealed. For example, the Hadith of the Golden Chain is narrated by great Sunni narrators, which was narrated by Imam Al-Mahdi himself from his forefather Imams from the Prophet who stated: "Gabriel the archangel told me: God the Lord of the lords said: I am the Lord God who has no like; whosoever admits My Unity enters my fortress, and whosoever enters My fortress, he is safe from My torment". They narrated this Hadith from Imam Al-Mahdi (PBUH) in their primary sources. If there was any skepticism in his existence, they would never had narrated it. In other words, they would never narrate a Hadith from a man who is not born yet. There are many great Sunni theologians who have confirmed the truth of this Hadith in their books, as Said bin Muhammad bin Masoud Al-Kazerouni (٧٥٩ A. H.), Ibn Al-Jozori (٨٣٣ A.H.), Ibn Aqila (١١٥٠ A.H.), Wali-Allah Al-Dahlawi (١١٧٥ A.H.) and others.

It has been a great effort to recognize the names of the narrators, while other names are not mentioned at all. Here, I sought to mention all the available names who mentioned this Hadith. I moreover proposed a study of their biography. I mentioned all the available details of the narrators, as the date of their birth, death, social, and political life.



أمّ الإمام المهدي عليه السلام حقيقة ثابتة

الشيخ نزيه محيي الدين

قضية أمّ الإمام المهدي عليه السلام وعدم تحقيقها جيداً، جعل الأعداء يدندنون حولها، ويدّعون بأن هذه المرأة لا وجود لها، وقصتها خرافية، وأن القصة مدانة داخلياً، ويتوصلون من خلال (عدم العثور على الأب لأمّ الإمام عليها وعليه السلام) بأن الإمام المهدي عليه السلام أصلاً غير موجود وهو خرافة وما شابه ذلك من الانزلاقات عديمة العلم والأخلاق، والمصيبة أن هذه الدعاوى اعتقد فيها ضعفاء الشيعة أمثال (أحمد الكاتب).

لهذا قمنا بهذا التحقيق لإثبات صدق الرواية الشيعية، وأنه ليس بمستبعد ثبوتها كما ستراه في طيّات هذا البحث.

ومن خلال عمل جداول بيانات وترتيب الأزمان والأماكن لنجد الحل لهذه القصة ونرفع الغموض، ولنحصل:

أولاً: على الإمكانية الفعلية بلا إشكالات.

وثانياً: لنحاول أن نجد الأب أو الجد المحتمل لأمّ إمامنا عليه السلام، لنعرف القصة

بالشكل الصحيح.

فلهذا بحثنا المسألة من مبدأ الشك في كل معلومة، والانتقال إلى إثباتها.



The Mother of Imam Al-Mahdi (PBUH): An Undeniable Fact

Sheikh Nazih Muhi-Deen

Because the case of the mother of Imam Al-Mahdi (PBUH) was not investigated and studied enough, the opponents of this ideology found it a paved way to attack the historicity of this case and deny its existence. They propose that because there is no name of her father (the mother of Imam Al-Mahdi) mentioned in history books, then there is no clue for the existence of this woman, finally denying the very existence of Imam Al-Mahdi himself. The greater problem is that there is a number of shaky Shias who have adopted this idea, as Ahmad Al-Kateb.

This study, then, tends to prove the historical existence of this lady. Through a set of timetables, this paper proves the exact time and place of the residence of the lady. The conclusions of this study are as the following:

First: a representation of the historical clue of the life of this lady.

Second: a representation of the biography of the father and grandfather of the mother of Imam Al-Mahdi (PBUH).

Thus, the methodology of this paper is a move from a skeptical stance to certainty.



توثيقات المستشرقين الألمان للقضية المهدوية دراسة تحليلية نقدية

د. حسن جاسم الخاقاني

تنبّهت المدارس الاستشراقية إلى أهمية القضية المهدوية، والمدرسة الألمانية من ضمن المدارس التي اهتمت بقضية الإمام المهدي عليه السلام، وأتّسمت توثيقات المستشرقين الألمان للقضية المهدوية بالتأرجح بين السلب والإيجاب، فهناك من تمكّن سبر أغوار هذه القضية المهمة، قاصداً الدراسة العلمية الخالصة التي يمكن من خلالها الوصول إلى النتائج المرجوة والدقيقة، وفي الجانب الآخر وقف قسم من المستشرقين الألمان، وهدفهم دس السم بالعسل حتى يصلوا إلى غايتهم المنشودة بشقّ الصف الإسلامي واختلاق الأزمات، لعلمهم بأهمية هذه القضية وأثرها في نفوس المسلمين لوجود خلافات حولها تمتد إلى مئات السنين.

وقد تناول المستشرقون الألمان قضية الإمام المهدي عليه السلام من عدّة جوانب، منها: مسألة وجوده من عدمها، والأساس الذي بنيت عليه القضية المهدوية، كما أن موضوع ولادته الميمونة كانت محط اهتمامهم، ولم تكن الأوضاع السياسية المرافقة للولادة، أو المصاحبة للقضية بعيدة عن متناول أقلامهم كونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها، وهناك الكثير من الأحداث جاءت كردّ فعل على تلك الأوضاع لتجنّب الاصطدام بالسلطة الحاكمة آنذاك، كما تطرّقوا إلى الغيبتين الصغرى والكبرى وسفراء الإمام عليه السلام الأربعة، ومن هنا عمد الباحث إلى تقسيم بحثه إلى عدد من الفقرات:

كان أولها: شكوك المستشرقين بشخص الإمام المهدي عليه السلام.

والفقرة الثانية: رؤية المستشرقين الألمان للأوضاع السياسية المصاحبة لولادة المهدي عليه السلام.

أمّا الفقرة الثالثة: فكانت عن الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة.



A Study of the Documentation of Mahdism by German Orientalists

Hasan Jasem Al-Khaqani (Ph.D.)

In a new optimistic dawn, the expecting supporters await the arrival of the last savior, Imam Al-Mahdi bin Al-Hasan (PBUH), with whose debut, the reign of love, peace, and justice begin, after long periods of injustice and darkness. Hereby, we can recognize the importance of Mahdism, for which many books and researches have been published in the Islamic world. Moreover, Orientalism paid sufficient attention to this field. The German school of Orientalism had a great share, both positively and negatively, in this field. On the one hand, some orientalists sought to study this field for scientific purposes, while on the other hand, others aimed at this study for ideological purposes, diverting the conclusions to what may adapt to their goals, like creating intellectual crises in the Islamic world.

The German orientalists encountered Mahdism from different perspectives, like the very foundation of this field and its findings. The case of the birth of the Imam has also been a site of attention for these researchers. They investigated all the surrounding historical, political, and social contexts of the birth and life of Imam Al-Mahdi. They also studied both the Minor and Major Occultations, in addition to the four Ambassadors of the Imam and their impact on the political, social, and economic life of the followers of Ahlulbait (PBUT).

Thereby, I have classified his study into the following sections:

First: the skeptical attitude of the orientalists towards the very identity of Imam Al-Mahdi (PBUH).

Second: the orientalist study of the political context that surrounds the birth of the Imam.

Third: a study of both the Minor and Major Occultations, as well as the socio-political life of the four Ambassadors.



الشرط المفقود

جابر الناصري

مع حصول الغيبة الكبرى فإن الإمام عليه السلام لم يقطع علاقته بقواعده وشيعته ووكلائه العامين كلياً.

وقد حفلت الكثير من الكتب قديماً وحديثاً بذكر لقاءات الإمام المهدي عليه السلام بالكثير من قواعده ومواليه في شتى الأمكنة والأزمنة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكم الهائل الذي رآته وستره الأمة وخصوصاً شيعة أهل البيت عليهم السلام من كوارث ومآس جعلتها أصعب عوداً وأقوى شكيمة، بحيث صارت تتطلع ليوم إعلان المهدي عليه السلام لثورته العالمية حتى تنصره وتضحّي من أجله، ويرافق ذلك تصاعد الخط البياني لحالة الوعي الجماهيري والتوسع الأفقي للقاعدة الشيعية الشعبية.

إنه لا بد من إدخال الأمم بتجارب مُرّة حتى تعرف مغبّة اختياراتها الخاطئة لتصل إلى قناعة أنّ خلاصها لا يكون إلا بالمنهج القرآني وولاية أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً بما يتعلق بباقي الأمة الإسلامية من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

في هذا البحث - الشرط المفقود - نجد أن شرطي النهضة الممثلين بالأطروحة الإلهية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والقيادة المعصومة متوفّران، في حين أنّ القاعدة المؤمنة ذات الامتداد الأفقي الكبير غير متوفرة أو لم تتوفّر بعد، بدليل أن عدم الظهور كاشف عن عدم الوجود، وتفصيله بين يديك.



The Lost Condition

Jaber Al-Naseri

After the beginning of the Major Occultation, Imam Al-Mahdi (PBUH) did not break his relationship with his followers, Shias, and deputies. There are many sources that mention several incidents, in which the Imam met his followers and Shias in various occasions and places.

In fact, after the Shias experienced this lot of catastrophes throughout history, they became more solid and tolerant. They also became more prepared to welcome the promised day of the Debut of the Imam and his announcement of the universal revolution. Alongside this preparation, the statistics of social and scientific consciousness among his supporters is rising.

As a matter of fact, any nation is in need to go through bitter historical experiences to diagnose its symptoms and wrong choices, finally to recognize that the ultimate salvation lies in the instructions and teachings of the school of Quran and Ahlulbait (PBUH).

In this paper, the two proposals of renaissance that are motivated and inspired by Quran and the true Sunnah of the Prophet can be realized by well aware masses, which we lack today, because if those prepared masses were available, the holy Debut would happen.



دراسة مقارنة للوضع الاقتصادي بين

الغيبة والظهور

الشيخ ماهر الحجاج

كثر الاهتمام عند الباحثين بشأن القضية المهدوية الكبرى، والتي يجبو إليها المستقبل ولا يعلم الكل أين سيكون موقعها منه، وذلك أنّها قضية معقدة شيئاً ما من جهة، ومتّصلة بالواقع الذي يربطنا بها كشريعة إمامية من أخرى، ويكون فيها الإنسان على صراط التمحيص الذي لا مفر منه من ثالثة.

وهي مشتملة على قضايا غيبية كثيرة من جهات متعدّدة دعت الباحثين إلى أن يصبوا جهودهم على جهات مختلفة منها، كلّ على حسب سعته واستيعابه وغرضه في ذلك، فتعدّدت الكتب فصارت بالمئات، واختلفت المناهج والبحوث، بين روائي بحث وتحليلي بحث، وبين جامع بينهما، وبين مختصر على قضية ما وبين من حاول الإمام بها.

ونحن في هذه المقالة نحاول أن نبحث عن الحالة الاقتصادية التي تعد العصب الأساس لديمومة الحياة الاعتيادية على صعيد الدولة والمجتمع، فنأخذها كعينّة نخضعها لعمليات مجهرية، ونلاحظ ما ورد فيها من الأخبار، ونقارن بين السقوط الاقتصادي، الذي يهدّد العالم مستقبلاً إلى فترة ما قبل الظهور الشريف، وبين الانتعاش الاقتصادي، الذي لا مثيل له في تاريخ الإنسانية بعده حتّى يُكسّر الذهب بالفؤوس كما قيل.

ونحاول أن نبحث عن الأسباب التي تؤدّي إلى القحط القاتل، والأسباب التي ترفعه بصورة قد تكون فوق الخيال، ثم نجيب عن إمكان تلافي ذلك وعلاجه، ثم نحاول أن نقارن بين الاثنين ونستنتج منهما ما ينفعنا.



A Comparative Study of the Economic Condition in the Times of Both Occultation and Debut

Shiekh Maher Al-Hajaj

Many researchers have been paying great attention to Mahdism, in which lies the future of the world. It is somehow a complex case, which is also directly related to the life of the Shias. It is the standard upon which, the quality of a Shia's faith is measured. In fact, it is related with many occultation cases, as the Debut that is related to the divine will, the signs of the Debut that are described by Ahlulbait (PBUT), the resurrection, and the miracles that will happen by the Imam after his Debut like the staff of Moses that is among the possessions of the Imam to be used the same way it was used by Moses himself. Thus, these issues led the researchers to write thousands of books and studies about various topics of Mahdism. However, I did not find a specific study that concerns the economic side of Mahdism that covers both periods of Occultation and Debut.

This study, then, seeks to shed some light on the economic side of Mahdism that is considered one of the most fundamental factor of the life of any society. It also encounters the fall of the global economy and its fatal features, compared with that of the utopia that Imam Al-Mahdi will establish. It, moreover, discusses the reasons that lead to disastrous ending of any economic system and how we can avoid such an ending, depending on the one that Imam Al-Mahdi plans to initiate.



المستقبل وعلاقته بالإمام المهدي عجل الله فرجه

أ.د. عامر عبد زيد الوائلي

سوف نحاول في هذا البحث استعراض موضوع بحثنا الموسوم بـ(المستقبل وعلاقته بالإمام المهدي عجل الله فرجه) بوصفه جهداً فكرياً في بناء رؤية استراتيجية للمستقبل من زاوية فكرية عقائدية، وبالتالي نجد أن الأمر يدخل في زاوية تفسير المستقبل من خلال تأمل فكري عقائدي، ونجد أن أطروحة البحث هي تحليل الرؤية المهديّة من زاوية فلسفة التاريخ؛ ولهذا السبب حاولنا الربط بين المستقبل والتأمل في فلسفة التاريخ التي تحاول تقديم رؤية تأملية للمستقبل، وبالتالي تحاول الربط بين الحاضر وعلاقته بالماضي من ناحية، وانفتاحه من ناحية ثانية على المستقبل.

ونجد أن الأمر يدخل في خانة التفسير الديني للتاريخ من خلال تقديم تصوّر مستقبلي من خلال الربط بالماضي كنصوص شرعية وروايات عن النبي صلى الله عليه وآله، وآل بيته الأطهار عليهم السلام، وكيف حددوا الرؤية الإسلامية للمنقذ والمجدد.

إنّ الخطاب المستقبلي كما يظهر في الرؤية المهديّة بوصفه خطاباً عقائدياً يحاول التغيير ويصارع ضد الفقر والموت والعلم بكل هيمنته المادية، عبر طرح تغيير بديل للواقع ويعمل على تجاوزه وإعادة التفكير في كل المباني السائدة.



The Future and its Relation to Imam Al-Mahdi (PBUH)

Professor Amer Abd Zaid Al-Waely (Ph.D.)

This study tends to investigate the future and its relation to Imam Al-Mahdi strategically from a theological point of view. Thus, this topic is theologically encountered through the philosophy of history. In other words, the future is read through the philosophy of history and how history may contribute to the formation of future.

This study takes the form of religious exegesis of history and its teleological destination by means of relating the future to the history, represented through a set of Hadiths narrated from the Prophet and Ahlulbait (PBUT) and how they designated a specific point in the future of history, regarding the promised savior.

The discourse of future, represented in Mahdism, is a theological utopian discourse that aims at changing the miserable condition of the world, its poverty, mass destruction, and identity crisis, through presenting an alternative version of government.



الحركات المهدوية من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري

الشيخ أسامة العتابي

يأتي هذا البحث ضمن سياق العرض التاريخي لظاهرة الحركات المهدوية التي يشهدها المجتمع المسلم، وقد احتلت (موقعاً متميزاً في الثقافة العربية والإسلامية، سواء لدى السياسي أو الأديب أو الفقيه أو الفيلسوف أو الإنسان العادي).

وتشمل:

- ١ - كل من تبني فكرة المهدوية لنفسه.
- ٢ - كل من تبني فكرة المهدوية لغيره: وهو على قسمين:
أ - من تبناها قبل موت صاحبها. ب - من تبناها بعد موت صاحبها.
- ٣ - كل من تبني فكرة المهدوية بصفته الثانوية: كـ (ابن المهدي، وصي المهدي، باب المهدي، نائب المهدي، سفير المهدي).
- ٤ - كل من تبني فكرة المهدوية بصفته الفرعية الخاصة بعلامات الظهور: وتشمل (اليمني، السفيني، الحسني) وغيرها من العلامات. النتيجة: أن ما تقدم هو عرض تاريخي لأبرز الحركات المهدوية في التاريخ الإسلامي، ابتداءً من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ولاحظ الباحث التوظيف الديني والسياسي والأهواء والأطماع الشخصية، بارزاً وواضحاً وجلياً في أغلب تلك الحركات، مما أدى إلى ظهور فرق وجماعات مختلفة في العقيدة والسلوك، كل تبشر بطريقتها الخاصة للمهدي الموعود.



An Analysis of False Mahdism Claims in the Islamic History from the First to the Fourth Centuries (A.H.)

Sheikh Usama Al-Atabi

This study proposes a historical perusal of the false claims of Mahdism in the Islamic nation. In any analytical research, the study of history is crucial because it is a supporting factor in theological fields. The study of history plays a great role also in all Islamic fields, like literature, politics, jurisprudence, philosophy, and other fundamental Islamic sciences. So, in the light of history, we will find out that the case of false claims of Mahdism is not a new phenomenon, or that the Occultation of Imam Al-Mahdi (PBUH) must be blamed. This problem appeared since the very first stages of the Islamic history. These false claims are classified as the following:

- 1- Claims for oneself.
- 2- Claims for others. This also subdivides as the following:
 - a. Claims before death.
 - b. Claims after death.
- 3- Claims of relation to Imam Al-Mahdi (the son of the Imam, his inheritor, his representative, the door to the Imam, his representative, his ambassador).
- 4- Claims of signs of the Debut of the Imam Al-Mahdi, as being Al-Yamani, Al-Sofiani, Al-Hasani, and other characters.

So, this study goes through a historical perusal of the most important false claims of Mahdism starting from the first century to the end of the fourth century. It also highlights the ideological, political, and personal factors that gave rise to these claims.



المنقذ في الأديان الوضعية

دراسة تاريخية مقارنة

نور ناجح حسين

للمنقذ العالمي ولدولته العالمية المنشودة معالم عديدة رسمتها عقائد الأديان في نفوس أتباعها، بأن الغد أفضل والمستقبل الموعود قريب، ومن أبرز السمات التي لا بد منها في هذه الدولة أتصافها بالعدل والإصلاح كما جاء في الهندوسية.

وكذلك جاء في الديانة البوذية التي آمنت بظهور آخر تجسد لـ(بوذا) عن طريق الـ(نيرفانا).

أمّا الديانة الزرادشتية فترتقب ظهور منقذ عادل (يكون العالم كله تابعاً له). ومن صفات دولته القوة، حيث ذكرت هذه الديانات الثلاث هذه الصفات وتحديث عنها.

الديانة الهندوسية: (ودولته طويلة الأمد، وعمره - أي ابن الناموس الأكبر - طويل، وتنتهي الدنيا به، ويسخر من ساحل البحر المحيط، وجزائر سرانديب، وقبر الأب آدم عليه السلام، وجبال القمر، إلى شمال هيكل زهرة، وإلى سيف البحر والمحيط).

ويشير التراث البوذي إلى ذلك من خلال ظهور آخر (أفتار) ينشر العدل من الـ(أفتارات) الموعودين الذين ظهروا بتجسد من الإله (بوذا)، وهذه التجسّدات الـ(أفتارات) لـ(بوذا) تظهر بحسب حساباتهم كل خمسة آلاف سنة. أمّا الديانة الزرادشتية فتقول إن من سمات دولته الرفاهية للشعوب ودوام السعادة.

وهذا ما ستجده عزيزي القارئ مفصلاً في هذا البحث الذي جعلناه تحت عنوان (المنقذ في الأديان الوضعية).



السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي رحمته الله دراسة في سيرته ودوره الديني

ساجد صباح ميس العسكري

لا يخفى على أحد ما لدراسة التاريخ من أهمية في حياة الفرد والمجتمع لأن التاريخ يكشف تجارب كثيرة مرت بها الأجيال، خصوصاً إذا ما ارتبطت دراسة التاريخ بأشخاص كان لهم دورٌ كبيرٌ في تلك التجارب. وجاء بحثنا الموسوم (الحسين بن روح النوبختي دراسة في سيرته ودوره الديني)، لبحث في سيرة أحد الصالحين الذين خلدهم التاريخ وملاً صفحاته بمواقفهم وأدوارهم المتعددة في خدمة الإسلام. وقُسم البحث على مبحثين:

الأول: بحث في سيرته، اسمه، ولقبه، ومكانته الاجتماعية، ووفاته ومرقده.

الثاني: بحث في دوره الديني وتجلي ذلك من خلال سفارته ودوره في مواجهة مدعي السفارة، ودوره في الرواية عن المعصوم عليه السلام، ودوره في كسب قلوب مخالفيه في العقيدة، ليؤدي دوره الديني بشكل أوسع.



المحتويات

٥	تمهيدنا: العين الناظرة
١٣	التوقعات المهدوية وإشكالية عدم الصدور - الشيخ كاظم القره غولي
٦٣	رسالة في حديث سلسلة الذهب برواية الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> بطرق محدثي أهل السنة والجماعة - السيد محمود المقدس الغريفي
١٠٣	أم الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> حقيقة ثابتة - الشيخ نزيه محي الدين
١٣١	توثيقات المستشرقين الألمان للقضية المهدوية دراسة تحليلية نقدية
١٧١	د. حسن جاسم محمد حسين الخاقاني
٢٠١	الشرط المفقود - جابر الناصري
٢٣٥	دراسة مقارنة للوضع الاقتصادي بين الغيبة والظهور - الشيخ ماهر الحجاج
٢٥٩	المستقبل وعلاقته بالإمام المهدي <small>عليه السلام</small> - د. عامر عبد زيد الوائلي
٢٩٣	الحركات المهدوية في التاريخ الإسلامي - الشيخ أسامة العتابي
٣٣٧	المنقذ في الأديان - نور ناجح حسين
٣٦٩	السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي - دراسة في سيرته ودوره الديني
	ساجد صباح العسكري
	خلاصة البحوث والترجمة





www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

رقم الإصدار: ٢١٢

الموسكويا

ALMAUOOD